الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
إحياء التراث الإسلامي
٦٠

جواهر العقدين في فضل الشرفين

شرف العلم الجلي والنسب العلي

للشيخ علي بن عبد الله الحسني السمهودي
٨٤٤ - ٩١١ هـ

الجزء الأول
في العلم

دراسة وتحقيق

الدكتور موسى بناي العليلي

الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
أحياء التراث الإسلامي
٦٠

جواهر العقدين في فضل الشرفين

شرف العلم الجلي والنسب العلي

للشيخ علي بن عبد الله الحسني السمهودي
٨٤٤ - ٩١١ هـ

القسم الأول
في العلم

دراسة وتحقيق
الدكتور موسى بناي العليلي

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

مطبعة العاني - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

يسرني أن أقدمَ أثراً تراثياً جليلاً من آثار علمائنا الأعلام الذين خدموا أمتهم ، وأمدوها بعينٍ ثرةٍ من العلم والأدب والمعرفة ، هو (كتــاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شــرف العــلم الجلي والنسب العــلي) ، ومــن عنوانه تظهر أهميته العلمية والتربوية والفقهية ٠

فالعلم فيــه العنصر الأول ، والمحــور الرئيس الذي تدور حوله المناقشات المدعمة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأمثال التي تبيّـن فضل حامل العلم ، وقيمته الاجتماعية ، ومكانته بين طلبته ، وطاعتهم لــه ، لأجــل مــا يحمله من العلم ، وكفى بالعــلم وحامله شرفاً وفضلاً ٠

والكتاب مع مــا فيــه من الاهتمام بالعلم والعلماء ، يعرض للتربيــة الاســلامية ، ولواجب العــالم والمتعلم ، وكيفيــة التعليم ، ومكانه ، ووقتــه ، ومعرفــة قابليات الذكاء عنــد الطلبة ، وتنمية هــذه القابليات بالوسائل الناجعة ٠

كمــا يعرض للمكتبات العامــة والخاصة وتنظيمها ، ونظــام إعــارة الكتب ، وشــروط الاعــارة ، ولشــروط المطالعة ، وأوقاتها المفيدة ، واختيار الكتاب الذي يدرسه الطالب خاضع لارشــاد الأستاذ ، لأنــه أعرف بقابليــة الطالب ٠

من ذلك يظهر لنا أن المصنف قد كسب قابلياته التربوية من أساتذته ، وتجربته التعليمية مع طلبته ، ومن كتب العلماء التي حصل عليها ، مثل كتاب الجامع ، والفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ، ومقدمة كتاب شرح المهذب للنووي ٠

ويبدو لنا أن المصنف قام بمبادرة طيبة ، عرض لنا خلالها الأدوار التعليمية التي سبقته ، وأفاض عليها من تجاربه التربوية التي مارسها ، فكانت تجربة ناجحة في وقتها ، حيث جعلت العلم والتعليم نوعاً من العبادة ، وأداة ناجحة في الاصلاح الثقافي والاجتماعي ٠ والاطلاع على تلك التجربة الناجحة يضيف لبنة للتربية التعليمية في الوقت الحاضر ، ويشجع طلبتنا على البحث والتتبع ٠

والمتصفح للقسم الثاني من هذا الكتاب يطلع على الجهد الذي بذله مصنفه في بيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام بين المسلمين داعماً كلامه بالآيات القرآنية الشريفة التي نزلت في حق الرسول عليه السلام وعترته الكرام ، وكلامه عليه السلام الذي أوصى أصحابه بأهل بيته ، وبذلك يكون هذا الكتاب جامعاً لفضل العلم والعلماء ، وتجربة العلماء في التربية الاسلامية ، وجامعاً للسيرة النبوية الشريفة التي تساعد على تقوية العلاقات الاجتماعية في مجتمعنا الحاضر ٠

الدكتور
موسى بناي العليلي

الدراســـة

السمهودي اسمه ونسبه

اســـاتيذه

مصنفـــاته

شـــعره

نشاطه الثقافي ومكانته الاجتماعية

قيمـة الكتـاب

وصف النسخ المخطوطة

عملنا في التحقيق



السمهودي

اسمه ونسبه

هو نورالدين أبو الحسن علي[1] بن القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي روح عيسى بن أبي عبدالله محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العليا بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي طاهر بن الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب[2] الهاشمي، الحسني نسبة الى الحسن الأكبر ، ويعرف بالشريف لشرفه نسبة الى الدوحة النبوية الشريفة ، ويعرف بالسمهودي ، نسبة الى سمهود ٠

وسُمهُود ، أو سَمْهُوط[3] : قرية كبيرة تقع على شاطىء غربي النيل في الصعيد ، وهذه القرية مشهورة بكثرة[4] المعاصر التي يُعصَرُ فيها قصب السكر ، لأنها مشهورة بزراعته ٠ وبينما كانت القريةُ هادئةً ،

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ـ ٢٤٨ ، النور السافر ص٥٨ ـ ٦٠ ، خلاصة الاثر للمحبي ١/٤٣ ، هدية العارفين ١/٧٤٠ ، كشف الظنون ١/٦١٤ ، الاعلام ٤/١٢٢ ٠

(٢) ذكر نسبه عبدالقادر العيدروسي في النور السافر ص٥٨ ٠

(٣) قال ياقوت الحموي : سمهوط بفتح اوله وسكون ثانيه ، ويقال بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطي غربي النيل في الصعيد دون مرشوط ٠ معجم البلدان ٣/٢٥٥ ٠

(٤) الطالع السعيد للادفوي ص١٨ ٠

إستيقظت في صباح أحد أيام شهر صفر في سنة (٨٤٤هـ) على ولادة مولود من أهلهـا خلد ذكرها ورفـع مكانتها ، وهذا المولود هو نورالدين علي السمهودي ٠

نسِبَ الى سمهود ولم يبق فيهـا سوى أربع عشرة سـنة ، قضاها في رعايـة والـده الذي علّمـه القراءة والكتابة ، ثم درّسه مجموعة من المقدمات التي كانت[1] شائعة في وقتهِ ٠

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

أساتيذه

السمهودي عالم واسع الاطلاع ، ذاعت شهرته في العالم الاسلامي ، فهو عالم المدينة ومؤرخها ، وشيخ مكة وفقيهها ، وشريف القاهرة وعالمها ، وشخصية هذه مكانتها ، لا بدّ أن يكون قد حصل على ثقافته العلمية من علماء مشهورين بمختلف العلوم ، لذا يجدر بنا أن نتعرف عليهم ، كي نطلعَ على منابع ثقافته الفقهية والأصولية والتاريخية ٠

١ ـ والده القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد الحسني وهو الذي رعاهُ منذ طفولته ، وعلمه القراءة والكتابة ، وحفظ عليه القرآن الكريم ، وحفظ المنهاج[1] الفرعي ، ولازمَ والدَهُ حتى قرأ عليه المنهاج بجامع شرحه للجلال المحلي ، وشرح البهجة نصفه سماعاً ، وجمع الجوامع ، وغالب ألفية ابن مالك في النحو ، وسمع عليه جلّ صحيح البخاري ، ومختصر[2] مسلم للمنذري ٠

وبعد أن بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره ، سافر به أبوه الى القاهرة[3] ليدرس على أساتذتها المشهورين ٠

---

(١) النور السافر ص٥٨ ٠

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ٠

(٣) قال السخاوي : (وقدم القاهرة مع والده وبمفرده غير مرة ، اولها سنة ثمانمائة وثمان وخمسين) ٠ الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ٠

٢ ـ الشمس الجوجري محمد بن عبدالمنعم[١] الجوجري ، درس السمهودي عليه الفقه والأصول والعربية ، فقد قرأ عليه جمع التوضيح لابن هشام ، والخزرجية مع الحواشي الابشيطية ، وشرحه للشذور ، والربع الأول من شرح البهجة ، وشرح شيخه المحلي للمنهاج قراءةً لأكثره ، وسماعاً لسائره ، مع سماع غالب شرح شيخه لجمع الجوامع ، بل قرأ بعضها على مؤلفها مع سماع دروس من الروضة[٢] عليه بالمؤيدية .

٣ ـ شرف الدين أبو زكريا يحيى المناوي[٣] ، وقد أكثر السمهودي من ملازمته ، وأخذ عنه تقسيم المنهاج مرتين بفوت مجلس ، أو مجلسين ، والتنبيه ، والحاوي ، والبهجة ، وجانباً من شرح البهجة ، وشرح جمع الجوامع ، وحاشية المناوي على شرح البهجة ، ومما كتبه على مختصر المزني في درس الشافعي ، وقرأ عليه بحثاً قطعة من ألفية العراقي ، وقسماً من بستان العارفين للنووي ، ودرس عليه في جامع عمرو الرسالة القشيرية ، وسمع عليه المسلسل بشرطه ، وصحيح البخاري مراراً بأفوات ، وقسماً من صحيح مسلم ، ومن مختصر الأصول للبارزي من آخر تفسير البيضاوي ، وألبسه[٤] خرقة التصوف .

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ١٢٣/٨ ، البدر الطالع ٢٠٠/٢ ، الاعلام ١٣٠/٧ .

(٢) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ .

(٣) ترجمته في الضوء اللامع ٢٥٤/١٠ ، شذرات الذهب ٣١٢/٧ ، الاعلام ٢١٢/٩ .

(٤) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ .

٤ ـ الشمس الشرواني[١] ، محمد بن مراهم الدين الشافعي ، قرأ عليه شرح عقائد النسفي للتفتازاني ، وسمعه عليه ثانية ، وقرأ عليه شرح الطوالع للأصفهاني وسمع عليه الآلهيات بحثاً بمكة ، وقرأ عليه قطعة من الكشاف ، وغالب مختصر سعد الدين على التلخيص ، وشيئاً من المطول ، والعضدي شرح ابن الحاجب ، وشرح المنهاج الأصلي[٢] للعزي ، وقرأ وسمع عليه غير ذلك من الكتب والرسائل والحواشي ٠

٥ ـ شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة الأبشيطي[٣] ، وقد لازمه بمكة المكرمة سنة[٤] (٨٧٢هـ) ، والمدينة المنورة سنة[٥] (٨٧٣هـ) ، وحضر دروسه في المنهاج ، وسمع عليه جانباً من تفسير البيضاوي ، وشرح البهجة ، وسمع عليه بحثاً توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه من تصانيفه ـ أي الأبشيطي ـ شرحه لخطبة المنهاج ، وحاشيته على الخزرجية ، وأذن[٦] له في التدريس ٠

وقد ذكر السمهودي مكاشفات عديدة حدثت له مع أستاذه الأبشيطي في القسم الأول من كتابه هذا الذي

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٤٨ ٠

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

(٣) ترجمته في الضوء اللامع ١/٢٣٥ ، شذرات الذهب ٧/٣٣٦ ، الاعلام ١/٩٤ ٠

(٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ورقة ٣٥ ظ ٠

(٥) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠

(٦) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠

حققناه ، عرض لها أثناء كلامه عن أساتذته[1] .

٦ ـ سعدالدين أبو السعادات محمد بن سعيد[2] الحنفي ، قاضي الحنفية في الديار المصرية ، قرأ عليه عمدة[3] الأحكام بحثاً ، وأذن له بالتدريس ، وقد وقعت له معه مكاشفات[4] ثبتت صحتها بعد وفاته .

٧ ـ محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن محمد المعروف بالنجم بن قاضي[5] عجلون ، قرأ عليه بعض تصحيحه[6] للمنهاج .

٨ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن الفقيه أحمد ، المعروف بالشمس[7] البامي ، قرأ عليه قطعة من شرح[8] البهجة مع حضور تقاسيمه في المنهاج .

٩ ـ صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، المعروف بعلم الدين[9] البلقيني المتوفى سنة (٨٦٨هـ) ، حضر عنده في دروسه[10] في قطعة الأسنائي .

---

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين من الورقة ٣٥ظ الى الورقة ٣٨و.
(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٦/٧ ، جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٥و .
(٣) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .
(٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ورقة ٣٥و .
(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٢٥٤/٦ .
(٦) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ .
(٧) ترجمته في الضوء اللامع ٤٨/٧ .
(٨) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ .
(٩) ترجمته في الضوء اللامع ٣١٢/٣ .
(١٠) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

١٠ ـ عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبدالله بن فهد المعروف بالنجم عمر[١] بن فهد ، وقد سمع عليه بمكة[٢] المكرمة .

١١ ـ الكمال أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي بكر المرجاني[٣] ، وأخته كمالية إبنة محمد ، سمع على كمالية إبنة محمد[٤] وأخيهما بمكة المكرمة .

١٢ ـ محمد بن محمد الزين أبو بكر بن ناصر الدين أبو الفرج[٥] المراغي ، أكثر[٦] من السماع عليه بالمدينة المنورة .

١٣ ـ محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن علي بن يوسف بن منصور الشمس بن الكمال القاهري ، إمام[٧] الكاملية وابن أئمتها ، حضر عنده درساً[٨] ، وألبسه الخرقة ولقنه الذكر .

١٤ ـ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزين الأنصاري[٩] الشافعي ، قرأ عليه شرح المنهاج الأصلي

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٦/١٢٦ .
(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .
(٣) توفي سنة (٨٧٦هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٩/٦٧ .
(٤) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .
(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٩/٥٦ .
(٦) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .
(٧) توفي سنة (٨٧٦هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٩/٢٢٤ ، الاعلام ٧/٢٧٨ .
(٨) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ .
(٩) ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٣٤ ، الاعلام ٣/٨٠ .

للأسنائي ، وغالب شرحه على منظومة ابن الهائم[1] في الفرائض ٠

١٥ ـ سعد بن محمد بن عبدالله بن سعد بن أبي بكر بن مصلح بن أبي بكر بن سعد ، سعدالدين ويعرف بابن الديري[2] ، قرأ عليه عمدة الأحكام بحثاً[3] ، وأذن له بالتدريس ٠

١٦ ـ عثمان بن صدقة بن علي بن محمد بن مخلص الدين عبدالله بن محمد ، أبو محمد الدمياطي الشارمساحي[4] ، أذن له في التدريس والافتاء ، بعد إمتحانه في مسائل[5] ومذكراته معه ٠

١٧ ـ العفيف عبدالله بن القاضي ناصر الدين بن صالح ، قرأ عليه أشياء بالأجايز ، وألبسه[6] خرقة التصوف بلباسه من عمر الأعرابي ٠

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

(٢) توفي سنة (٨٦٧هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٤٩ ، الاعلام ٣/١٣٨ ٠

(٣) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ، النور السافر ص٥٨ ٠

(٤) توفي سنة (٨٨٩هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٥/١٢٩ ٠

(٥) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

(٦) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠

مصنفاته

خلف لنا السمهودي مجموعة مهمة من الكتب الفقهية والأصولية ، وكتب الحديث والسيرة والتاريخ ، أصبحت من بعده مناراً للفقهاء والعلماء ، وقد توصلنا الى معرفة أكثرها حيث كان بعضها مطبوعاً ، وأكثرها مخطوطة لا تزال تنتظر من يخرجها من المكتبات ووضعها بين أيدي المتشوقين اليها ، منها :

١ ـ اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى[١] ، أو الوفا بأخبار دار المصطفى[٢] ، احترق مع كتبه في المدينة المنورة ٠

٢ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، مطبوع[٣] ، وقد لخصه المصنف من كتابه الكبير (الوفا بأخبار دار المصطفى) ، وكانت مسودته معه في مكة المكرمة عندما احترقت مكتبته في المدينة المنورة ، واحترق معه كتابه[٤] الكبير ٠

٣ ـ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى مخطوطة[٥] ، لخصه المصنف من كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)[٦] ٠

---

(١) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ١/٢ ٠
(٢) خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى مخطوطة ورقة ١ ظ ٠
(٣) طُبِعَ في مطبعة الآداب والمويد بمصر سنة ١٣٢٦هـ ٠
(٤) ينظر خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى ورقة ١/ظ ٠
(٥) مخطوطة بمكتبة الاوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٢٨١٣) ٠
(٦) ينظر خلاصة الوفاء باخبار المصطفى ورقة ١ ظ ٠

٤ ـ (مسألة فرش البسط[1] المنقوشة) ، رداً على من نازعة ، مفقود ٠

٥ ـ حاشية[2] علـى إيضـاح النـووي في المناسك ، مفقود ٠

٦ ـ الفتاوي مجموعة فتاويه[3] ، مفقود ٠

٧ ـ درُّ السموط[4] رسـالة في شـروط الوضوء ، مفقود ٠

٨ ـ إكمال المواهب[5] ذيل على رسالة له ، مفقود ٠

٩ ـ مواهب الـكريم الفتـاح في المسبوق المشـتغل بالاستفتاح[6] ٠

١٠ ـ الأنوار السنية في أجوبة أسئلة اليمنية[7] ٠

١١ ـ أمنية المعتنين بروضة الطالبين[8] ، حاشية ٠

---

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠

(٢) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠

(٣) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ ٠

(٤) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ ٠

(٥) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٢ ظ ، هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٦) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٢ ظ ، هدية العارفين ١/٧٤ ٠

(٧) هـدية العـارفين ١/٧٤٠ ٠

(٨) هـدية العـارفين ١/٧٤٠ ٠

١٢ ـ الغماز على اللماز[١] ، في الحديث الشريف ٠

١٣ ـ الأقوال المسفرة عن دلائل الآخرة[٢] ، في الفقه ٠

١٤ ـ اللؤلؤ المنثور في نصيحة[٣] ولاة الأمور ٠

١٥ ـ جواهر العقدين في فضل الشرفين ، وهو الكتاب الذي نحققه ٠

١٦ ـ إيضاح البيان لما أراده الحجة[٤] من ليس في الامكان أبدع مما كان ٠

١٧ ـ شفاء الأسواق لحكم ما يكثر بيعه[٥] في الأسواق ٠

---

(١) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية تحت رقم (٦٦٨٧) ، جرد فيها المصنف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، والتي لا اصل لها عند الأئمة الحفاظ ، ورتبها على حروف المعجم ، وبذلك قام بخدمة عظيمة في اخراجه الاحاديث التي لا اصل لها عند المحدثين ، وهو في هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ ٠

(٢) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية رقم (١/٧٠٧٢) مجاميع ، وهو يعنى في اصول وقواعد المغفرة ٠

(٣) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية رقم (١٤/١٠٠) وهو مجموعة من النصائح جمعها المصنف من كتب متعددة ، وجعلها في اربعة ابواب معتمداً فيها على آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف ، والاقوال والامثال ٠ وهو في هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٤) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٥) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

١٨ ـ طيب الكلام[١] بفوائد الاسلام ٠

١٩ ـ عقد الفريد[٢] في أحكام التقليد ٠

٢٠ ـ المحرر في تعيين الطلاق[٣] ٠

---

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٢) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٣) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

شعره

إنَّ صاحبنا لم يكن شاعراً موهوباً ، بل كان ينظم شعرهُ في المناسبات التي تحصل له ، سواء كانت هذه المناسبات مفرحة أو محزنة ، فالمناسبة دافعه كما يبدو لنا من الشعر الذي عثرنا عليه ٠

ومن هذه المناسبات القصيدة التي قالها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان سببها انه كان يقيم بخلوةٍ في مؤخرة المسجد النبوي الشريف ، بجانب المنارة الشمالية الغربية ، فسعى جماعة باخراجه[1] منها ، فقال :

يُضَامُ بحبكم يا عربُ رامَه
نزيلٌ أَنتم صرتم مُرامَه

ويعدو من أَعاديه عليه
غداة صارَ قَصدهمُ اهتضامَه

وأَنتم عزٌّ من ينمى اليكم
ومن أَبوابكم حازَ احترامه

وفي حرمٍ بساحتكم مقيمٌ
فلا يبغي العراقَ ولا شآمَه

(١) ذكر المصنف هذه الحادثة بالتفصيل مع اربعة أبيات من القصيدة في كتابه جواهر العقدين في فضل الشرفين في الورقة ٣٣و ـ ٣٤و القسم الاول ٠

وحبكمو تحكم في حشاه
وحبكمو لذا أضحى غرامه

وليس له ملاذ أو نصير
يجرّد دون نصرته حسامه

سواكم آل غالب الموالي
حماة الجار إن لحقته ضامه

ليوث الحرب إن مُدت حراب
غيوث المحل إن يخلب غمامه

بحقكمو وذاك أجلّ حق
له انتصروا فأنتم من تهامه

كرام مكرمون بخير رسل
عظيم الجار موفيه ذمامه

قال : وهي طويلة تزيد على ستين بيتاً ومنها :

له حرم به كرم مفاض
لساكنه فقد حاز الكرامه

به قد صار عندكمو نزيلاً
ويرجو نصركم فيما أضامه

جواركمو عدت فيه الأعادي
عليه إذا رأوا منه الاقامه

بحضرتكم فلا يبغـي انتقـالاً
ولكن قـد أَطالَ لهـا التزامه

وكادوه بمـا لـم يخفَ عنـكم
ليقصوا عن عراصكمو خيامَــه

فانجز لـي رسولَ الله نصري
لتهنـأَ لـي بذا الحرم الاقامه

ويكبت مــن عداتي شامتوهم
وتعظم فـي قلوبهم الندامَــه

فقـد آملتُ جاهك يـا ملاذي
لـذا ولكل هولٍ فـي القيامه

وحاشـا أن تخيّبَ لـي رجاءً
وأَنتَ الغوث من عرب برامَه

كريـمٌ ان أضيم لـه نزيـلٌ
فنصـرُ اللهِ يقدمـه أَمامَــه

ومـن عاداتـه نصري وجبري
وعـادة مثـله أَبـداً مدامَــه

قال : فرأيتُ عقب ذلك مناماً يؤذن بالنصر العظيم ، ثم رأيتهُ في اليقظة ولله الحمد والمنة(١) .

---

(١) ذكر المصنف هذه الأبيات في كتابه وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ٢/٤٣٠ .

ومنها[1] :

ولـم يرعوا جوارك يـا ملاذي
ولا نسـبي اليـك ولا ذمامـه

يبدو لنـا أنـه ذكـر البيت الأخير ليبين بأنّ نسبه ينتهي الى نسب الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلم ، بعد ما ذكر حرمة جواره ، وأن حرمـة جواره لرسول الله عليه السلام ونسبه ، لم يمنع المسيء من إسائته ·

وقـال في ختـام كتـابه جواهر العقدين في فضـل الشرفين[2] :

لا غروَ في بثّي محاسن معشري
بالواضح التبيـان والبُرهانِ

نصحاً لهم ولأُمـةٍ فُرِضَتْ
مودتها لهـم في منزل القرآنِ

فالنّصحُ أَوجبه علينا ربّنـا
للكلّ فـي سـرٍّ وفـي إعلانِ

هذا وما استقصيتُ منقبةً لهم
بالمنطق الاقصى مـن التبيانِ

---

(1) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٤و ·

(2) يبدو ان المصنف قال هذه الأبيات بمناسبة تكميله كتابه جواهر العقدين ، وكان القسم الثاني يخص النسب الشريف · جواهر العقدين في فضل الشرفين ، الورقة الاخيرة من القسم الثاني ·

إلاّ وعندي أنّ مـا قـد فاتني
أضعافُ ما قد قلتُ في أزمانِ

فمحاسنُ الآل الكـرام كثـيرة
لم يحصِها أحدٌ سوى المنانِ

مـن أجل انّ تباعها من أحمد
خيرِ الخليقةِ سـيد الأكوانِ

صلى عليـه إلهنـا وعليهم
والصحب ما اخضرّت رُبا أفنانِ

ومن شعره الصوفي قوله[1] :

تحـكم الحـب منـي كيـفَ أكتمُـه ؟
أم كيفَ أخفي الهوى والدمعُ يظهرهُ ؟

أهـوى لقـاوهُ ويهـوى سيدي تلفي
مـا كـلُّ مـا يتمنّـى المـرءُ يدركـهُ

ومن شعره في الغزل[2] :

الا أنّ ديـوان الصبـابة قـد سـبا
بما صبّ من حسن الصناعة ان سبا

نفوسـاً سكارى مـن رحيق شـرابهِ
وألحـاظ صبٍّ مـن صبابَتـه صبـا

(1) النـور السافر ص٦٠ .

(2) الضوء الـلامع ٢٤٧/٥ .

السمهودي من العلماء الذين نبغوا في القرن التاسع الهجري ، ولمع نجمه بالفقـه والأصول والسيرة والحديث والتاريخ ، فقد كان عالماً فقيهاً أصوليـاً حافظـاً ومحدثاً ومؤرخاً ، انتشرت مصنفاته في الحجاز ومصر وفلسطين ، وكان يلقي محاضراته العلمية في مكة والمدينة والقاهرة ٠

وكان مركز اقامتــه في المدينة المنورة ، وهو شيخها الذي لا يجاريه أحد في مكانتــه العلمية ، وقل أن يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليه[١] ٠

واختير للاشراف على مدرســة أبي البقــاء البدري ، والنظر على المجمع فيها ، وما فيه من الكتب التي أوقفها فيه٠ وصارالمتكلم في مصاريف المدرسة المزهرية المختلفة٠ مع الصرف له من الصدقات التي تأتي من الملوك والأمراء ، كما يصرف للقضاة ، وما أضيف اليــه من التدريس مما أوقفه الواقفون ٠

وقد انقاد له الأمير داود بـن عمر في صدقاته لأهــل الحرمين حين حج بيت الله الحرام ، فقــد اشترى من أجله كتبــاً وأوقفها ، وانقاد لــه ابن جبير[٢] وغيره في أشياء ، عندما تحققوا من علم السمهودي ودينه وتقواه في الحرم النبوي الشريف ٠

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٧ ٠

(٢) المصدر نفسه ٥/٢٤٧ ٠

وعندما سافر من المدينة المنورة الى القاهرة لزيارة أهله ، كان العلماء والقضاة يرحبون به ويجلونه ، فقد قرره الشيخ يحيى المناوي قاضي الديار المصرية معيداً للحديث في جامع الولوي ، وفي الفقه بالصالحية ، وأسكنه قاعة القضاة فيها ، وعرض عليه النيابة[1] فأبى .

وعند رجوعه الى بلده مرة أخرى فوض له مع القضاء النظر في أمر نواب الصعيد ، وصرف غير المتأهل منهم ، فما عمل بجميعه[2] .

وقد قرّبه ورحب به سلطان مصر قايتباي ، وأكرمه مبلغاً من المال استفاد منه بعد رجوعه الى المدينة المنورة ، حيث إشترى داراً قديمة[3] ، وأعاد بناءَها .

وسافر من المدينة المنورة الى مكة المكرمة مع ابن العماد ، فوقع الحريق بعد سفره في المدينة ، وقد احترقت بهذا الحريق كتبه ، وهي كثيرة ، وسافر من هناك الى القاهرة ، ولقي السلطان قايتباي[4] ، فأحسن اليه بمرتب على الذخيرة وغيره ، بل وأوقف هو وغيره كتباً من أجله ، ورسم بسعايته بسد السرداب الموجه الى الحجرة الشريفة ، والمتوصل منه لدور العشرة ، لما يحصل

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤١ ، النور السافر ص٥٩ .

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ، النور السافر ص٥٩ .

(٣) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٤و .

(٤) يظهر انه هذه المرة الثانية التي يلتقي بها بالسلطان قايتباي ، فالمرة الاولى اكرمه بمبلغ من المال ، وهذه المرّة خصص له راتباً .

فيه من الفساد مع المعاكسة[1] ، كل ذلك لـم يحدث لولا الجهود التي قام بها السمهودي ٠

قال السخاوي : ولقيتـه في كـلا الحرمين غـير مرة ، وغبطته على إستيطانه المدينـة ، وصار شيخها[2] ، ثـم قال : ومـع ذلـك فهو يتكسب بالبيـع والشراء بنفسه وبمندوبه ، وربما عامل الشريف أمير المدينـة بالجملة ، فهو انسان فاضل متفنن متميز في الفقه والأصول ، مديم للعمـل والجمع والتأليف ، متوجـه للعبـادة وللمباحثة والمناظرة ، قوي الجلاد على ذلـك ، طلق العبارة فيـه ، مغرم به مع قوة نفسٍ وتكلف خصوصاً في مناقشاته[3] لشيخنا في الحديث ونحوه من العلوم ٠

وبعد حياة قضاها السمهودي في خدمة العلم دراسة وافية ، وتدريساً نافعـاً لطلابه ، ومناظرات بينـه وبين العلماء وتأليفاً ، لبى نداء ربه في سنة (٩١١هـ)[4] مخلفاً لنـا ثروة كبيرة في الفقـه والأصول والحـديث والعـلم والتربية والتعليم ٠

★ ★ ★

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٧ ٠

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٧ ٠

(٣) نفس المصدر ٥/٢٤٧ ٠

(٤) ذكر المحبي ان وفاة السمهودي كانت في آخر سنة احدى عشرة بعد الألف ، وهو وهم منه لا يدعمه دليل ، يضاف الى ذلك ان المحبي كانت وفاته سنة ١١١١هـ) ، وهو بعيد عن عصر السمهودي ، والصحيح ما ذكره المعاصرون له ٠ ينظر خلاصة الاثر ١/٤٣ ٠

قيمة الكتاب

الكتابُ كما يبدو من عنوانه يعنى بشرف العلم وشرف نسب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهذان الشرفان لا يرقى اليهما شرف في المنزلة بعد شرف الخالق عزّ وجلّ •

وملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم للعلم واتصافه به ، وحثه الصحابة على العلم ، وتشجيعهم على طلبه ، ما كان ذلك إلاّ لأنه أفضل العبادات التي يأتي بها المسلم ، مثال ذلك قوله عليه السلام لأبي ذر : (جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب الى الله تعالى من قيام ألف ليلةٍ ، يصلي في كل ليلة ألف ركعة ، وأحب اليه من ألف غزوةً)[1] ، وقوله : (اللهم إرحم خلفائي ، قيل : يا رسول الله ! من خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي)[2] •

فقد بدأ السمهودي كتابه بفضل العلم والعلماء ، وأوردَ الأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف على على فضل العلم •

فمن أدلته من القرآن الكريم ، قوله تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمونَ)[3] •

---

(١) جامع السعادات ١/١٠٣ •

(٢) جامع السعادات ١/١٠٣ •

(٣) سورة الزمر الآية : ٩ •

(إنما يخشى الله من عبـاده العلماء)[1] ، وقوله : (ومن يؤتَ الحكمة فقـد أُتي خيراً كبيراً)[2] ، وقوله تعـالى : (شهد اللهُ أنَّهُ لا إلهَ إلاّ هو والملائكة وأولو العلم)[3] .

ومن أدلته من الحديث الشريف قوله عليـه السلام : (العلماءُ ورثة الأنبياء)[4] ، وقوله : (فضل العالم على العابـد كفضلي على أدناكم)[5] ، وقوله : (يشفع يـوم القيامـة ثلاثـة : الأنبياء ، والعلمـاء ، والشهداء)[6] ، وقوله : (من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله حتى يرجع)[7] .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تظهر فضل العـلم ومكانته الشـريفة ، وبذلك يكون العـلم أفضـل الفضائل الكمالية ، وأشرف النعوت النورانية ، لأنـه الطريق الموصل الى جوار رب العالمين ، والى أفق الملائكـة المقرَّبين ، فمـا سجد الملائكة أجمعون إلاّ لأن آدم عليـه السلام يعلم ما لا يعلمون ، هذه الأسباب مجتمعة جعلت المصنف يبتدىء بالعلم ويتبعه بالتربية الاسلامية ، ومـا

---

(١) سورة فاطر الآيـة : ٣٨ .

(٢) سورة البقرة الآيـة : ٢٦٩ .

(٣) سورة آل عمران الآيـة : ١٨ .

(٤) رواه الامام ابن حنبل في مسـنده ١٩٦/٥ ، وابو داود في سـننه ٢٨٥/٢ ، والدارمي في سننه ٨٣/١ .

(٥) صحيح الترمذي ١٥٧/١٠ .

(٦) سنن ابن ماجة ١٤٤٣/٢ .

(٧) صحيح الترمذي ١١٦/١٠ .

توصلت اليه في العهود السابقة لعصر المصنف ، وقد أضاف الى ذلك التجربة التي مارسها أثناء تعليمه وتصدره للتدريس .

ويجدر بنا أن نقولَ ان هذا الكتاب يحتوي على ثروة علمية تدفع العلماء الى تنمية قابلياتهم العلمية ، لما في العلم من الرفعة والمكانة عند الله ، ولما فيه من المنزلة العظيمة في المجتمع الذي يعيش فيه العالم ، كما يحتوي على ثروة تربوية تجعل التربويين على علم بما طبقه أجدادهم العظماء في مجال التربية والتعليم ، كي يضيفوا خبرات أجدادهم الى خبراتهم في تعليم أبنائنا .

أما القسم الثاني من كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين فقد تناول شرف النسب النبوي الشريف وأهل بيته الكرام ، وناقشه بخمسة عشر ذكراً مدللاً على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : (إنَّما يريد اللهُ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيراً)[1]، وقوله تعالى : (قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءَكم الآية)[2] ، وقولهُ تعالى : (وأذكرن ما يُتلى في بيوتكن)[3] ، وقوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى)[4] ، وغير ذلك .

---

(١) سورة الاحزاب الآية : ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦١ .

(٣) سورة الاحزاب الآية : ٣٤ .

(٤) سورة الشورى الآية : ٢٣ .

والحديث الشريف كقوله صلى الله عليه وسلم : (يا ربٍّ هذا عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إيّاهم بملاتي هذه)[1] ، وقوله : (يا بني هاشم اني قد سألت الله عزّ وجلّ أنْ يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته أن يهدي ضالتكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم)[2] ، وقوله : (إستوصوا بأهل بيتي خيراً فاني أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خصمه أخصمهُ ، ومن أخصمهُ دخل النار)[3] ، وغير ذلك من الأحاديث الشريفة .

وعندما نتفحص هذا القسم جيداً يظهر لنا مدى الجهد الذي بذله السمهودي في بيان مكانة الرسول الكريم بين المسلمين ، وبيان المعجزات والآيات التي وقعت له بينهم ، والكرامات التي حدثت لأهل بيته ، ومنزلته ومنزلة أهل بيته في قلوب المسلمين .

---

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين ٢/٧و .

(٢) المصدر نفسه ٢/٢و .

(٣) المصدر نفسه ٢/٢و .

وصف النسخ

حُقِقَ كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين للسمهودي على ثلاث نسخ ، وُجدت في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد ، وبعد اطلاعي على فهارس المخطوطات المختلفة لم أجد غير النسخ المذكورة ، وقد جعلت أحدها أصلاً لمزايا سوف أذكرها في المستقبل ، وجعلت النسختين الأخيرتين مساعدتين ٠

١ ـ نسخة بخط محمد بن يحيى (الأصل) :

وهي نسخة واضحة وكاملة وقديمة ، موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٣٩١) أدب ، وكُتِبت سنة (١٠٨٧ هـ) ، فهي أقدم النسخ الموجودة من حيث النسخ ٠

عدد أوراقها (٢٨١) ورقة ، في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر ، سبع كلمات ، وقياسها (٢٠×١٤سم) ٠

في وجه الورقة الأولى كُتِبَ : (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرفَ العلم الجلي والنسب العلي ، تأليف سيدنا وشيخنا الشيخ الامام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة ، فريد دهره ووحيد عصره ، سلالة الشرف وعنوانه السيد الشريف نورالدين والدنيا علي بن الامام العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة تغمده الله

بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان بحرمة جده) ، وهذا العنوان الطويل لا يكتبه المصنف ، بل كُتِبَ من قبل الناسخ ، بدليل قوله : (تأليف سيدنا وشيخنا) ، وقوله : (تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان بحرمة جده) ، والمؤلف لا يقول ذلك ، لأجل ذلك لا نثبت في الكتاب هذا العنوان الطويل .

وفي ظهر الورقة الأولى كُتِبَ : (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أعزَّ أولياءَه ... الخ) ، وفي نهاية القسم الأول كُتِبَ : تم القسم الأول ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله تَعالى) .

وفي نهاية الورقة الأخيرة من القسم الثاني كُتِبَ : (قال مؤلفه نفع الله به وعامله بخفي لطفه : فرغتُ من تأليفه في اليوم المبارك الثامن من شهر ربيع الثاني عام سبع وتسعين وثمانمائة والحمد لله وحده لا شريك له ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم ، كان الفراغ من رقم هذه النسخة المباركة نهار الخميس المبارك سلخ شهر الحجة الحرام ، شهدت سنة ثمان وسبعين وألف من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبعد مسافة من الفراغ ، كُتِبَ : (بعناية سيدنا الفتح الفاضل العلم الماجد الكامل شمس الدار حمد بن جابر المؤذن ، ختم الله لنا وله بالصالحات ، ورفع في الدارين الدرجات بحق سيدنا محمد عليه وعلى آله من الله أفضل الصلوات ، بخط أفقر عباد الله اليه المعترف

بالخطأ والتقصير الراجي عفو الملك القدير محمد بن يحيى بن نور عفى الله عنه آمين) .

٢ ـ نسخة وقف الحاج أمين أفندي (م)

وهي نسخة قديمة رديئة الخط ، وقع خرم في آخرها ذهب بورقتين من الأخير ، وقد ختمها الناسخ في أول الخرم ، رمزنا لها بالحرف (م) ، لأنه أحد حروف اسم المالك .

وهي موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد ، تحت رقم (٣٩٢) أدب ، عدد أوراقها (٢٢٧) ورقة ، مقياسها (٢٠×١٤سم) ، يبلغ متوسط عدد أسطر الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات ، وقد كُتِبَ في وجه الورقة الأولى : (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف لعلم االجلي والنسب العلي ، تأليف سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة ذو التصانيف المفيدة النافعة فريد دهره ، ووحيد عصره ، سلالة الشرف وعنوانه ، السيد الشريف نور الدنيا والدين علي بن الامام العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة) .

وحول العنوان كتابات تصعب معرفتها ، وفيها ختم مدور مكتوب داخله : (هذا الكتاب وقف الحاج أمين أفندي الساكن في بغداد ، وأوقف على كتبخانة جامعه الواقع في محلة دكان شناوة ، « ١٣٢١هـ ») .

وكُتِبَ في ظهر الورقة الأولى : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ، الحمد لله الذي أعزَّ أولياءَهُ ... الخ) .

وفي نهاية القسم الأول من الكتاب كُتِبَ : (تم القسم الأول من جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ويتلوه القسم الثاني إن شاء الله تعالى بحمد الله وعونه وحسن توفيقهِ) .

وكُتِبَ في الورقة الأخيرة من الكتاب في الحاشية : (خاتمةَ الكتاب) بكتابة كبيرة ، وأسفله الختم الذي ذكرناه في وجه الورقة الأولى .

ولما كانت هذه النسخة مخرومة من الأخير ، ختمها الناسخ عند الخرم بكتابة مغايرة عما في النسختين الأخيرتين بقوله : (وطاعة رسولك فأرددها عليه ، فردها الله تعالى ، فصلى عليٌّ رضي الله تعالى عنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) ، وهذه الكتابة من الناسخ ، لأن الكتابة في النسختين الأخيرتين تختلف عنها ، وهي : (فأردد عليه الشمس الحديث ، وقد صححه الطحاوي ... الخ) .

٣ ـ نسخة وقف إبراهيم فصيح الحيدري (ب)

وهي نسخة جيدة حديثة الخط بالنسبة للنسختين السابقتين ، وفيها تصحيحات كثيرة في الحواشي وبين الأسطر ، مما يدل على أنها قورنت بنسخة أخرى ، وقد

أسند أحمد بن محمد فاطن روايتها عن المؤلف ، بسند ذكره في وجه الورقة الأولى ، وذكر تاريخ نسخها في سنة (١١٧٢هـ) ، وذكر إسمه وأسماء الذين روى عنهم (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين) ، الى أن أوصله الى المؤلف .

والنسخة المخطوطة موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٢/٢٩٨٤) أدب ، عدد أوراقها (١٦٧) ورقة ، قياسها (٣٠×٢٠سم) ، عدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٣٠) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر (١٩) كلمة ، وقد رمزنا لها بالحرف (ب) ، لأنه أحد حروف إسم صاحبها .

كُتِبَ في وجه الورقة الأولى : (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب النبوي ، تأليف الشيخ الامام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة السيد الشريف نور الدنيا والدين علي بن سيدنا الشريف العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وتقبل منه آمين) .

وفي أسفل الورقة كُتِبَ : (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم) ، وبين الكتابتين كُتِبَ : سند رواية الكتاب وهو : (الحمد لله وحده ، يقولَ العبد الفقير الى مولاه أحمد بن محمد فاطن عفا الله عنهما وغفر زلتهما : أروي جواهر العقدين وجميع مؤلفات مؤلفه رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مصيره

ومأواه عن سيدي السيد الجليل العالم النبيل يحيى بن عمر بن مفصول الأبدل رحمه الله تعالى بالاجازة مكانه عن شيخه العلامة أبي الأسرار الحسن بن علي العجمي المكي رحمه الله عن شيخه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي شارح الشفار رحمه الله عن شيخه القاضي علي بن جارالله القرشي المكي عن الرجل السند محمد جارالله بن الحافظ عبدالعزيز بن فهد عن المؤلف العلامة السيد الشريف نورالدين علي بن عبدالله السمهودي الحسني رحمهم الله تعالى ، وقد أجزت أولادي ومن أخذ عني ومن أدرك حياتي ، وكفى بما فيه توصيةً لهم ، وهو حسبي وكفى به ، الفقير أحمد بن محمد فاطن عفا الله عنهما تعالى شهر صفر سنة اثنتين وسبعين بعد المائة والألف والحمد لله أولاً وآخراً وهو حسبي وكفى) ، هذا السند كُتِبَ بخط مغاير لخط المخطوطة ، وكُتِبَ أسفله بخطَ المخطوطة : (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم) .

وفي الجانب الأيسر من الورقة ختم كُتِبَ فيه : (وقف المرحوم إبراهيم فصيح الحيدري على تكية الخالدية) ، وكُتِبَ أسفل الختم في الحاشية : (سمهوط بالطاء وضم السين والمشهور فتحها بلدة كبيرة بمصر نُسِبَ اليها الامام أحمد بن علي الحسني وولده جمال الدين عبدالله بن أحمد المتوفى سنة (٨٦٦هـ) ، وولده علي بن عبدالله نزيل المدينة ومؤرخها ، ولادته سنة

(٨٤٤هـ) ، ذكره السيد المرتضى في شرحه للقاموس[١] فراجعه) .

وفي نهاية القسم الأول من الكتاب كُتِبَ : (تم الجزء الأول من جواهر العقدين بحمد الله ومنّه وفضله ، ويتلوه القسم الثاني إن شاء الله ، إن شاء الله الاعانة آمين) .

وفي الورقة الأخيرة من القسم الثاني كُتِبَ : (تم كتاب جواهر العقدين للسيد الشريف أبي عبدالله السمهودي رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وأحسن اليه ورزقنا الله حب أهل بيت نبيه ، ونفعنا بمحبتهم في الدارين آمين) .

وفي أسفل الورقة كُتِبَ : (كان تمام تحريره ليلة الأحد عشرين من شهر الحجة الحرام سنة ست وأربعين ومائة وألف برسم سيدنا وبركتنا وقدوتنا القاضي إبراهيم بن أحمد العيابي رزقه الله فهم معانيه وبلّغه من الخيرات في الدارين فوق أمانيه آمين آمين) .

وفي الجانب الأيسر من الورقة كُتِبَ : (طالعته بجهد الله ، والظاهر عليه الصحة ، لعله نُقِلَ وقُوبِلَ على نسخة صحيحة ، وفيه كفاية لمن أراد الطريقة المحمودة التي سلكها المنصفون ، جزاهم الله عن الاسلام خيراً آمين) ، وهذه الفقرة تدل على أن النسخة قُوبِلت على نسخة أخرى صحيحة ، لكنها حديثة النسخ .

---

(١) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (سمهوط) .



عملنا في التحقيق

ان التحقيق هو إظهار الكتاب الذي نحققه كما وضعه مصنفه أو قريباً منه ، ولما كنا لم نتمكن من العثور على النسخة التي كتبها المصنف ، فقد إعتمدنا على ثلاث نسخ : أحدها قديمة في تاريخ نسخها ، واضحة في كتابتها كاملة بمادتها ، والثانية رديئة الكتابة غير معروف تاريخ نسخها ، لكنها قديمة كما يظهر من كتابتها ، وقد سقط من أخيرها مقدار صفحتين ، فجعلنا الأولى أصلاً لكمالها ووضوحها وقِدمها ، والثانية مساعدة لنقصانها ٠

والنسخة الثالثة كان خطها حديثاً وواضحاً ، فيها إستدراكات كثيرة ، جعلناها مساعدة أيضاً ٠

ويمكن تلخيص ما قمت به من عمل في التحقيق بالنقاط التالية :

١ ـ اعتمدتُ في التحقيق على النسخة الأصل ، وأثبت ما فيها ، ورجعت الى النسختين الأخيرتين في المطابقة ، وأشرت الى الزيادة والنقصان بين النسخ في الحاشية ٠

٢ ـ أثبت ما حدث بين النسخ من تفاوت واختلاف في الحاشية وهو قليل ، وترجمت للأشخاص غير المشهورين ، تجنباً من إثقال النص بالحواشي ٠

٣ ـ ملاحظة الآيات القرآنية التي وردت في الكتاب ، وعرضتها على المصحف الشريف ، ثم ذكرت إسم السورة ورقم الآية في الحاشية ٠

٤ ـ إرجاع الأبيات الشعرية الى دواوين الشعراء أو الى الكتب المعتمدة ٠

٥ ـ إرجاع الأحاديث الشريفة الى كتب الصحاح وكتب الحديث الأخرى ، وكتب الحديث التي أشار اليها المصنف ، وبينت الاختلاف بين ما ذكره المصنف وبين ما ورد في الكتب المذكورة في الحاشية ٠

٦ ـ كتابة النص بالخط الحديث ، دون الاشارة الى الاختلاف بين الخط القديم والخط الحديث ٠

٧ ـ ملاحظة النصوص التي إقتبسها المصنف من كتب الذين سبقوه ، مثل كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ، ومقدمة كتاب شرح المهذب للنووي ، وكتاب الجامع للخطيب البغدادي ، وكان الاقتباس من الكتاب الأول كثيراً ، وقد أشرت الى النصوص المقتبسة في الحاشية ٠

٨ ـ وضعت الكلمة أو الكلمات التي أخذتها من النسختين ، والتي كانت ساقطة من الأصل بين قوسين معقوفين ، وأشرت الى ذلك في الحاشية ٠

٩ ـ أشرت الى السقطات التي وردت في النسختين في الحاشية ٠

١٠ ـ عملت فهارس فنية للكتاب ، للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وأبيات الشعر ، والأقوال والأمثال ، والأعلام ، وفهارس الموضوعات ، وسوف أضعها في أخير القسم الثاني من الكتاب ٠

وبذلك أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب بصورته الصحيحة ، والله الموفق الى الخير والهدى ٠



كتاب

جواهر العقدين في فضل الشرفين

شرف العلم الجلي والنسب العلي

تأليف سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة

ذو التصانيف المفيدة

وحيد عصره سلالة الشرف

السيد الشريف نور الدنيا والدين علي

بن الإمام العلامة جمال الدين عبد الله

الحسني السمهودي الشافعي

ورقة العنوان من نسخة وقف الحاج أمين افندي (م)



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

الحمد لله الذي اعز اولياءه اعلام الدين، وقمع بردهم وحججهم، وخذل
اعداءه الذين هم للاعلام معادين، وامر ببغضهم ونهى عن قربهم، ومعنى
العاقبة للمتقين، ودائرة السوء على الظالمين. والصلاة والسلام على سيدنا
محمد امام الهادين، ومرشد العلماء والمتعلمين، وصحابته الذابين عن الملة
المحمدية، المبينين معالمها للمسترشدين، واهل بيته الطيبين الطاهرين،
ما سعد محبهم وودهم، وشقي امرؤ ببغضهم وصدهم [illegible] وبعد
فان الله تعالى قد اختص عباده اهل العلم السنية واهل البيت النبوي
تخصيصا بالشرف العلي، وحباهم رفيع الدرجات وجعل حبهم ومودتهم
من اجل القربات، واعلى المثوبات، والانتصاب لعداوتهم والتصدي
من اعظم الموبقات، وذلك الاذى والمعاداة لهم من بعض اشقياء [illegible]
وسكانه [illegible] في الجهالة وما جبلوا عليه من السفالة والبغي
ولما اقتضته حكمة الناس من حبهم للاذى وبغضهم للكرام فيه
غاية جهدهم في اخمال ذكرهم واسقاط كلمتهم [illegible]
ابدا ساعون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو
كره المشركون، ولله در شيخ مشايخنا شيخ الاسلام العلامة الامام [illegible]
زين [illegible] الولي بن العراقي حيث يقول [illegible]
شيخ الاسلام [illegible] العصر الشرف المناوي لنفسهما الله برحمته

هذا زمان فيه ترفع الحكم [illegible] وذاك من اعظم خطب [illegible]
مرادهم به يطفئوا نور الهدى لا بلغوا ولا سعوا ما اليه [illegible]

فاستخرت الله تعالى في تاليف رسالة كافلة بعظم حق هذين الشرفين

الورقة الاولى من نسخة وقف الحاج امين افندي (م)



وأما نظام الطرفين أنظم جواهرها في عقدين وأقسمها إلى قسمين
القسم الأول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك وفيه ثلاثة
أبواب الباب الأول في إيراد الأدلة الدالة على فضل العلم والعلماء ووجوب
توقيرهم واحترامهم والتحذير من بغضهم والأذى لبعضهم الباب الثاني
في بيان منشأ معاداتهم ومعاداة الله لمن عاداهم من أهل البيت الكرام ومحبة
الإمام للإمام، والتحذير من موالاة من عادى العلماء ومعشر وعنه في
وتقديمه والأخذ بمعالي الهمم والإعراض عن سفسافها الباب
الثالث في آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم القسم الثاني
في فضل أهل البيت النبوي وشرفهم العلي وفيه خمسة عشر ذكرا الأول
ذكر تفضيلهم بما أنزل الله عز وجل من تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم وتحريم
الصدقة عليهم وعظيم شرف أصلهم واصطفائهم وأنهم خير الخلق الثاني
ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليهم في امتثال ما شرعه الله من
الصلاة عليه ووجه الدلالة على إيجاب ذلك في الصلوات الثالث ذكر
التسليم عليهم من رب البريات الرابع ذكر حثه صلى الله عليه وسلم الأمة
على التمسك بعده بكتاب ربهم وأهل بيت نبيهم وأن يخلفوه فيهما بخير
وسؤاله صلى الله عليه وسلم من يرد عليه الحوض عنهما وسؤال ربه عن
أهل الأمة كيف خلفوا نبيه صلى الله عليه وسلم فيهما ووصيته صلى
الله عليه وسلم بأهل بيته وأن الله تعالى أوصاه بهم وقوله استوصوا
بأهل بيتي خيرا فإني أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصيمه أخصمه ومن أخصمه
دخل النار [illegible] من حثه صلى الله عليه وسلم على حفظهم والتجاوز عن
مسيئهم الخامس ذكر أنهم أمان للأمة وأنهم كسفينة نوح عليه الصلاة والسلام

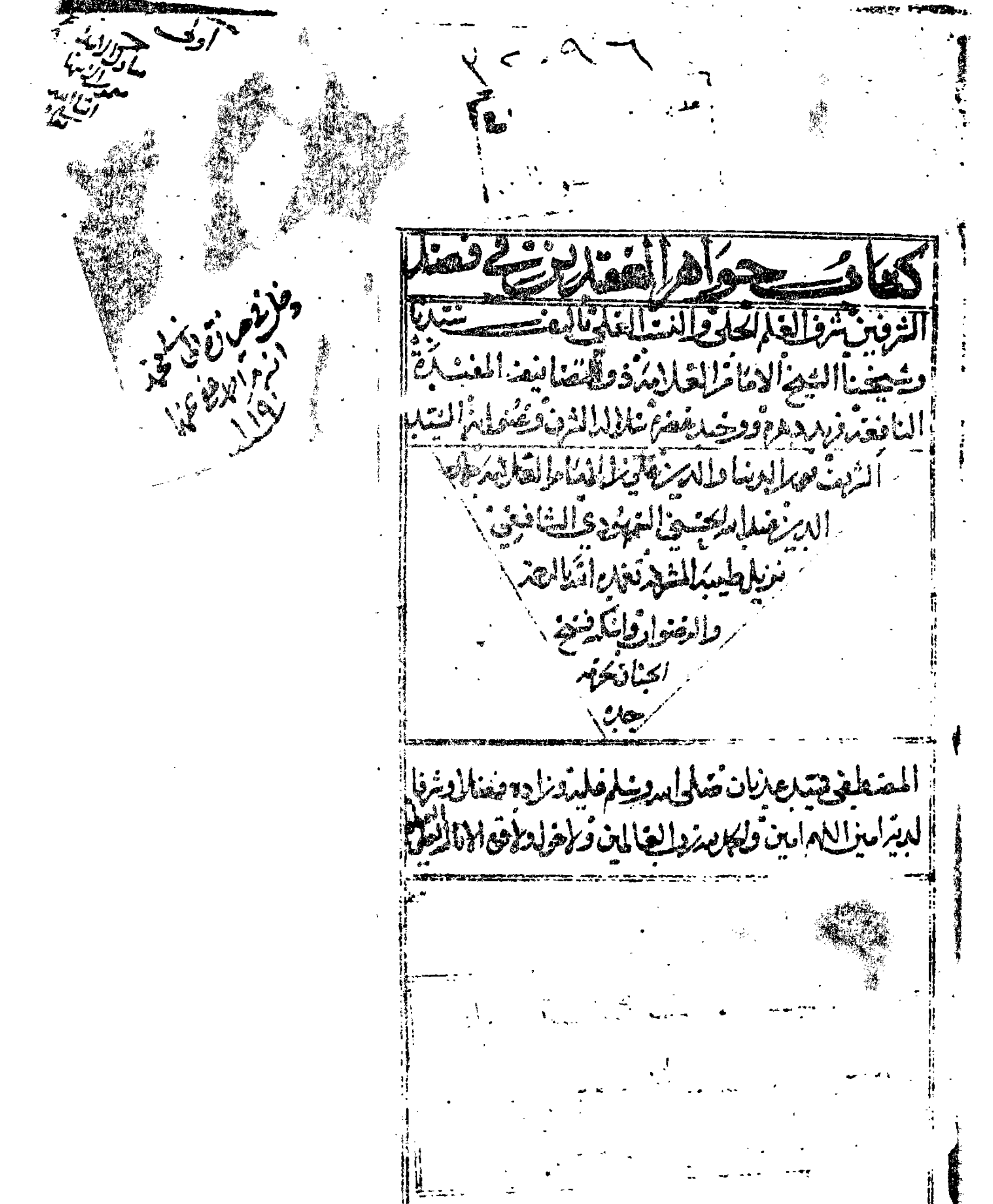
الورقة الثانية من نسخة وقف الحاج أمين افندي (م)



في قبضتك بتقدم بالتوكيل علي فان مضت ثلاثة ايام ولم تخرجه على عبد الله
ابن مصعب حادثة فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد خذ بيد موسى
فليكن عندك حتى انظر في [illegible] قال الفضل فوالله ما صليت العصر في ذلك
اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب [illegible] انه قد
اصابه الجذام وتورم وصرت اليه فوالله ما كدت اعرفه لانه صار كالزق
العظيم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى اتاني خبر
وفاته فبادرت بالخروج وامرت بتعجيل امره فلما دلوه في حفرته انخسفت
بهم حتى خسفه قبره وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فطرحت فيه
احمال شوك مرت علينا فانخسفت [illegible] فطرحت عليه الواح ساج فخر
[illegible] فاعلمت الرشيد بذلك فاكثر التعجب وامر بتخلية موسى
[illegible] واعطاه الف دينار وساله عن العدول عن [illegible]
المفارقة فقال لانا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه [illegible] ما من احد حلف بيمين مجد الله فيها الا استحيى الله من
عقوبته وما من احد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل
الله له العقوبة قبل ثلاث قال المسعودي وقيل ان صاحب هذه القضية
مع يحيى بن عبد الله اخو موسى بن عبد الله [illegible] اهل هذا البيت [illegible]
لا تحصى ولولا ما نراه اشهر من ان نشهر لكتبناها هنا باتفاقه [illegible]
ذكر ما رواه [illegible] في [illegible] الاقلام عقب حديث رد الشمس على
علي رضي الله عنه [illegible] كان راس النبي صلى الله عليه وسلم في حجره والوحي
ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه لم يصل العصر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردده
عليه فردها الله تعالى فصلى علي رضي الله
عنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خاتمة الكتاب

الورقة الاخيرة من نسخة وقف الحاج امين افندي (م)



ورقة العنوان من نسخة محمد بن يحيى (الاصل)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعز اولياءه لاعلام الدين • وقضى بودهم
وحبهم وخذل اعداءه الذين هم للاعلام معادين • وامر
ببغضهم • ونهى عن قربهم وجعل العاقبة للمتقين • ودايرة
السوء على الظالمين • والصلوة والسلام على سيدنا محمد
امام الهادين • ومرشد المضلين والمتعلمين • وصحابته
الذابين عن الملة المحمدية • المتبعين معالمها المسترشدين •
واهل بيته الطيبين الطاهرين • ما سعد تخصص بحبهم وودهم
وشقي اخر ببغضهم وصدهم • اما بعد فان الله قد
اختص عباده اهل العلم السني • واهل البيت النبوي بشرفها
الشرف العلي • وحباهم رفيع الدرجات • وجعل محبتهم
ومودتهم من اهم القربات • واعلى المثوبات • والانتصاب
لعداوتهم والتصدي لاذايتهم من اعظم الموبقات • وقد كثر
الاذى والمعاداة لهم من بعض اشقياء زماننا • وسكان ديارنا
لانغمالتهم في الجهالة • وما جبلوا عليه من الشقاوة والنذالة •
ولما اقتضت حكمة الباري بسر حبهم للاكرم وبغضهم للكرام •
فيبذلون غاية جهدهم في اخماد ذكرهم واسقاط كلمتهم ونهبهم
وامرهم وهم لله كما بدا شاغلون ليطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون وبالله ...

الورقة الاولى من نسخة محمد بن يحيى (الاصل)

شيخ الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي بتغمدهما الله تعالى بغفرانه

الامام ابي زرعة الولي ابن العراقي حيث يقول من ابيات فيما

ابانى به شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمدهما

الله برحمته آمين

هذا زمان فيه رفع الحكم ٥	وذاك من اعظم خطب قد ألم ٥
اراد مرادهم ان يطفئوا نور الهدى ٥	الا بلغوا ولا شفوا بها الالم ٥

فاستخرت الله تعالى في تاليف رسالة كافلة بتعظيم حق هذين

الشرفين وادابهما من الطرفين نظمت جواهرها في عقدين واقسمتها

الى قسمين القسم الاول في فضل العلم والعلما ومتعلقات

ذلك وفيه ثلاثة ابواب الباب الاول في ايراد الادلة

الدالة على فضل العلم والعلما ووجوب توقيرهم واحترامهم

والتحذير من بغضهم والاذى لبعضهم الباب الثاني

في بيان منشا معاداتهم ومعادات غيرهم من اهل البيت الكرام

ومحبتنا للبيام للبيا مر والتحذير من معادات من عادى العلما

ومشروعيته هجرهم وتحقيرهم والاخذ بهما الى الالم والاعراض

من شعائرها الباب الثالث في احباب العلما والتعلم

منهم والاخذين عنهم القسم الثاني في فضل اهل البيت النبوي

وشرفهم العلي وفيه خمسة عشر ذكرا الاول ذكر تفضيلهم بما انزل

الله عز وجل من تطهيرهم واذهاب الرجس عنهم وتحريم الصدقة عليهم

موالات

الورقة الثانية من نسخة محمد بن يحيى (لاصل)



وهذا ما يسر الله عز وجل جمعه وتأليفه في هذا الفن جعله
الله خالصا لوجهه الكريم نافعا للمسلمين شافيا لصدور قوم مؤمنين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا
دائما إلى يوم الدين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
أن هدانا الله قال مؤلفه نفع الله به وعامله بخفي لطفه
فرغت من تأليفه في اليوم المبارك الثامن من شهر ربيع الثاني عام سبع
وتسعين وثمانمائة والحمد لله وحده لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم كان الفراغ من رقم هذه النسخة المباركة
نهار الخميس المبارك سلخ شهر المحرم الحرام من شهور
سنة ثمان وسبعين والف
من هجرة محمد صلى الله عليه وعلى
آله وسلم

بعناية سيدنا الشيخ الفاضل العلامة الأوحد الكامل شمس الدين أحمد بن جابر المؤذن
ختم الله لنا وله بالصالحات ورفع في الدارين الدرجات بحق سيدنا محمد عليه وعلى
آله وأصحابه أفضل الصلوات بخط أفقر عباد الله إليه المعترف بالخطأ والتقصير
الراجي عفو الملك القدير محمد بن يحيى بن ... عفا الله عنه آمين اللهم اغفر له ولمن ...

الورقة الاخيرة من نسخة محمد بن يحيى (الاصل)

جماعة من شيوخنا بالعراق قالوا شاهدنا ابا منصور المظفر ابن اردشير
العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجية مدرسة بباب ابرز محلة
ببغداد وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه
وطرزه بعباراته ونمقه بالفاظه وذكر فضائل اهل البيت فنشأت
سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس انها قد غابت فقام ابو منصور
على المنبر قائما واومأ الى الشمس وانشد شعرا له

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناءهم ... انسيت اذ كان الوقوف لأجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت ولما كان مقصود هذا
التاليف بذل النصيحة للخليفة استغنيت بقوله

لا غرو في نيل محاسن معشر ... بالواضح التبيان والبرهان
نصحا لهم ولامة رضيت ... مودتها لهم في محكم القرآن
فالنصح اوجبه علينا ربنا ... للكل في سر وفي اعلان
هذا وما استقصيت منقبة لهم ... بالمنطق الافصح من التبيان
الا وعندي انني ما قد وفيت ... اصفا ما قد فعلت في ارمان
فمحاسن الآل الكرام كثيرة ... لم يحصها احد سوى المنان
من اجل آل نبيا عمهم لحمد ... خير الخليفة سيد الاكوان
صلى عليه الهنا وعليهم ... والصحب ما الخضر ربا افنان

الورقة ما قبل الاخيرة من نسخة محمد بن يحيى (الاصل)





كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين
شرف العلم الجلي والنسب النبوي تأليف الشيخ
الإمام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة
السيد الشريف نور الدنيا والدين
علي بن سيدنا الشريف الإمام
العلامة جمال الدين عبد الله
الحسني السمهودي
الشافعي
نزيل
طيبة
المشرفة رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وتقبل منه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم

ورقة العنوان من نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعز اولياءه اعلام الدين وقضى بودهم وحبهم وحذر اعداءه الذين هم للاعلام معادين وطهر
بعضهم ونهى عن قهرهم وجعل العاقبة للمتقين ودائرة السوء على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
امام الهادين ومرشد العلماء والمتعلمين وصحابته الدارسين عن الملة المحمدية المبينين معالمها للمسترشدين
واهل بيته الطيبين الطاهرين ما سعد بخصوص ودهم وحبهم وشقي آخر ببغضهم وصدهم اما بعد
فان الله تعالى قد اختص عباده اهل العلم السني واهل البيت النبوي بتخصيص الشرف العلي وحباهم رفيع الدرجات
وجعل محبتهم ومودتهم من اهم القربات واعلى المثوبات والانتصاب لعداوتهم والتصدي لاذيتهم من اعظم الموبقات
وقد كثر الاذى والمعاداة لهم من بعض اشقياء زماننا وسكان ديارنا لاصالتهم في الجهالة وما جبلوا عليه من السفالة والنذالة
وما اقتضته حكمة الناسب من جهلهم للايام وبغضهم للكرام فيبذلون غاية جهدهم في اخمال ذكرهم واسقاط كلمتهم وتجهيلهم وتاثيمهم
وهم بذلك مشابهون من يطفئون نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ولله در شيخ مشايخ الاسلام
العلامة ابو زرعة الولي ابن العراقي حيث يقول من ابيات فيما انبأني به شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمدهما الله
برحمته شعراً هذا زمان فيه نرفع الحكم وذاك من اعظم خطب قد الم مرادهم ان يطفئوا نور الهدى لا يبلغوا ولا يشفوا ما الذي
فاستخرت الله تعالى بالتعرض لما ... بتعظيم هذين القبيلين الشريفين واداء ما لهما من الطرفين لنظم جواهرها في عقدين واسميها بجواهر العقدين

القسم الاول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك وفيه ثلاثة ابواب الباب الاول في ايراد الادلة الدالة
على فضل العلم والعلماء ووجوب توقيرهم واحترامهم والتحذير من بغضهم والاذى لهم الباب الثاني في بيان معنى معاداتهم
ومعادات غيرهم من اهل البيت الكرام وصحبة اللئام والحذر من موالاة من عادى العلماء ومشروعية هجرهم وعقوبتهم والاخذ على
الصحبة والاعراض عن سفههم الباب الثالث في آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم القسم الثاني في فضل
اهل البيت عليهم السلام النبوي وشرفهم العلي وفيه خمسة عشر ذكرا الاول ذكر تفضيلهم بما انزل الله عز وجل من تطهيرهم واذهاب
الرجس عنهم وتحريم الصدقة عليهم وعظيم شرفهم وشرف اصلهم واصطفائهم وانهم خير الخلق الثاني ذكر امره صلى الله عليه وسلم
بالصلاة عليهم وامتثالهم ما شرعه الله تعالى من الصلاة عليه والدلالة على ايجاب ذلك في الصلوات الثالث ذكر التسليم عليهم من رب
البريات الرابع ذكر حثه صلى الله عليه وسلم الامة على التمسك بعده بكتاب ربهم واهل بيت نبيهم صلى الله عليه وسلم وان يخلفوه فيهما بخير وسؤاله
صلى الله عليه وسلم من يرد عليه الحوض عنهما وسؤاله ... الامة كيف خلفوه فيهما ووصيته صلى الله عليه وسلم باهل بيته
وان الله تعالى اوصاه بهم وقوله استوصوا بهم خيرا فاني احاجكم عنهم غدا ومن اكن خصمه اخصمه ومن اخصمه دخل النار وما جاء من
حثه صلى الله عليه وسلم على حفظهم والتجاوز عن مسيئهم الخامس ذكر انهم امان للامة وانهم كسفينة نوح على الصلاة والسلام من ركبها نجا
ومن تخلف عنها غرق وانهم كباب حطة في بني اسرائيل السادس ذكر ان نسبه صلى الله عليه وسلم موصولة في الدنيا والاخرة وان نسبه وسببه
لا ينقطعان واختصاص ولد ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها بانه صلى الله عليه وسلم ابوهم وعصبتهم السابع ذكر ان الله عز وجل وعده
صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب اهل بيته وان لا يدخلهم النار وكيف صلى الله عليه وسلم ... وبشارتهم بها وقوله يا بني هاشم اني قد
سألت الله عز وجل لكم ان يجعلكم نجباء رحماء وسألته ان يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم وما خصوا به من انكار اهل الشقاء
في الفصل الثامن ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة في نسل البتول والمرتضى رضي الله عنهما وان يخرج منهما كثيرا طيبا وقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ... لعلي رضي الله عنهما ... وان المهدي الموعود به لاقامة الدين آخر الزمان من اهل

تخصيصه

وكفاه

الكرام

الورقة الاولى من نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)



عن جده عن ابيه عن جده علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما حلف احد بعد الدين وهو كاذب الا عجل الله له بالعقوبة قبل ثلاث
والله ما كذبت ولا كذبت وها انا يا امير المؤمنين في قبضتك فتقدم بالوكيل علي فان مضت ثلاثة ايام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمي
لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد خذ بيد موسى فليكن عندك حتى انظر في امره فقال الفضل فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم حتى سمعت
الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فاخبرت انه قد اصابه الجذام وتورم فسرت اليه فوالله ما كدت اعرفه لانه صار كالزق العظيم فمرت الى الرشيد
فعرفته خبره وما [illegible] كلامي حتى اتاني خبر وفاته فبدرت للخروج وامرت بتعجيل امره فلما دلي في حفرته لم يستقر فيها حتى انخسف فخرج
وخرجت منه رائحة مفرطة النتن قال وطرحت فيه احمال الشوك [illegible] عليها فانخسف ثانية فطرحت عليه الواح ساج ثم طرح التراب
ثم اعلمت الرشيد بذلك فاكثر التعجب وامر بتخلية موسى بن عبد الله وان اعطيه الف دينار وساله عن العدول عن لبس السواد [illegible]
عن جدنا علي [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من احد حلف بيمين [illegible] الله [illegible] الا [illegible] وما من
احد حلف يمين كاذبة [illegible] الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث ثم قال المسعودي [illegible] صاحب هذا الخبر
هو [illegible] موسى بن عبد الله [illegible] اهل البيت [illegible] ان لله [illegible] كثيرة لا تحصى [illegible]
من ان تشهر فلنختم كتابنا هذا [illegible] غريبة ذكرها سبط ابن الجوزي في رياض الافهام عقب حديث رد الشمس [illegible]
حين كان راس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجره والوحي ينزل عليه [illegible] ولم يصل العصر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس [illegible] وقد صححه الطحاوي وحسنه غيره قال سبط ابن الجوزي [illegible] وفي
الباب حكاية عجيبة حدثنا [illegible] من مشايخنا بالعراق قال لنا شاهدنا ابا منصور المظفر [illegible] الواعظ وقد
جلس بالتاجية مدرسة بباب ابرز [illegible] بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي [illegible]
بالفاظه [illegible] عطلت الشمس حتى ظن الناس انها قد غابت فقام [illegible]
قائما واومى الى الشمس وانشد لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله واثني عنانك ان اردت ثناءهم
انسيت اذ كان الوقوف لاجله ان كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله قالوا فانجاب السحاب وطلعت
الشمس وما كان المقصود في هذا التاليف [illegible] انهيته بقولي شعرا

لا غرو في [illegible] محاسن [illegible] بالواضح البيان والبرهان [illegible] فما لهم في محكم القرآن
فالنص [illegible] للكل في سر وفي اعلان [illegible] بالمنطق الافصح التبيان
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] خير الخليقة سيد الاكوان صلى عليه [illegible] [illegible]

وهذا [illegible] وهذا الغرض [illegible]
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله تم كتابه
[illegible] السيد الشريف [illegible]
[illegible] خيرا [illegible]
ورزقنا [illegible]
ونفعنا [illegible]
[illegible]

[illegible]

كان تمام [illegible] من شهر محرم الحرام سنة [illegible] والف [illegible]
[illegible]

الورقة الاخيرة من نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله الذي أعز أولياءه أعلام الدين، وقضى بودهم وحبهم، وخذل أعداءه الذين هم للأعلام معادين، وأمر ببغضهم، ونهى عن قربهم، وجعل العاقبة للمتقين، ودائرة السوء على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين، ومرشد المعلمين والمتعلمين، وصحابته الذابين عن الملة المحمدية، المبينين معالمها للمسترشدين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ما سعد شخص بحبهم وودهم، وشقي آخر ببغضهم وصدهم.

وأما بعد فان الله [تعالى][2] قد إختص عباده أهل العلم السني وأهل البيت النبوي بخصيص[3] الشرف العلي، وحباهم رفيع الدرجات، وجعل محبتهم ومودتهم من أهم القربات، وأعلى المثوبات، والانتصاب لعداوتهم، والتصدي لأذيتهم من أعظم الموبقات،

(١) في (م) : وصلى الله على سيدنا محمد.

(٢) (تعالى) : ساقطة من الاصل، وهي في م، ب.

(٣) كذا في : (ب) وهو الارجح، وفي الاصل، م : (تخصصياً)، ولا يتفق مع سياق الكلام.

وقد كثر الأذى والمعاداة لهم من بعض أشقياء زماننا، وسكان ديارنا، لاصالتهم في الجهالة، وما جبلوا عليه من السفالة والنذالة، ولما إقتضته حكمة التناسب من حبهم اللئام وبغضهم للكرام، فيبذلون غاية جهدهم في إخمال ذكرهم، وإسقاط كلمتهم، ونهيهم، وأمرهم، وهم بذلك أبداً ساعون (أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[1] . ولله در شيخ مشايخنا [١ظ] شيخ الاسلام العلامة الامام أبي زرعة[2] الولي بن العراقي حيث يقول: من أبيات فيما أنبأني به شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمده الله برحمته آمين:

هذا زَمَانٌ فيه تُرفَعُ الحِكَمْ
وَذَاكَ مِنَ أعظم خَطْبٍ قَدْ أَلَمْ

---

(١) سورة التوبة الآية: ٣٢ .

(٢) هو أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن أبي بكر بن ابراهيم الولي ابو زرعة، الكردي الاصل المهراني القاهري، قاضي الديار المصرية، ولد في القاهرة سنة (٧٦٢هـ)، وتربى فيها، ودرس في الشام، وعاد الى القاهرة، وعلت مكانته فيها، وولي القضاء، وله كثير من المؤلفات في الفقه والاصول والتفسير وغيرها، توفي في القاهرة سنة (٨٢٦هـ)، الضوء اللامع ٣٣٦/١، البدر الطالع ٢/١، الاعلام ١٤٤/١ .

مرادهـم[1] أن يُطفئـوا نـور الهـدى
لا يَبْلُغـوا ولا يَسْـقِـوا ماءَ الديمْ

فاستخرتُ اللهَ تعالـى فـي تأليف رسالةٍ كافلةٍ بعظيم حقِّ هذين الشَّرفين ، وآدابهما مـن الطَّرفين ، أنظمُ جواهرها في عقدين ، وأقسمهما إلى قسمين :

القسم الأوَّل في فضل العلم والعلماء ، ومتعلقات ذلكَ وفيه ثلاثة أبواب : الباب الأول : في إيراد الأدلة الدالة على فضـل العـلم والعلماء ، ووجوب توقيرهم وإحترامهم ، والتحذير مـن بُغضهم ، والأذى لبعضهم . الباب الثاني فـي بيان منشأ معاداتهم ، ومعادات غيرهم من أهل البيت الكرام ، ومحبة اللئام[2] للئـام ، والتحذير مـن موالات مـن عادى العلماء ، ومشروعية هجره ، وتحقير أميره ، والأخذ بمعالي الهمم ، والاعراض عن سَفسافها[3] . الباب الثالث : فـي آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم .

القسم الثاني في فضل أهل البيت النَّبوي وشرفهم العلي ، وفيه خمسة عشر ذكراً .

---

(1) كذا في : م ، ب ، وفي الاصل : (يراد مرادهم) ، وهو زيادة من الناسخ .

(2) في (م) : (اللام ، للام) ، وفي الاصل ، (ب) : (الليام) بقلب الهمزة ياءً ، وقد وافقتُ في الكتابة الخط الحديث ، وكذا تحقيق الهمزة في المواضع القادمة .

(3) كذا في الاصل ، م ، وفي ب : (سفسيفها) .

الأول : ذكرُ تفضيلهم بِمَا أَنزل الله عزَّ وجلَّ من تطهيرِهم واذهابِ الرجسَ عنهم ، وتحريمِ الصدقةِ عليهم [٢و] وعظيمِ شرفِ أَصلهم واصطفائِهم ، وانَّهُمْ خيرُ الخلقِ .

الثاني : ذكرُ أمرهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ بالصَّلاةِ عليهم في إمْتثالِ ما شرَّعَهُ اللهُ من الصَّلاةِ عليه ، ووجهُ الدلالةِ على إيجاب ذلكَ في الصَّلَواتِ .

الثالث : ذكرُ التَّسليمِ عليهم من ربِّ البريَّاتِ .

الرّابع : ذكرُ حثِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم الأُمةَ على التَّمسكِ بعدَهُ بكتاب ربِّهم ، وأَهلِ بيتِ نبيِّهم ، وأَن يُخلفوهُ فيهما بخيرٍ ، وسؤاله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم من يرد عليه الحوضَ عنهما ، وسؤال ربِّهِ عزَّ وجلَّ الأمةَ ، كيفَ خلفوا نبيَّهُ صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم فيهما ؟ ووصيتهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم بأهل بيتهِ ، وأن اللهَ تعالى أوْصَاهُ بهم ، فقولهُ : (استوصوا بأهل بيتي خيراً فانِّي اخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكُن خصيمَهُ أَخصمهُ ، ومَنْ أَخصمهُ دخلَ النَّارَ)[1] ، وما جاءَ من حثِّهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم على حفظهم والتجاوز عَنْ مُسيئهم .

---

(١) سوف يُخرَّج هذا الحديث والاحاديث التي ترد بعده في مقدمة المؤلف عند ورودها في الجزء الثاني ، اي في فضل أهل البيت النبوي وشرفهم العلي .

الخامسُ : ذكرُ أَنَّهُم أَمَانٌ للأمةِ ، وأَنَّهم كسفينة نوحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من ركبها نجا ومن تخلَّفَ عنها غرِقَ ، وأنهم كبابِ حطَّة في بني اسرائيل ٠

السَّادسُ : ذِكرُ أَنَّ رحمَهُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم موصولةٌ في الدُّنْيَا والآخرةِ ، وأَنَّ نسبَهُ وسببَهُ لا ينقطعان ، واختصاص ولد ابنته فاطمة الزهراء رضيَ اللهُ عنها وعنهم بأنَّهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم أبوهم وعصبتهم ٠

السَّابِعُ : ذِكرُ أَنَّ اللهَ تعالى عزَّ وجلَّ ، وعدَهُ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم أَن لا يعذبَ أهلَ بيتهِ ، وأنْ لا يدخلهم [٢ظ] النيران ، وكلفه صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسلَّم بادخالهم الجنان ، وبشارتهم بها ، وقوله : (يَا بني هاشم إنِّي قد سألْتُ اللهَ عزَّ وجلَّ أَنْ يجعلكم نُجَباءَ رُحماءَ ، وسألتهُ أَنْ يهديَ ضالَّكم ، ويؤمنَ خائفكم ، ويشبعَ جائعكم) ، وما خُصُّوا بهِ من الكرامةِ بالشَّفاعةِ في القيامةِ ٠

الثَّامنُ : ذِكرُ دعائهِ صلَّى اللهَ عليه وآلهِ وسلَّم بالبركةِ فَي نسلِ البتولِ والمرتَضى رضيَ اللهُ عنهما ، وأَن يخرجَ اللهُ منهما كثيراً طيِّباً ، وقوله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم : (اللهم إنِّي أُعيذها بكَ وذريَّتَها من الشيطان الرجيم) ، ودعائهِ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ بمثلِ ذلكَ ، وانَّ المهدي الموعود بهِ لاِقامةِ الدِّين آخر الزَّمان من أهل بيتهِ ، ثم من نسلهما ٠

التَّاسِعُ : ذِكرُ الدلالة على ما شرَّع من حُبِّهم ، ووجوب ودِّهم من الكتابِ العظيم .

العَاشِرُ : ذِكــرُ الأَحاديثِ الواردةِ فــي الحثِّ علَى حُبِّهم ، وأَنَّهُ لا يدخلُ قلبَ رجلٍ الايمانُ حتَّى يُحبّهم للهِ ولقرابتهم مــن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليــه وآلهِ وسلم ، والتحذيرِ من آذاهم ، وأنَّ من آذاهم ، فقد آذاهُ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، ومن آذاهُ ، فقــدْ آذا اللهَ عزَّ وجلَّ .

الحادي عشر : ذِكرُ التحذيرِ من بغضِهم وعداوتهم ، وأنَّهُ لا يبغضهم أحدٌ إلاّ أدخلَهُ اللهُ النَّارَ ، وأنَّــهُ لا يبغضهم إلاَّ المنافق ، ولعن من ظلمهم وتحريم الجنَّةِ عليـــه .

الثَّاني عشر : ذكــرُ الحثِّ علَى صلتهم ، وإدخالِ السُّرور عليهـم ، وأَنَّ عيــادةَ بني هاشــم فريضةٌ ، وزيارتَهم نافلةٌ ، وأنَّ من اصطنعَ إلى أحــدٍ من أَهلِ بيتهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يداً كافأهُ عليها يوم القيامَة ، وأنَّ لِلهِ تعالَى ملائكةً سيّاحينَ في الأرضِ وُكِّلُوا [٣و] بمعونةِ آلِ محمدٍ صلَّى اللهُ وسلَّم عليهِ وعليهم ، وأنَّ الفضــلَ والشَّرفَ والمنزلةَ والولايــةَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم وذرِّيتهِ .

الثالث عشر : ذِكرُ مــا درجَ عليــه السَّلفُ مــن توقيرهم وتعظيمهم ، واعترافهم بعظيم حقوقِهم .

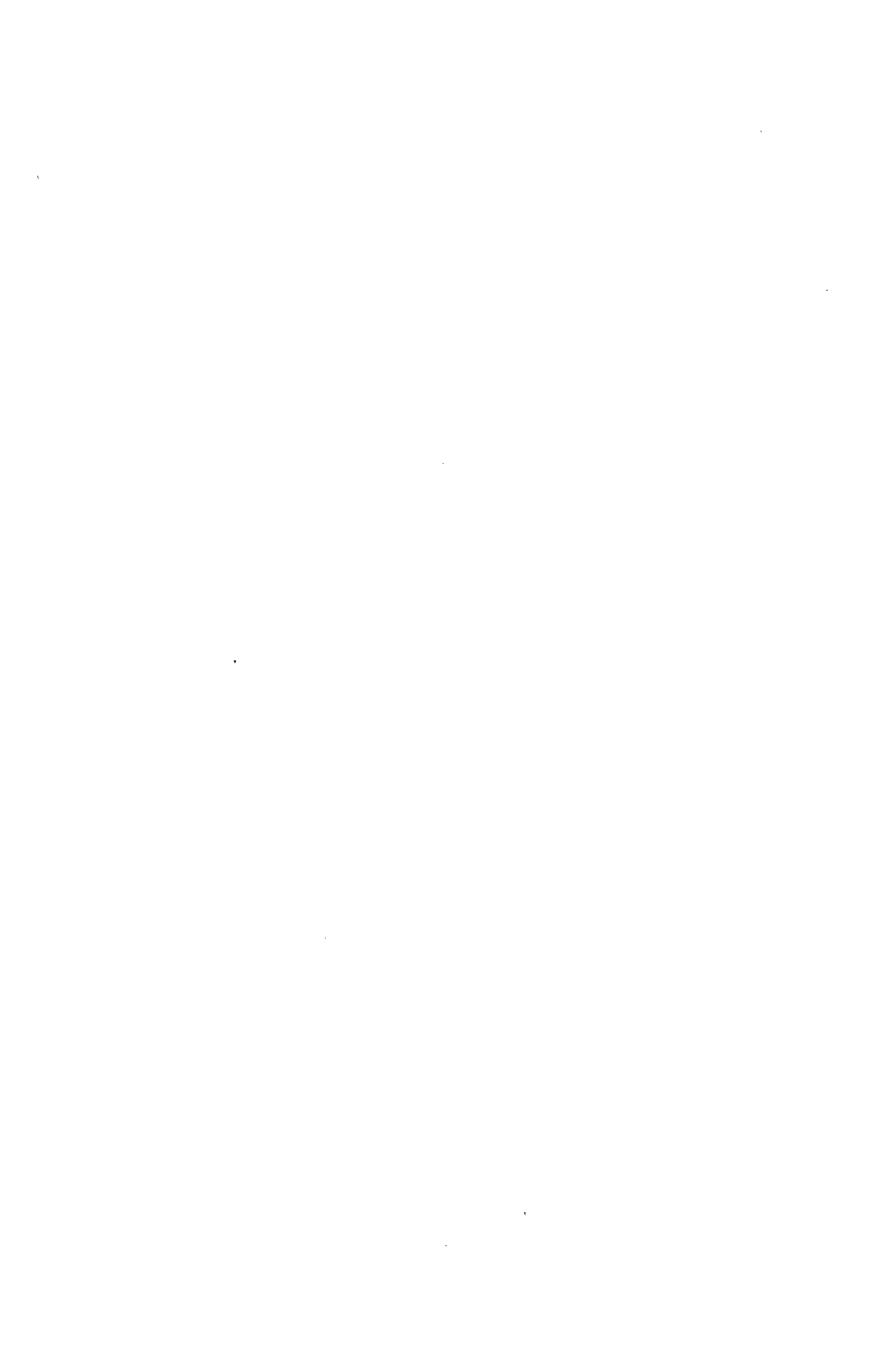
الرابع عشر : ذِكرُ شيءٍ مِمَّا أخبرَ بهِ المصطَفى صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم مِمَا حصلَ بعدَهُ عليهم ، وفيما أُصِيبَ بهِ منَ الانتقامِ من أساءَ اليهم .

الخَامسُ عشر : ذِكرُ ما يطلبُ لهُم من الآداب الزَّكيَّة والأَخلاقِ السَنيَة ، والهممِ العليَّة . وفقنا اللهُ وإيَّاكم لسلوكِ سبيلِها والتَّحلي بجميلها .

وسميتُهَا (جَوَاهِر العِقدينِ في فضلِ الشَرفين شرفِ العِلْمِ الجلي والنسبِ العَلي) ، وقدَّمتُ الأوَّلَ ، لأنَّ العلمَ هو الامامُ ، وختمْتُ بالثَّاني لحيازهِ شرف الختام والمرجو من اللهِ تعالَى أَنْ ينفعَ[1] بذلكَ ، وينقذَ[2] بهِ منَ المهالك ، وباللهِ لا سِوَاهُ أَعتصمُ ، وأَسألهُ العصمةَ مِمَّا يعصمُ ، فهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي ب : (ينفعنا) .
(٢) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : (ينقذنا) .



القسم الأول
في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلكَ
وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول
في إيراد الأَدلة الدالة على فضل العلم والعلماء ووجوب توقيرهم واحترامهم والتحذير من بغضهم والأذى لبعضهم

قــد تظاهرت الآيات ، وصحيح الأخبــار ، والآثار ، وتواترت الدلائلُ العقليــةُ والنقليــةُ ، وتوافقتْ علـى هذا الغرض الذي أشرنا اليه ، وعوّلنا[1] في هذا الباب عليه ، وإنّما نوردُ أَشياءَ من ذلــك تنبيهاً على مـــا هُنالَكَ ، ليُشرق قلبُ المؤمنِ [٣ظ] باليقين، ويَشْرَقَ صدرُ العدو اللّعين ، ويُقَدِّرُ العُقلاءُ علماءَ الشريعةِ حــقَّ قدَرِهــم ، وتمتلي بأَنوارِ ذلــكَ صدُورُهم ، فنقــولُ : قــالَ تعــالى : ﴿ هَــلْ يَســتَوي الّذيــنَ يَعْلَمُونَ وَالّذينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[3] ، وهو من عطف الخاص على العام ، لأنَ العلماءَ أَخصُّ من المؤمنين ، ويكونُ المعنَى أَنّــهُ

---

(١) في (ب) : وعولنا عليه في هذا الباب ، وما ذكرناه أولى .

(٢) سورة الزمر الآيــة : ٩ .

(٣) سورة المجــادلة الآيــة : ١١ .

يرفعُ المؤمنينَ على غيرِ المؤمنينَ ، ويرفعُ العلماءَ من المؤمنين علَى بقيَّةِ المؤمنين ، ولِهذا جاءَ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال : يرفعُ اللهُ الَّذينَ أُوتوا العلم علَى الَّذينَ آمنوا درجات[1] ، رواهُ الدارمي ، وفي روايةٍ لغيرِه عن ابنِ عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : (للعلماءِ درجاتٌ فوقَ درجاتِ[2] المؤمنين بسبعمائةٍ ، ما بين الدَرجتين خمسمائة سنةَ) .

وفي روايةٍ عنهُ : (ما بين الدرجتين مائة عامٍ)[3] ، في مسند الدارمي عن الزهري قال : (فضلُ العالِمِ على المجتهد ـ يعني في العبادةِ ـ مائةُ درجةٍ ، ما بين الدرجتين خمسمائةُ سنةٍ حُضْرِ الفرسِ المضمر السريع)[4] ، وقولهُ : حُضرُ الفرس بضم الحاء المهملةِ يعني عدوَهُ .

وبهذا يتبينُ ما أُشيرَ اليه في قوله في الآية الأولى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)[5] . وقال تعالى : (إنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)[6] ، أي لأنَّ خشيةَ اللهِ إنَّما تنشأُ عن العلمِ به ، وبصفات ذاتهِ ،

---

(١) ينظر كلام ابن عباس في سنن الدارمي ١/٨٤ .

(٢) (درجات) : ساقطة من م ، ب .

(٣) هذا جزء من حديث أورده ابن جماعة ، وهو بتمامه : (العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام) ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص٥ .

(٤) الحديث ذكره الدارمي عن الزهري السنن ١/٨٤ .

(٥) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٦) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

وصفات فعله ، ومن خامر قلبه علم ذلك أورثه الخشية لله ، ولا تتم الخشية بدون هذا العلم ، فإذا ضممت إلى هذه الآية قوله تعالى : (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)(1) . الى قوله : (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)(2) ، [٤و] حصل من مجموع ذلك (أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى ، وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية ، فينتج العلماء هم خير البرية)(3) ، وكيف وهم ورثة الأنبياء كما يعلم مما سيأتي ؟ (فكما إنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ، فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة)(4) . وقال تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(5) . فأوجب على من لا يعلم سؤالهم ، والرجوع إليهم ، وقال تعالى : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ الآية)(6) .

فبدأ سبحانه بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم ، فناهيك بهذا شرفاً وجلالةً ونبلاً ، إذ لو كان ثم من هو أشرف من العلماء لقرنه الله تعالى باسمه واسم ملائكته ، كما قرن اسم العلماء .

---

(1) سورة البينة الآية : ٧ .
(2) سورة البينة الآية : ٨ .
(3) النص للبدر بن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص٦ .
(4) النص للبدر بن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص٦ .
(5) سورة النحل الآية : ٤٣ .
(6) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

قلتُ : والسرُّ فيه أنَّ الشهادةَ مشتقةٌ من الشُّهُودِ المقتضي لتحققِ المشهودِ بهِ عندَ من شهدَ ، وأُولوا العلمِ أكملُ النَّاسِ علماً بوحدانيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وسائرِ صفاتهِ ، قد خامرَ هذا العلمُ قلوبهم بحيثُ لا يغيبُ عنها ، وذلكَ منشأ جميع النعم ، فكانَ لهم هذهِ المنزلةُ ، وقالَ تعالى : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)(١) ، فانظر الى تخصيصهِ تعالى للعلمِ بالأمرِ لحبيبهِ وأشرف خلقه بطلبِ المزيدِ منهُ معَ عظيمِ ما أنعمَ بهِ عليهِ ممَّا لا يحيطُ بهِ إلاَّ اللهُ تعالى ، لأنَّهُ أصلُ النعمِ كلِّها ، فلو كانَ شيءٌ أشرفَ من العلمِ لأمرَ اللهُ حبيبَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم أنْ يسألَهُ المزيدَ منهُ كما أمرهُ أنْ يستزيدَ من العلمِ ، فأعظم بهذهِ الرتبةِ !

وقالَ تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وسُلَيْمانَ علماً وَقَالاَ الْحَمدُ للهِ الَّذي فَضَّلَنا على [٤ظ] كثيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنينَ)(٢) ، فَتَأمَّل هذهِ الآيات ، وما شتملت عليهِ من أنواع الدَّلالاتِ علَى تفضيلِ العلمِ وأهله سيما الأخيرةُ ، فانَّ اللهَ تعالى آتى داود وسليمانَ عليهما الصلاةُ والسلامُ من نعمِ الدارين ما لا تنحصر(٣) ، ولم يذكر من ذلكَ في صدرِ هذه الآيةِ في مساقِ الامتنان عليهما ، وشكرهما الجزيلُ ما أنعم

---

(١) سورة طه الآية : ١١٤ .

(٢) سورة النمل الآية : ١٥ .

(٣) كذا في : (م) وهو الارجح ، وفي الاصل ، (ب) : (ينحصر) .

بِهِ إلاّ العلمُ ، ليبيّنَ أنَّهُ الأصلُ في النِّعمِ كلها ، (فَلَقَدْ كَانَ داودُ مِنْ أعبدِ البشرِ)[1] ، كما في صحيح مسلم[2] ، وذلكَ من آثارِ علمهِ ، وجمعَ اللهُ لهُ ولابنهِ سُليمانَ عليهما السَّلام ما لَمْ يجمعْهُ لأحدٍ ، وجعلَ العلمَ أصلاً لذلكَ كلِّه ، وأشارَ داودُ وسليمانُ إلى هذا المعنَى بقولهما : (الْحَمدُ للهِ الَّذي فَضَّلَنَا عَلَى كَثيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمنِينَ)[3] ، لأنَّ اللهَ تعالى حكاهُ عنهما عقبَ قولهِ : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمانَ علْماً) ، فأُفهِمَ أَنَّهُمَا شكرا بهذا الحمد ما آتاهما إيَّاهُ من أَصلِ كلِّ النعمِ الَّذي هو ما نالاهُ من العلمِ ، وأنَّهُ السببُ في التَّفضيلِ .

قالَ التَّقي[4] السَّبكي ـ عقبَ ذكرِ هذا المعنى ـ : وإنَّما قالَ (وقالا) بالواوِ دونَ الفاءِ ، لأنَّهُ لو أُتيَ بالفاء كانَ بمنزلةِ قولكَ : فشكراً ، ويكونُ الشكرُ هو قولهما ذلكَ لا غيرَ ، فعدلَ الى الواوِ لما يُتوهَّم من الاقتصار في الشكرِ على ذلك ، وليشيرَ الى الجمع

---

(١) المستدرك للحاكم (٢/٤٣٣) .

(٢) لفظه في صحيح مسلم (رقم ١١٥٩) « فصم صوم داود نبي الله صلى الله عليه وسلم فانه كان أعبد الناس » .

(٣) سورة النمل الآية : ١٥ .

(٤) هو علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي ، ولد بسبك من اعمال المنوفية سنة (٦٨٣هـ) ، ودرس في القاهرة ، والشام ، وأصبح فقيهاً وحافظاً ومفسراً وولي القضاء في الشام سنة (٧٣٩هـ) ، واعتل واعادَ الى القاهرة وتوفي فيها سنة (٧٥٦هـ) . ينظر الدرر الكامنة ٣/١٣٤ ـ ١٤٢ ، الاعلام ٥/١١٦ .

في الايتاء لهما بين العلم وقولهما ذلكَ المحقق لمقصود العلمِ من القيام بوظائف العبادة ، وكلٍّ خصلةٍ حميدةٍ ، فلذلكَ يوخذ منه مسائل ، ذكرَ العلماءُ منها : (أنَّ فضلَ العلمِ أفضلُ من فضلِ العبادةِ)[1] ، ومنها : (أنَّ العلماءَ أفضلُ من المجاهدين)[2] ، ولهذا كان مدادُ العلماء أفضلُ [٥و] من دَمِ الشُّهداءِ ، وأعظمُ ما عندَ المجاهد دمُهُ ، وأهونُ ما عندَ العالمِ مدادهُ ، فما ظنُّكَ بأشرفَ ما عندَ العالم من المعارف والتفكرِ في آلاء الله تعالى ، وفي تحقيقِ الحقِّ ، وبيانِ الأحكام ، وهدايةِ الخلقِ ، ولذلكَ جُعلوا ورثةَ الأنبياءِ ، وهذا معنَى قوله تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ)[3] انتهى .

قلتُ : وفي قوله تعالى لحبيبه صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)[4] ، يوخذُ منهُ التفضيلُ المذكورُ في المسألتين ، وكذا ممَّا قبلهُ بضميمةِ ما تقدمت الأشارةُ اليهِ ، وسنُوردُ من الآثارِ[5] والأخبارِ ما يُصرِّحُ بذلكَ .

---

(١) في مختصر جامع بيان العلم وفضله : (فضل العلم أعجبُ اليَّ من فضل العبادة) ص١٨ .

(٢) الحديث ذكره ابن عبدالبر عن أبي هريرة ، وهو : (للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٩ .

(٣) سورة النمل الآية : ١٦ .

(٤) سورة طه الآية : ١١٤ .

(٤) كذا في الاصل ، (ب) ، وفي (م) : (الاخبار والآثار) .

فعن أَبي أُمامة الباهلي رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم رَجُلانِ : أَحَدُهُما عَابِدٌ ، والآخَرُ عَالِمٌ ، فقالَ : فَضْلُ العَالِمِ علَى العَابِدِ كَفَضْلِي علَى أَدْنَاكُمْ)[1] • ومن ثم قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم : (إنَّ اللهَ وملائكتَهُ وأَهلَ السَّماواتِ والأَرضِ حتَّى النملةَ في جُحْرِهَا ، وحتَّى الْحُوت لَيُصَلُّونَ علَى معلمِي النَّاسِ الخيرَ)[2] • رواهُ الترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، ورواهُ البزَّار مختصراً من حديث عائشة ، بلفظ (معلم النَّاسِ الخيرَ يستغفر لهُ كلُّ شيء حتَّى الحيتانُ في البحر)[3] •

وجاءَ مطولاً عن أبي الدرداء قال : سمعتُ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم يقول : (مَنْ سلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهَّلَ اللهُ له طَرِيقاً إلى الجنَّةِ ، وَإنَّ المَلائِكَةَ لتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضَاً بما يصنع ، وإنَّ العَالِمَ يَستغفِرُ لهُ من في السماواتِ ومن في الأرضِ حتَّى الحيتانُ في الماء ، وفضلُ العالِمِ على العابدِ [٥ظ] كفضلِ القمرِ عَلَى الكَواكِبِ ، وإنَّ العُلَماءَ وَرثَةُ الأنبياء ،

---

(١) الحديث رواهُ الترمذي بنفس السند ، صحيح الترمذي ١٠/١٥٧ •

(٢) الحديث رواهُ الترمذي وفيه (الارضين) مكان (الارض) ، و (معلم) مكان (معلمي) ، ١٠/١٥٧ ، وانظر ابن ماجة ١/٨٧ •

(٣) ورواهُ ابن ماجة عن أبي الدرداء بلفظ مغاير لهذا الحديث • سنن ابن ماجة ١/٨٧ •

إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنَّما ورَّثوا العلمَ ، فمن أَخذهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ)[1] رواهُ أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حِبَّان وصحَّحهُ ، وأحمد بنحوهِ باختصار ، وكذا الحاكم وصحَّحهُ ، والبيهقي ، ولفظهُ : (من غدا يريدُ العلمَ يتعلَّمهُ فتح اللهُ لهُ باباً إلى الجنَّةِ ، وفَرشتْ لهُ الملائكةُ أَكنافها ، وصلَّى عليهِ ملائكةُ السَّماء وحيتانُ البحرِ ، وللعالم من الفضلِ على العابدِ كالقمرِ ليلة البدرِ علَى أصغر كوكبٍ في السماءِ الحديث ، وزادَ في آخره ، موتُ العالمِ مصيبةٌ لا تُجبَرُ ، وثلمةٌ لا تنسدُّ ، وهو نجمٌ طُمِسَ ، وموتُ قبيلةٍ أَيسرُ من موتِ عالمٍ)[2] .

وأَخرجَ الدَّيلمي والحافظ عبدالغني منهُ عن البرَّاء بن عازب رضيَ اللهُ عنهُ مرفوعاً : (العُلَماءُ ورثةُ الأَنبياءِ يُحِبُّهم أَهلُ السماء ، ويستغفرُ لهم الحيتان في البحرِ إذا ماتُوا الى يَوْمِ القِيامةِ)[2] .

وللدرامي في مسنده عن مكحول رفعه : (انَّ اللهَ وملائكته وأهلَ سماواتهِ وأرضهِ ، والنونَ في البحرِ يُصلُّونَ علَى مُعلِّمي النَّاسِ الخَيرَ)[3] .

---

(1) الحديث رواهُ ابن حنبل ١٩٦/٥ ، ابو داود ٢٨٥/٢ ، الدارمي ٨٣/١ ، ابن ماجة ٨١/١ .

(2) ذكر آخر الحديث من قوله : موت العالم ... الخ محمد بن علي الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٩٥ .

(3) ذكره الدارمي جزءاً من حديث عن ابن مكحول ، وهو بتمامه : (فضل العالم على العابد كفضلي عن أدناكم ، ثم تلا هذه الآية : (انما يخشى الله من عباده العلماء) ان الله وملائكته ... الخ) . سنن الدارمي ٧٥/١ .

قلتُ : والصلاة من اللهِ تعالى بمعنَى الرحمة ، ومِنَ الملائكةِ بمعنى الأستغفارِ المُعبَّرِ بهِ في الرِّوايةِ الأُخرى ، ولا رتبةَ فوقَ رتبةِ مَن تشتغلُ الملائكةُ وغيرهم من المخلوقات بالأستغفارِ والدُّعاءِ لهُ حتَّى تقومَ القيامةُ علَى ما أَشارت اليهِ روايةَ الديلمي ، لأنَّ العلمَ يُنتفَعُ بهِ بعدَ موتِ العالمِ إلى يومِ القيامةِ ، ولهذا كانَ ثوابُهُ غيرَ منقطعٍ بموته كما سيأتي ، وانَّهُ ليُتَنافسُ في دعوةٍ من رجلٍ صالحٍ ، فكيفَ بدعاءِ الملائكةِ ؟ خصُوصاً ملائكةَ السَّماءِ ، وقدْ أُختُلفَ في معنَى وَضْعِ أجنحتها فقيلَ التواضعُ لهُ ، وقيلَ النُزُولُ عندَه والحضورُ معهُ ، وقيلَ التَّوقير والتَّعظيم لهُ ، وقيلَ معناهُ : تحملهُ عليها فتعينه علَى بلوغِ مقصدهِ .

قلتُ : والأقربُ كونهُ بمعنَى ما يُنظِّمُ هذهِ المعانِي كلَّها ، كما يرشدُ اليهِ الجمعُ بينَ ألفاظِ الرِّوَايات ، فسيأتي في روايةِ عن معاذ رضيَ اللهُ عنهُ ما لفظَهُ : (ترغبُ الملائكةُ في خلتهِم وبأَجنحتها تمسحُهم)[1] .

وعن صفوان بن عسّال المُرادي[2] قالَ : (أتيتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، وهو[3] في المسجدِ

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٧ .
(٢) في (ب) : (رضي اللهُ عنه) .
(٣) في (ب) : (وهو جالس في المسجد) ، وهذا مخالف لما جاء في رواية الحديث التي ذكرها الطبراني في الكبير ٨/٦٤ ، والشعراني في كتابه كشف الغمة ١/١٧ .

مُتَّكيءٌ على بردٍ له أَحمر ، فقلتُ لـهُ : يا رسولَ اللهِ إنِّي جئتُ أطلبُ العلمَ • فقالَ : مرحباً بطالبِ العلمِ ان َّ طالبَ العلمِ لتحفُّه ُ الملائكةُ بأجنحتها ثم(١) يركبُ بعضهم بعضاً حتَّى يبلغوا السَّماءَ الدُّنيا من محبتهم لما يطلبُ)(٢) ، رواهُ الطَّبراني في الكبير برجالِ الصَّحِيح •

وأَمَّا الهام الحيوانات الاستغفار لهم ، فقد قيلَ لأنَّها خُلقت لمصالح العباد ومنافعهم ، والعلماءُ هم الَّذينَ يُبيِّنونَ ما يحلُّ منها وما يحرمُ ، ويوصونَ بالاحسانِ إليها ، ونفي الضَّررَ عنها ، حتَّى انَّ ما يحلُّ قتلهُ منها يُبَيِّنُونَ الأَمرَ فيه باحسانِ القتلة ، والنَّهي عن المُثلة ، فكان اشتغالهم بذلكَ هو اللائقُ بشكرِ هذه النعمةِ •

قلتُ : وينشأ عن فهمِ هذا أَنَّ بني آدم أَوْلَى بذلكَ في حقٍّ علمائهم ، لأَنَّهم أَحْوَجُ إلى العلمِ ، ويعودُ عليهم من فوائده ما لا يعودُ على غيرهم من الحيوانات ، فيُستفادُ(٣) من ذلك الاشارة الى حثهم [٦و] على الاشتغالِ بمثلِ ذلكَ ، وأَعْلَى منهُ في القيامِ بحقٍّ العلماء شكراً لنعمةِ العلم ، فأَقلُّ رتبتهم أَنْ يتشبَّهوا بالحيوانات العجماواتِ في هديهم ، وإلاّ

(١) في (ب) : (و) بدلاً من (ثم) ، وهو خطأ ، لأنه مخالف للرواية الحديث •

(٢) الحديث ذكره الطبراني في المعجم الكبير ٨/٦٤ ، والشعراني في كشف الغمة ١/١٧ •

(٣) في (ب) : (ويُستفادُ) •

فليسُوا كالأَنعامِ (بَلْ هُم أَضلُّ سبيلاً)[1] ·

وعن حذيفة بن اليمان رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم : (فضلُ العلمِ خيرٌ من فضلِ العبادةِ ، وخيرُ دينكم الورع)[2] رواهُ الطَّبراني في الأوسط والبزّار · وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : (أَفضلُ العبادةِ الفقهُ ، وأَفضلُ الدِّينِ الورعُ)[3] ، رواهُ الطبراني في معاجمه الثلاثةِ ، وفي اسنادهِ محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى إمَام ثقة لكنَّهُ سيء الحفظِ ·

وعن الحسن مرسلاً قالَ : (سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم عن رجلَينِ كانا في بني اسرايل ، أحدهما كانَ عالماً يصلِّي المكتوبةَ ، ثم يجلسُ فيعلم النَّاسَ الخيرَ ، والآخرُ يصومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيلَ أَيُّهما أفضلُ ؟ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : فضلُ هذا العالِم الذي يُصلِّي المكتوبةَ ثم يجلسُ فيعلم النَّاسَ الخيرَ على العابدِ الَّذي يصومُ

---

(1) سورة الفرقان الآية : ٤٤ ·

(2) الحديث ورد في زوائد المعجمين ١/٢٠ ، وفي كشف الغمة ١/١٦ ، وابن عبد البر في مختصر جامع بيان العلم ص١٧ ·

(3) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٤ ، رواه عن محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى عن الشعبي عن ابن عمر · ورواه الشعراني في كشف الغمة ١/١٦ ·

النهارَ ، ويقومُ الليلَ كفضلي على أدناكم)[1] ، رواهُ الدرامي .

وعن أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم : (لأنْ تغدُو فتتعلّمَ آيةً منْ كتابِ اللهِ خيرٌ لكَ منْ أنْ تُصلّيَ مائةَ ركعةٍ ، ولأنْ تغدُو فتتعلّمَ باباً منَ العلمِ عُمِلَ بهِ أوْ لمْ يُعملْ بهِ خيرٌ لكَ منْ أنْ تُصلّيَ ألفَ [٦ظ] ركعةٍ)[2] ، رواهُ ابن ماجة باسنادٍ حسنٍ .

وعن البراء بن عازب رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم : (من تعلّمَ حديثينِ اثنينِ ينفعُ بهما نفسَهُ أو يعلّمهُما غيرَه ، فينتفع بهما كانَ خيراً من عبادةِ ستينَ سنةً) ، أخرجه الالِكاني في السُّنةِ لهُ . وعن ابنِ عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم : (فقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطانِ منْ ألفِ عابدٍ)[3] رواهُ الترمذي وابن ماجة والبيهقي . وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ مثله ، وزادَ (ولكلٍّ

---

(١) الحديث ذكره الدارمي في سننه ١/٨٢ ، مسند ابن حنبل ٥/١٩٦.

(٢) الحديث ذكره ابن ماجة في سننه ١/٧٩ ، وهو موجود في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٨ ، كشف الغمة ١/١٧ .

(٣) صحيح الترمذي ١٠/١٥٤ ، سنن بن ماجة ١/٨١ ، الفقيه والمتفقه ١/٢٤ .

شيءٍ عماد ، وعماد هذا الدين الفقه)[1] ، (وما عبد الله بأفضل من فقه في دين)[2] ، رواه الطبراني وغيره ، وأخرجه الخطيب في الجامع عن عطا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ما عبد الله بشيءٍ أفضل من فقه في الدين)[3] ، وقال أبو هريرة : ([4] لأن أفقه ساعة أحب إلي من [أن][5] أحيي ليلة أصليها حتى أصبح) ، و (الفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد)[6] ، و (لكل شيءٍ دعامة ، ودعامة الدين الفقه)[7] • وعن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة)[8] ، رواه ابن عدي ، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف •

---

(١) الفقيه والمتفقه ١/٢٥ •

(٢) الفقيه والمتفقه ١/٢١ •

(٣) الفقيه والمتفقه ١/٢١ ، مختصر جامع بيان العلم ص١٨ ، الجامع ٢/١٧٠ •

(٤) الفقيه والمتفقه ١/٢٦ ، مختصر جامع بيان العلم ص١٨ ، الجامع ٢/١٧٠ •

(٥) (أن) : ساقطة من الاصل •

(٦) صحيح الترمذي ١٠/١٥٤، الفقيه والمتفقه ١/٢٤، الجامع ٢/١٧٠•

(٧) الفقيه والمتفقه ١/٢٥ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٨ ، الجامع ٢/١٧٠ •

(٨) الجامع ٢/١٧٠ •

وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : (فضلُ العالمِ علَى العَابِدِ سبعونَ درجةً ما بينَ كلِّ درجتينِ حُضْر الفرسِ سبعونَ عاماً)(١) ، وذلكَ إنَّ الشيطانَ يبدعُ البدعةَ [٧و] للنَّاسِ فيبصرُها العالمُ فينهَى عنها ، والعابدُ مُقْبِلٌ عَلَى عِبادَتِه لا يَتَوجَّهُ لَها ولا يعرفها ، رواهُ الاصبهاني في ترغيبه . قالَ الحافظُ عبدُالعظيمِ المنذري : وعجز الحديث يشبهُ المُدرَج .

وعَنْ جابرِ بن عبدالله رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (يُبعَثُ العَالِمُ والعابدُ ، فيُقَالُ للعابِدِ ادخلِ الجنَّةَ ، ويُقَالُ للعالِمِ اثبتْ حتَّى تشفعَ للنَّاسِ بِما أَحسنْتَ إليهم)(٢) ، وفي نسخةٍ بِما أحسنْتَ أَدَبهم ، رواهُ البيهقي وغيرُهُ .

قلتُ : فلمَّا كانَ العَالِمُ يحسنُ إلى النَّاس بعلمهِ الَّذي أَفنَى فيه نفائسَ أَوقاتهِ أَكرمهُ اللهُ عزَّ وجل بأنْ ينيلَهُ مقامَ الاحسانِ [إليهم](٣) في الآخرةِ بشفاعته فيهم جزاءً وفاقاً ، وفي هذا من إنافةِ المنزلةِ وعظيمِ الكرامةِ ما لا يخفَى .

---

(١) الدارمي ٨٤/١ .

(٢) الحديث رواهُ الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢٠/١ وفيه : « اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابد ادخل الجنة فانما كانت منفعتك لنفسك ، ويقال للعالم اشفع تشفع فانما كانت منفعتك للناس » ، وهو في كشف الغمة ١٨/١ .

(٣) (اليهم) : ساقطة من الاصل ، وهي زيادة من النسختين .

وعن عثمان بن عفَّان رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : (يَشفعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ : الأنبياءُ ، العلماءُ ، الشهداءُ)[1] ، رواهُ ابن ماجةَ ، قالَ القرطبي في تفسيرهِ عقيب ايرادهِ : فاعظم بمنزلةٍ هي واسطةٌ بين النبوةِ والشهادةِ بشهادةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم .

وعن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : (إذا كانَ يوم القيامةِ ، يقولُ اللهُ تعالى للعابدينَ والمجاهدين : ادخلوا الجنَّةَ ، فيقولُ العلماء : بفضلِ علمنا تعبَّدوا وجاهدُوا ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجل : أنتم عندي كبعضِ ملائكتي اشفعُوا فيشفعون [٧ظ] ثم يدخلونَ الجنَّةِ)[2] رواهُ أبو العباس الذهبي في العلمِ .

قلتُ : ويشهدُ لذلكَ في الجملةِ حديثُ مسلم وأبي داود والترمذي ، وصحَّحهُ عن أبي مسعود البدري مرفوعاً : (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِه)[3]، وحديث ابن ماجة عن معاذ بن أنس : (مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ مثلُ أَجرِ من عَمِلَ بِهِ لا ينقصُ مِنْ أَجْرِ العامِلِ شيئاً)[4] . وفي سندِ سهلِ بن معاذ

(١) سنن ابن ماجة ١٤٤٣/٢ ، وتذكرة السامع والمتكلم ص٩ .

(٢) لم اتمكن من العثور عليه .

(٣) صحيح الترمذي ١٤١/١٠ ، سنن أبي داود ٦٢٧/٢ ، مسند ابن حنبل ١٢٠/٤ .

(٤) سنن ابن ماجة ٨٨/١ .

حسَّنَ لهُ الترمذي ، واحتجَ بهِ ابنُ خزيمة والحاكمُ وغيرهـا ، وحديث مسلم والترمذي ، وقالَ : حسنٌ صحيح .

عن أبي هريرة مرفوعاً : (مَنْ دَعَا إلى هُدىً كانَ لـهُ من الأجرِ مثلُ أجرِ من تبعـهُ لا ينقصُ ذلـكَ من أجورهم شيئاً ، ومَنْ دَعَا إلى ضَلاَلةٍ كانَ عليهِ من الأَثمِ مثلُ آثامِ من تبعـهُ لا ينقصُ ذلِـكَ من آثامهم شيئاً)[1] ، ووجهُ الاستشهاد أنَّ أعمالَ المجاهدين ، بل وأعمال جميـعِ العاملينَ إنَّمـا يتلقونها من العلمـاء ، فيكونُ لهم من الأجـرِ مثلُ أُجُورِ المجاهدينَ وسـائر العاملين على حسب الانتفاعِ بعلمهم .

وعن ابـن عباس رضِـيَ اللهُ عنهمـا قـالَ : قـالَ رسولُ اللهِ صلَّ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (مَنْ جاءَهُ أجلُهُ ، وهو يطلبُ العلمَ ، لقيَ اللهَ ولم يكن بينه وبين النَّبيينَ إلاّ درجةُ النبـوَّةِ)[2] ، رواهُ الطبراني فـي الأوسط ، ورواهُ[3] الدّارمي وابن السُني فـي رياض المتعلمين من حديث الحسن قال الزين العراقي : فقيل هو

---

(1) سنن الدارمي ١/١٠٧ ، صحيح الترمذي ١٠/١٤٢ .

(2) الحديث رواهُ ابن عبدالبر في جامع بيـان العـلم وفضله ص٢٠ ، والشعراني في كشف الغمة ١/١٧ .

(3) كذا في (ب) ، وفي (م) الاصل : (روى) ، وما ذكرنا احسن بدليـل ما قبلـه .

ابن علي رضيَ اللهُ عنهما ، وقيلَ ابن يسار[1] البصري، فيكون مرسلاً ، قالَ : قالَ رسولُ اللهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : [٨و] (من جاءَهُ ملكُ الموتِ ، وهو يطلبُ العلمَ ، ليحيي بِهِ الاسلامَ فبينهُ وبينَ الأنبياءِ في الجنَّةِ درجةٌ واحدةٌ)[2] •

قلتُ : ويشهدُ لذلكَ حديث : (العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ)[3] ، وقد قدَّمْناهُ • وممن رواهُ أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وآخرونَ ، وصحَّحهُ ابنُ حبَّان والحاكمُ وغيرهما ، وحسَّنهُ حمزةُ الكناني ، ولهُ شواهد يتقوَّى بِهَا •

فعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ إنَّهُ مرَّ بسوقِ المدينةَ فوقفَ عليها فقالَ : (يا أهلَ السُّوقِ ! ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاكَ يا أبا هريرة ؟! قالَ : ذاكَ ميراثُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يُقسَمُ وأنتم هـا هنا لا تذهبونَ فتأخذونَ نصيبكم منهُ ! قالوا : وأينَ هو ؟ قالَ : في المسجدِ ، فخرجوا سراعاً ، ووقف أبو هريرة لهم حتَّى رجعوا ، فقال لهم : ما لكم ؟ فقالوا يا أبا هريرة ! قد أتينا المسجدَ فدخلنا فيهِ فلم نرَ فيه شيئاً ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ، ابو سعيد التابعي ، كان امام أهل البصرة في زمنه ، ولد في المدينة سنة (٢١هـ)، وتوفي سنة (١١٠)هـ• ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٢٥٤ ، حلية الاولياء ٢/١٣١ •

(٢) سنن الدارمي ١/٨٥ ، وفيه (من جاءه الموت) بحذف (ملك) •

(٣) رواه ابن حنبل ٥/١٩٦ ، ابو داود ٢/٢٨٥ ، الدارمي ١/٨٣ •

في المسجدِ أحداً ؟ قالوا : بلى رأينا في المسجد قوماً يُصلّون ، وقوماً يقرأون القرآنَ ، وقوماً يتذاكرون الحلالَ والحرامَ ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراثُ محمدٍ صلّى اللهُ عليه وآله وسلم !)[1] ، رواه الطبراني في الأوسط باسنادٍ حسن ٠

وعن ابن عمر رضي اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم : (يُوزَنُ حبرُ العلماءِ ودمُ الشهداءِ ، فيرجحُ ثوابُ حبرِ العلماء على ثوابِ دمِ الشهداءِ)[2] ، رواهُ الديلمي في مسنده من طريق عبدالعزيز بن أبي داود ، وهو صدوقٌ عابدٌ ربّما وهم ، ورواهُ الحافظ [٨ظ] الخطيب البغدادي في تاريخه ولفظهُ : (وُزِنَ حبرُ العلماءِ بدمِ الشُهداءِ فرُجّحَ عليهم)[3] ٠ وللمنجنيقي في روايةِ الكبارِ عن الصغارِ ، لَهُ عن الحسن البصري قولهُ : (مِدادُ العلماءِ أفضلُ من دمِ الشُهَداءِ)[4] ٠

وعن أبي الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّم : (يُوزَنُ يومَ القيامةِ

---

(١) زوائد المعجمين ١/٢١ ٠

(٢) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني ص٩٥ ، وفيه عن ابن عمر : (وُزِنَ حبرُ العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم) ، ورواية اخرى : (يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء) ٠

(٣) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٩٥ ٠

(٤) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة عن أنس ص٩٥ ٠

مدادُ العلماءِ ودمُ الشُّهداء)[1] ، رواهُ ابنُ عبدالبر[2] في فضلِ العلمِ .

وعن معاذ بن جبل رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : (تعلَّموا العلمَ فانَّ تعلَّمهُ للهِ خشيةٌ ، وطلبهُ عبادةٌ ، ومذاكرتهُ تسبيحٌ ، والبحثُ عنهُ جهادٌ ، وتعليمهُ لمن لا يعلمهُ صدقةٌ ، وبذلهُ لأهله قربةٌ ، لأنَّهُ معالمُ الحلالِ ، ومنارُ سبلِ أهلِ الجنَّة ، وهو الأنيس[3] في الوحشةِ ، والصّاحبُ في الغربة ، والمحدِّثُ في الخلوةِ ، والدَّليلُ على السَّراء والضَّراء ، والسِّلاح على الأعداء، والزَّين[4] عندَ الاخلاء، يرفعُ اللهُ به قوماً فيجعلهم في الخيرِ قادةً وأئمةً تقتصُّ آثارهُم ، ويفتدى بأفعالهم ويُنتَهى إلى رأيهم ، ترغبُ الملائكةُ في خلتهم ، وبأجنحتِهَا تمسحهم ، يستغفرُ لهم كلُّ رطبٍ ويابسٍ ، وحيتانُ البحر وهوامه ، وسباعُ البرِّ وأنعامهِ ، لأنَّ

---

(١) لم يذكرهُ ابن عبدالبر في فضل العلم ، وذكرهُ البدر بن جماعة في تذكرة السامع والمتعلم ص٨ .

(٢) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري ، ولد في قرطبة سنة ٣٦٨هـ ، رحل رحلات كثيرة في طلب العلم ، واصبح من كبار المحدثين والمؤرخين ، وولي قضاء لشبونة وشنترين وتوفي بشاطبه سنة (٤٦٣هـ) ترجمته في بغية المتلمس ٤٧٤، وفيات الاعيان ٣٤٨/٢، الاعلام ٣١٦/٩ .

(٣) كذا في النسخ الخطية ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله : (الآنس) ، ص٢٧ .

(٤) كذا في الاصل وهو الصحيح لموافقته للنص ، وفي (ب) ، (م) (الدين) .

العلمَ حياةُ القلوبِ مــن الجهلِ ،ومصابيحُ الأبصارِ مــن الظلمِ ، يبلغُ العبدُ بالعلمِ منازلَ الأخيارِ ، والدّرجاتَ العُلى في الدُنيا والآخرةِ ، التّفكّرُ بهِ يعدلُ الصِّيامَ ، ومدارستهُ تعدلُ القيامَ ، بهِ توصلَ الأرحامِ ، وبهِ يُعرَفُ [٩و] الحلالُ مِنَ الحرامِ ، هو إمام العملِ والعملُ تابعهُ ، يلهمــهُ السعداء ويحرمــه الأشقياء)[١] ، رواهُ أبو الشيخ ابن حبّان فــي كتابِ الثواب ، وابن عبدالبرّ النّمري في كتاب العلم ، وقالَ : هو حديث حسن ، ولكن ليس اسناده قوياً وقد رويناهُ من طرقٍ شتّى موقوفاً انتهى ٠

وفي الصّحيحينِ وغيرهما عَنْ معاوية قالَ[٢] : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّمَ : (مَنْ يُردِ اللهُ بهِ خَيْراً يُفقِّهْهُ في الدِّينِ)[٣] ، رواهُ البزّار والطبراني في الكبيرِ ، ورجاله موثّقونَ عــن عبدِ اللهِ ، يعني[٤] ابن مسعود مرفوعاً ، ولفظــهُ : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً فقّهْهُ في الدِّينِ وألهمهُ رشدَهُ)[٥] ، رواهُ

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٧ ٠

(٢) في (ب) : مكان (قال : قال رســولُ اللهِ صلى الله عليــه وآلــه وسلم) : (مرفوعاً) وهو خطأ ٠

(٣) الحديث ذكر في موطأ مالك ٢/٩٠٧ ، وســنن الدارمي ١/٦٥ ، وسنن ابن ماجة ١٠/٨٠ عن ابي هريرة ، مسند ابن حنبل ١/٣٠٦ ، ٢/٣٣٤ ، ٤/٩٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، المعجم الـكبير للدبراني ٩/١٦٤ ، ١٠/٢٤٢ ٠

(٤) (يعني) : ساقطة من (ب) ٠

(٥) الحديث ذكره الترمذي ١٠/١١٣ ، ١١٤ ٠

الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وقال الحسن : صحيح ولفظه : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ان من لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيراً) ، وقد أخرجه أبو نعيم ، وزاد في آخره : (ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به)[1] وكذا أخرجه أبو يعلي الا أنه قال : (ومن لم يتفقه لم يبل به)[1] ، ويشهد له ما في حديث أبي أمامة عند ابن ماجة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس)[2] ، وهو قريب المعنى من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً ومتعلماً)[3] ، رواه الترمذي وغيره ، وقال : حديث حسن ، ويؤخذ من حديث الصحيحين [٩ظ] المتقدم أن العناية الآلهية ، وإن كانت غيباً عنا فلها شهادة تدل عليها ، ودلالة تهدي[4] إليها ، فمن ألهمه الله التفقه في الدين فقد ظهرت عناية الله به ، وأنه أراد به خيراً عظيماً ، كما يؤذن به التنكير في هذا المقام .

(١ ، ١) ذكر البغدادي : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ومن لم يبال به لم يفقهه) الفقيه والمتفقه ص٨ .

(٢) سنن ابن ماجة ١/٨٣ .

(٣) صحيح الترمذي ٩/٩٨ ، سنن الدارمي ١/٨٠ ، سنن ابن ماجة ٢/١٣٧٧ .

(٤) كذا في الأصل ، (م) ، وفي (ب) : (يهتدي بها اليها) ، وما ذكرناه اصح .

وعن واثلة بن الأسقع رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (من طلبَ علماً فأدركهُ كتبَ اللهُ لهُ كفلينِ من الأجرِ ، ومن طلَبَ علماً فلمْ يدركهُ كتبَ اللهُ لهُ كفلاً من الأجر)[1] رواهُ الطبراني في الكبير ، ورواتهُ ثقاة وفيهم كلام ·

وعن أنس رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ الْعِلْمِ ، فهو في سبيلِ اللهِ حتَّى يَرْجِع)[2] ، رواهُ التِّرمذي وقالَ : حديثٌ حسنٌ ·

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (إذا ماتَ ابنُ آدم إنْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ بهِ ، أوْ ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ)[3] ، رواهُ مسلمُ وغيرُهُ ، قالَ البدرُ بن جماعة : (وأنا

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٢/٦٨ ، وهو في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٣ ، ورواية الدارمي (كان له كفلان في الأجر ، فان لم يدركهُ كان له كفل من الاجر) ، والمصنف نقل رواية الطبراني ·

(٢) صحيح الترمذي ١٠/١١٦ والرواية فيه (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع) ، وفي شرح المهذب ١/٣٢ ، ومختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٨ موافق لرواية المصنف ·

(٣) صحيح مسلم ٥/٧٣ ، وروايته : (اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الاّ من ثلاثة : الاّ من صدقة جارية ، أو علم ينتفعُ به ، أو ولد صالح يدعو له) ، وفي سنن النسائي ٦/٢١٠ موافق لما ذكره المؤلف ، وسنن ابي داود ٢/١٠٦ وفيه (الاّ من ثلاثة اشياء) ، الدارمي ١/١١٤ ·

أقولُ : إذا نظرتَ وجدتَ معاني الثلاثـةِ موجودةً في مُعلمِ العلمِ ، أمّا الصدقةُ فاقراؤهُ إيّاهُم العلم وإفادتهُ ، ألا ترى الى قولهِ صلّى اللهُ عليهِ وآله وسلّم في المصلّي وحدهُ ، من يتصدّق على هذا ، أي بالصلاةِ معهُ ليحصل له فضيلةُ الجماعةِ ، ومعلم العلم يحصل للطالبِ فضيلةُ العلمِ التي هي أفضلُ مِنْ صلاةٍ في جماعةٍ ، وينالُ بها شرفَ الدُنيا والآخرةِ ، وأمّا العلم المنتفعُ به فظاهرٌ ، لأنّهُ كانَ سبباً لاتصالِ ذلكَ العلمِ الى كلٍّ من انتفعَ بهِ ، وأمّا الدعاءُ الصالحُ لهُ فالمعتادُ المستقرأ على السنةِ أهلِ العلمِ . والحديثِ قاطبةً الدعاء لمشايخهم [١٠و] وأئمتهم وبعضُ أهل العلمِ يدعونَ لكلٍّ من يُذكَرُ عنهُ شيءٌ من العلمِ ، وربّما يقرأُ بعضهم الحديثَ بسندهِ ، فيدعو لجميعِ رجالِ السّندِ انتهى)[١] .

قلتُ : وعندي لهُ تتمةٌ ، فأمّا ما حاولهُ من أنَّ إقرأَ العلمِ وإفادتهُ صدقةٌ ، فقدْ وردَ النّصُّ بأنَّ ذلكَ أفضلُ الصّدقةِ . فعن أبي هريرة مرفوعاً : (أفْضَلُ الصّدَقةِ أنْ يَتعَلّمَ الْمَرْءُ المُسْلِمُ علْماً ثُمَّ يُعلِّمَهُ أخاهُ المُسْلِمَ)[٢] ، رواهُ ابن ماجة باسنادٍ حسن .

فإنْ قيلَ تعليمهُ قدْ انقضى بموتهِ ، فكيفَ يكونُ من الصّدقةِ الجاريةِ التي لا تنقطعُ ؟ قلتُ :

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٦٣ ـ ٦٤ .
(٢) سنن ابن ماجة ٨٩/١ .

ذلكَ المتعلمِ وكذا تعليم كلِّ معلم تعلَّم منــه' بواسطة ـ فيمــا يأتي ـ مُتسببٌ عــن تعليمه ، فعلمه' غـير' منقطعٍ ، وكذا تأليفه' في العلمِ وتدوينهَ' ٠

وأمَّا ما ذُكِرَ من اعتادَ الدعاءَ للمشايخ الى آخرهِ ، فقد يُقال' انَّه' ليسَ في معنى دعــاءِ الولــد لوالده ، لأنَّ الوالدَ يُثَاب' علَى نفسِ دعاء ولده ، لتسبّبه في إيجاده ، فكانَ له' مثل' ثوابِ عملَه ٠ فأمَّا المشايخ' فينتفعونَ بالمدعو بــهِ إذا استجيبت الدَّعــوة' إلاَّ أنْ يكونَ ذلِكَ المعلم' قَــد سَنَّ للمتعلم منــه' الدُعــاءَ لمشايخه ، وورَّثه' إيَّاه' ، فلَــه' ثواب' التَّسبب أيضاً ويكون' دوامــه' بدوامِ المتعلِّم وإنْ كثُرتِ الوَسائط كما سبقَ ٠

وعن ثعلبة بن الحكم الصحابي رضيَ اللهُ' عنه' قالَ : قالَ رسول' اللهِ صلَّى اللهُ' عليه وآله وسلَّم : (يقول' الله عزَّ وجل للعلَماءِ يومَ القيامةَ إذا قَعدَ على كرسيّه لفصلِ عباده : إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلاَ وأنَا أُريد' أنْ أغفرَ لكم على ما كانَ فيــكم ولا أُبالي)[1] ، رواه' الطَّبراني في الكبير ، ورواته ثقات" ، ورواه' أيضاً بنحوه من حديث أبي موسى [١٠ظ] بسندٍ ضيفٍ ٠

وعن سخْبَرة رضيَ اللهُ' عنه' عن النَّبي صلَّى اللهُ' عليهِ وآلــهِ وسلَّم قالَ : (مَنْ طَلَبَ العِــلْمَ كانَ

---

(١) المعجم الكبير ٧٨/٢ ، وفيه (على كرسيه لقضاء عباده) ، مكان (على كرسيه لفصل عباده) ٠

كَفَّـارةً لِمَـا مَضى)(١) ، رواهُ الترمـذي هكـذا ، والطبراني فَـي الكبيرِ مطولاً ، وقالَ التَّرمذي : إنَّـهُ ضعيفُ الاسنادِ ٠

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليـه وآلـه وسلَّم : (خُصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ في مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ وفِقْهٌ في دِينٍ)(٢) ، رواهُ الترمذي ، وقالَ : حديثٌ غريب ٠

وعن معاذ رضيَ اللهُ عنـهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (العالمُ أمينُ اللهِ فـي الأرضِ)(٣) ، رواهُ ابنُ عبدالبرِّ ٠

وعن أنس رضيَ اللهُ عنـهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (العلماءُ أُمناءُ الرُسلِ على عبادِ اللهِ)(٤) ، رواهُ العُقَيلي في الضعفاءِ ٠

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (الفقهاءُ أُمناءُ الرُسلِ ما لم يدخلوا في الدُنيا ويتبعوا السُلطانَ ، فاذا فعلوا ذلكَ فاحذروهم)(٥) ، رواهُ العسكري بسندٍ ضعيفٍ ،

---

(١) صحيح الترمذي ١١٧/١٠ ، ورواية الطبراني في الكبير ١٦٤/٧ : (ما من عبد يطلب العلم إلا كان كفارة ما تقدم) ٠

(٢) صحيح الترمذي ١٠٦/١٠ ٠

(٣) مختصر جامع العلم وفضله ص٢٦ ٠

(٤) جزء من حديث ذكره الشعراني في كشف الغمة عن جميع الامة ص١٩٠

(٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٧ وفيه (العلماء ٠٠٠ الخ) ٠

والالكاني في كتاب السُنَّة لَـه ، وعنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (أَلا أدلُّكم على الخلفاءِ منّي ومن أصحابي ومن الأنبياءِ قبلي ، هم حملة القرآنِ والأحاديث عنّي في اللهِ وللهِ)[1] .

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (اللهُمَّ ارحم خلفائي، قلنا : يا رسولَ اللهِ ومن خلفاؤكَ ؟ قالَ : الَّذينَ يأتُونَ مِنْ بَعدي يَروونَ أحاديثي ويُعلِّمُونَها النَّاسَ)[2] ، رواهُ الطَّبراني في الأوسط .

وعن أبي الدرداء قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسلَّم : (العُلَماءُ خُلَفاءُ الأنبياءِ)[3] ، رواهُ البَزَّار ورجالهُ موثوقون [١١و] إشتَهَرَ حديث : (يحملُ هذا العلم من كلٍّ خلفٍ عدُولُهُ ينفونَ عنهُ تحريفَ الغالينَ ، وانتحالَ المبطلينَ ، وتأويلَ الجاهلينَ)[4] . وقَدْ أخرَجَهُ ابن عبدالبرِّ والخطيب البغدادي في الجامعِ مع روايتهِ عن عيسى بن صبيح قولهُ : إنَّهُ صحَّ عن النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ

(١) زوائد المعجمين ١/٢١ ، مع اختلاف في الالفاظ .

(٢) رواهُ ابن عبدالبر في مختصر جامع بيان العلم وفضله مع اختلاف في اللفظ ص٢٤ ، كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني ١/١٨ ، زوائد المعجمين ١/٢١ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٦ .

(٤) رواهُ البيهقي في مناقب الشافعي ١/٧ ، ولفظهُ : (يرث هذا العلم من كل خلف ... الخ) ، وهو بلفظه ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١/١٦٣ .

وسلَّم ، قالَ الحافظ الخطيب البغدادي : (وهذهِ شهادةٌ من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم بأنَّهم أعلامُ الدِّينَ وأئمةُ المسلمينَ ، لحفظهم الشَّريعةَ من التحريفِ وانتحالِ الباطلِ ، وردِ تأويل الجاهلِ ، وإنَّهُ يجبُ الرجوعُ إليهم ، والمعوَّلُ في أَمْرِ الدِّينِ عليهم)[1] انتهى .

وعن أنس رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (الحكمةُ تزيدُ الشريفَ شرفاً ، وترفعُ العبدَ المملوكَ حتَّى يجلسَ في مجالسِ الملوكِ)[2] ، رواهُ أبو نعيم في الحليةِ مِنْ حديثِ الحسنِ ، وقيلَ إنَّهُ موقوفٌ على أنس ، أَو من كلامِ الحسنِ ، بلَى يُروى عن مالك[3] بن دينار قال : قرأتُ في بعضِ كُتبِ الله ، فذكرهُ . وقالَ ابن عبَّاس في قولهِ تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ)[4] ، قالَ : هي معرفةُ الحلالِ والحرامِ ، وأخرجَ الالكاني في كتابِ السُّنَّةِ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما

---

(١) الجامع ١/١٦٣ .

(٢) الحديث في الفقه والمتفقه بسنده ص٣١ ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٦ ، ورواه الدارمي عن وهب بن منبه نصيحة لولده ضمنها هذا الحديث ، سنن الدارمي ١/٩٠ .

(٣) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري ، من موالي اسامة بن لؤي القرشي ، وهو من رواة الحديث كان عالماً ورعاً متصوفاً ، يأكل من كسب يده ، حيث يكتب المصاحب بالاجرة ، توفي بالبصرة سنة (١٣١هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٢/٣٥٧ ـ ٣٨٩ ، وفيات الاعيان ١/٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ١/١٤ ، الاعلام ٦/١٣٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٦٩ .

قالَ : (النَّظرُ الى الرَّجلِ من أهلِ السُّنةِ يدعو اليها ، وينهى عن البدعةِ عبادةٌ) . وقالَ الامامُ الشافعي رحمهُ اللهُ : (كُلَّما رأيْتُ رجلاً من أصحابِ الحديث فكأنَّما رأيتُ رجلاً من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم)[1] ، أخرجَهُ البيهقي . وقال عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ في وصيتهِ لكميل بن زياد : (يا كميل ! العلمُ خيرٌ من المالِ ، العلمُ يحرسُكَ وأنتَ تحرسُ المالَ ، قالَ : ومحبةُ العلم دِينٌ يُدانُ بِهِ يكسبهُ الطَّاعةَ في حياتهِ ، وجميلَ الاحدوثةِ بعدَ مماته ، المالُ تنقصهُ [١١ظ] النفقةُ ، والعلمُ يزكو على الانفاقِ ، العلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليهِ يا كميلُ ! ماتَ خُزّانُ المالِ وهم أحياءُ ، والعلماءُ باقُونَ ما بقيَ الدَّهرُ ، أعيانُهم مفقودةٌ وأمثالُهم في القلوبِ موجودةٌ)[2] . وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ أيضاً : (كفَى بالعلمِ شرفاً أنْ يدعيه من لا يحسنهُ ، ويفرحُ إذا نُسبَ اليهِ ، وكفَى بالجَّهلِ ذماً أنْ يتبرَّأَ منهُ مَنْ هُوَ فيهِ)[3] .

وقالَ وهبُ بنُ منبه[4] : يتشعَّبُ مِنَ العِلمِ

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٧٧ .

(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٦٩ ، الفقيه والمتفقه ص٥٠ .

(٣) القول موجود في شرح المهذب ١/٣٣ .

(٤) هو وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري ، كان من كبار المؤرخين ، وعالم باساطير الاولين ، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، ولد بصنعاء سنة (٣٤هـ) ، وولاه عمر بن عبدالعزيز قضاءها ، وقد حبس في أواخر أيامه وامتحن ومات بالتعذيب ، ترجمته في حلية الاولياء ٤/٢٣ ، شذارت الذهب ١/١٥٠ الاعلام ٩/١٥٠ .

الشَّرفُ ، وإنْ كانَ صاحبهُ دنيئاً ، والعِزُّ وإنْ كانَ مهيناً ، والقربُ وإنْ كانَ قصيّاً ، والغنى وإنْ كانَ فقيراً ، والنبلُ وإنْ كانَ حقيراً ، والمهابةُ وإنْ كان وضيعاً)[1] • وقالَ أبو الأسود[2] الدُّؤلي التابعي الجَليلُ : (لَيسَ شيءٌ أعزَّ من العِلمِ ، الملوكُ حُكّامٌ على النّاسِ ، والعلماءُ حكّامٌ علَى الملوكِ)[3] • وقالَ سالمُ[4] بنُ أبي الجَّعدِ : اشتراني مولاي بثلاثمائة درهمٍ وأعتقني ، فقلتُ : بأيةِ حرفةٍ أحترفُ ؟ فاحترفتُ بالعلمِ ، فما تمَّتْ لي سَنةٌ حتَّى أتاني أميرُ المدينةِ زائراً فلم أذنْ لهُ • ومن فضلِ العلمِ أنَّ الهدهدَ مع قلَّةِ خطرهِ أجابَ سليمانَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَعَ علوٍّ مرَتبتهِ بصولةِ العلم وقوتهِ في قولهِ : (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)[5] مع قلَّةِ الاكتراثِ بتهديدهِ ووعيدهِ •

---

(١) شرح المهذب ١/٣٣ •

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي ، من العلماء المشهورين ويعد أول من اشتغل بعلم النحو ، سكن البصرة وتولى امارتها زمن الأمام علي ، وتوفي بها سنة ٦٩هـ ، ترجمته في وفيات الاعيان ١/٢٤٠، انباه الرواة ١/١٣ ، حاشية الخضري على ابن عقيل ١/١١ ، الاعلام ٣/٣٤٠ •

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص١٠ •

(٤) هو سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الاشجعي مولاهم الكوفي ، كان محدثاً ثقة الا انه يرسل توفي سنة (٩٧هـ) • ترجمته في ميزان الاعتدال القسم الثاني ص١٠٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٣٤٢ ، تقريب التهذيب ١/٢٧٩ •

(٥) سورة النمل الآية : ٢٢ •

قالَ الإمامُ النَّووي(١) في مقدمة شرح المهذَّب(٢) : إنَّ الخطيبَ الحافظَ أبا بكر البغدادي رويَ في كتابه كتاب الفقيه أحاديث وآثار كثيرة بأسانيدها المطرفةَ منها : عن عمر رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم [١٢و] : (إذا مررتمْ برياضِ الجنَّةِ فارتعوا ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ! وما رياضُ الجنَّةِ ؟ قالَ : حلَقُ الذِّكرِ فإنَّ للهِ سيَّاراتٍ منَ الملائكةِ يطلبُونَ حِلَقَ الذِّكرِ ، فإذا أتوا عليهمْ حفُّوا بهم)(٣) .

وعن عطا قالَ : (مجالسُ الذِّكرِ هي مجالسُ الحلالِ والحرامِ ، كيفَ نشتري ونبيعُ ونُصلِّي ونصومُ وننكحُ ونطلِّقُ وأشباهُ ذلكَ)(٤) .

وعن ابن عمر عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : قالَ : (مجلسُ فِقهٍ خيرٌ من عبادةِ ستينَ سنة)(٥) .

---

(١) هو ابو زكريا يحيى بن شرف الشافعي ، ولد بنوى سنة ٦٣١هـ وانتقل منها الى دمشق ، ودرس فيها وأصبح من العلماء الاعلام وصنف كثيراً من الكتب ، وتوفي سنة (٦٧٦هـ) . ترجمته في اول كتابه المجموع في شرح المهذب ١/٣ .

(٢) ينظر شرح المهذب ١/٣٥ .

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب ابلغدادي ١/١٢ ، شرح المهنب ١/٣٥ .

(٤) الفقيه والمتفقه ١/١٣ ، شرح المهذب ١/٣٥ .

(٥) نفس المصدر ١/١٤ ، شرح المهذب ١/٣٥ .

وعن عبدالرَّحمن بن عوف رضيَ اللهُ عنهُ إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قال : (يسيرُ الفقهِ خيرٌ من كثيرِ العبادة)[1] .

وعن ابن عمر عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قالَ : (أفضلُ العبادةِ الفقهُ)[2] .

وعن أبي الدَّرداء : (ما نحنُ لولا كلماتُ الفقهاءِ)[3] .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (العالمُ أعظمُ أجراً منَ الصَّائمِ القائمِ الغازي في سبيلِ اللهِ)[4] .

وعن أبي ذَرٍّ وأبي هريرة رضيَ اللهُ عنهما قالا : (بابٌ منَ العلمِ نتعلَّمهُ أحبُّ إلينا منْ ألفِ ركعةٍ تطوعاً ، [[5] وباب من العلم نعلمه نعمل به أو لم نعمل به أحبُّ إلينا من مائة ركعةٍ تطوعاً])[6] . وقالا : سمعنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقولُ : (إذا جاءَ الموتُ طالبَ علمٍ ، وهو على هذهِ الحالةِ ماتَ وهو شهيدٌ)[7] .

---

(1) نفس المصدر ١/١٤ ، ١٥ شرح المهذب ١/٣٥ ، مجمع البحرين في زوائد الصحيحين ١/٢٠ وفيه قليل الفقه خير ... الخ .
(2) الفقيه والمتفقه ١/٢١ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(3) شرح المهذب ١/٣٦ ، الفقيه والمتفقه ١/٣٦ .
(4) شرح المهذب ١/٣٦ .
(5) ما بين المعقوفين زيادة عن (م) ، (ب) ، وهو ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر .
(6) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(7) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ : (لأنْ أَعلمِ باباً من العلمِ في أمرٍ ونهيٍ أَحبُّ اليَّ من سبعين غزوةً في سبيلِ اللهِ)[1] .

وعن أبي الدرداء رضيَ اللهُ عنه : (مذاكرةُ العلمِ ساعةً خيرٌ من قيامِ ليلةٍ)[2] .

وعن الحسن البصري قالَ : (لأنْ أتعلَّمَ باباً من العلمِ فأُعلِّمهُ مسلماً [١٢ظ] أحبُّ إليَّ من أنْ تكونَ ليَ الدُّنيا كلُّها في سبيلِ اللهِ)[3] .

وعَنْ مَكْحُولٍ[4] : (مَا عُبِدَ اللهُ بأفضَلِ مِنَ الفقهِ)[5] .

وعن الزُّهري[6] : (ما عُبِدَ اللهُ بمثلِ الفقهِ)[7] .

وعن سعيد بن المسيب قالَ : (ليست عبادةُ الرَّجلِ بالصَّومِ والصَّلاةِ ، ولكن بالفقهِ في دينهِ ، يعني : لَيْسَ أعظمُها وأفضلُها الصَّومُ بَلِ الفقه)[8] .

---

(١) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٢) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٣) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٤) هو ابو عبدالله مكحول بن أبي مسلم الهذلي مولاهم ، أصله من كابل ، وهو فقيه وحافظ ، توفي سنة (١١٣هـ) .
(٥) الفقيه والمتفقه ١/٢٣ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٦) هو ابو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وهو اعلم الحفاظ توفي سنة (١٢٢هـ) .
(٧) الفقيه والمتفقه ١/٢٣ ، شرح المهذب ١/٣٦ ، مختصر جامع بيان العلم ص١٨ .
(٨) شرح المهذب ١/١٦ .

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي عدرة : (أقربُ النَّاسِ من درجةِ النبوةِ أهلُ العلمِ ، وأهلُ الجِهادِ ، فالعلماءُ دلّوا النَّاسَ على ما جاءَت بهِ الرُسُلُ ، وأهلُ الجهاد جاهدوا على ما جاءت بهِ الرُسُلُ)[1] .

وعن سفيان[2] بن عيينة : (أرفعُ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً من كانَ بينَ اللهِ وبينَ عبادهِ ، وهم الرُسُلُ والعُلَماءُ)[3] .

وعن سهل[4] التسْتري : (مَنْ أرادَ النَّظَرَ الى مجالسِ الأنبياءِ فلينظر الى مجالسِ العلماءِ ، فاعرفوا لَهُم ذلكَ)[5] .

(١) شرح المهذب ٣٦/١ .

(٢) هو ابو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي ، ولد في الكوفة سنة (١٠٧هـ) وسكن مكة كان محدثاً حجة وحافظاً ثقة ، واسع العلم عظيم القدر ، توفي في مكة سنة (١٩٨هـ) ترجمته في صفة الصفوة ١٣٠/٢ ، وفيات الاعيان ٢١٠/١ ، تاريخ بغداد ١٧٤ ، حلية الاولياء ٢٧٠/٧ ، الاعلام ١٥٩/٣٣ .

(٣) شرح المهذب ٣٦/١ .

(٤) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التسترى ، احد ائمة الصوفية والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الافعال ، توفي سنة (٢٨٣هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ١٨٩/١ ، الاعلام ٢١٠/٣ .

(٥) شرح المهذب ٣٧/١ .

وعن سفيان[1] الثَّوري والشَّافعي : (لَيْسَ شيءٌ بَعْدَ الفرائضِ أفضلَ من طلبِ العِلمِ)[2] .

وعن أحمد بن حنبل ، وقيلَ لهُ : (أي شيءٍ أحبُّ اليكَ ؟ أجلسُ باللَّيلِ أنسخُ ، أَوصلي تطوعاً ، قالَ : نسخُكَ تعلمُ بهِ أمرَ دينِكَ فهو أحبُّ)[3] انتهى .

ما نقلهُ الإمام النَّووي رحمهُ اللهُ ، وقد ترجم عليهِ بترجيحِ الاشتغالِ بالعلمِ على الصَّلاةِ والصِّيامِ وغيرهما من العباداتِ القاصرةِ على فاعلِها ، وصدَّرهُ بالاشارةِ الى شيءٍ من الآياتِ والأحاديثِ المتقدمةِ ، ثم قالَ : (فهذهِ أحرفُ من أطرافِ ما جاءَ في ترجيحِ الاشتغالِ بالعلمِ على العبادةِ ، وجاءَ عن جماعات من السَّلفِ ممَّنْ أذكرُهُ نحوُ ما ذكرتهُ ، قالَ[4] : والحاصلُ [١٣و] أنَّهم يتَّفقونَ علَى أنَّ الاشتغالَ بالعلمِ أفضلُ من الاشتغالِ بنوافلِ الصَّومِ والصَّلاةِ والتَّسبيحِ ، ونحو ذلكَ من نوافلِ عباداتِ البدن ، قالَ : ومن دلائلهِ سوى ما سبقَ أنَّ نفعَ العلمِ يعمُّ صاحبَهُ والمسلمينَ ، والنَّوافلُ المذكورةُ مختصَّةٌ

---

(١) هو ابو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور ابن عبد مناة ، ولد سنة (٩٧هـ) كان عالماً محدثاً مشهوراً ، توفي في البصرة سنة (١٦١هـ) ترجمته في الحلية ٦/٣٥٦ ، تاريخ بغداد ٩/١٥١ ، الاعلام ٣/١٥٨ .

(٢) شرح المهذب ١/٣٤ـ٣٦ .

(٣) الفقيه والمتفقه ١/١٧ ، شرح المهذب ١/٣٦ .

(٤) (قال) : ساقطة من (ب) .

بهِ ، ولأنَّ العلمَ مُصحِّحٌ لغيرهِ من العبادات مُفتقِرٌ اليهِ ، ولا ينعكسُ ، ولأنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، ولا يُوصَفُ المُتعبِّدونَ بذلكَ ، لأنَّ العابدَ تابعٌ للعالمِ مقتدٍ بهِ مقلِّدٌ لهُ في عبادته وغيرها ، واجبٌ عليهِ طاعتهُ ولا ينعكسُ ، ولأنَّ العلمَ تبقى فائدتُهُ وأثرُهُ بعدَ صاحبهِ ، والنوافلُ تنقطعُ بموتِ صاحبِها ، ولأنَّ العلمَ صفةٌ للهِ تعالى ، ولأنَّ العلمَ الذي الكلامُ فيهِ فرضُ كفايةٍ ، فكانَ أفضلَ من النَّافلةِ ، وقد قالَ إمام[1] الحرمينِ رحمهُ اللهُ في كتابه الغياثي : (فرضُ الكِفايةِ أفضَلُ من فرضِ العينِ من حيثُ إنَّ فاعلَهُ يسدُّ مسدَّ الأمةِ ، ويسقطُ الحرجُ عن الأمةِ ، وفَرْضُ العَينِ قاصرٌ عليهِ)[2] • انتهى ما قالَهُ النووي •

قلتُ : قَدْ وافقَ [قول][3] إمام الحرمين في ذلكَ قولَ والدهِ الشيخِ أبي محمد[4] في كتابهِ المحيط : للقائم بفرضِ الكفايةِ مزيَّةٌ على القائمِ بفرضِ العينِ

---

(١) هو أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بامام الحرمين ، اعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ولد في جوين أحد مدن فارس ، ورحل الى بغداد ، ثم سافر الى مكة ، وبقي فيها أربع سنين ، ثم ذهب الى المدينة فأفتى ودرس ، ثم ذهب الى بلده نيسابور وتوفي هناك سنة (٤٧٨هـ) ، ترجمته في وفيات الاعيان ٢٨٧/١ ، مفتاح السعادة ٤٤٠/١ ، الاعلام ٣٠٦/٤ •

(٢) النص نقله المؤلف من كتاب شرح المهذب ٣٧/١ •

(٣) (قول) : زيادة من (م) ، (ب) •

(٤) أي قول والد امام الحرمين ، عبدالله بن يوسف •

انتهى . وقد قالَ بذلكَ أيضاً الاستاذُ أبو إسحاق الاسفراييني[1] في شَرحِ كتابِ الترتيب . وكذا نقلَ الشيخ أبو علي السَّنْجي[2] أوَّلَ شرحِ التلخيصِ عن طوائف من المحققين أنَّ فرضَ الكفايةِ أهم من فرض الأعيان ، والاشتغالُ به أفضل من الاشتغال بأداءِ فرضِ العين ، وعبارةُ الامامِ في الغياثي [١٣ظ] أفضلُ ، ولهذا إعترضَ الزَّركشي[3] تبعاً لشيخهِ البرماوي[4] على مَنْ نَقَلَ عنهُ كالنَّووي ، وعن غيرهِ من المذكورين

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران ، نشأ ودرس في اسفرايين بين نيسابور وجرجان ، ثم رحل الى نيسابور ودرس فيها ورحل الى خراسان وبعض انحاء العراق ، واصبح فقيهاً واصولياً له عدة مصنفات ، توفي سنة (٤١٨هـ) في نيسابور . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٤ ، شذرات الذهب ٣/٢٠٩ ، طبقات السبكي ٣/١١١ ، الاعلام ١/٥٩ .

(٢) هو أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السنجي ، ينتسب الى سنج قرية من قرى مرو ، كان فقيها من فقهاء الشافعية في مدينة مرو ، توفي فيها سنة (٤٢٧هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/١٤٥، الاعلام ٢/٢٥٨ .

(٣) هو أبو عبدالله بدرالدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي كان فقيهاً عالماً اصولياً له عدة مصنفات ، توفي سنة (٧٩٤هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٣٩٧ ، شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، الاعلام ٦/٢٨٦ .

(٤) هو أبو عبدالله شمس‌الدين محمد بن عبدالدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البرماوي ، نسبة الى (برمة) من محافظة الغربية بمصر ، ولد في مصر سنة (٧٦٣هـ وتربى وتعلم فيها واصبح عالماً بالفقه والحديث سافر الى دمشق وتصدر للافتاء ، وتوفي في القدس سنة (٨٣١هـ) ، ترجمته في البدر الطالع ٢/٨٨١ ، الضوء اللامع ٧/٢٨٠ ، الاعلام ٧/٦٠ .

كابن السبكي في جمع الجوامع أن فرض الكفاية أفضل من فرض العين ، قالا : وصواب النقل عنهم أن القيام به أفضل كما وقع في عباراتهم ، لا أنه نفسه أفضل .

قلت : وفي قول النووي : (من حيث إن فاعله يسد مسد الأمة)[1] ، دلالة ظاهرة على أن المراد من فرض الكفاية فعل المكلف الذي كلفه به الشارع ، وهو متعلق الثواب ، وهو ما حصل في الخارج من قيام المكلف بذلك الفرض ، فوصف الاتيان به بالأفضلية إنما هو من حيث كون المأتي به أفضل من هذه الحيثية المخصوصة ، فنبه الامام النووي بما عبر به على أنه مراد إمام الحرمين ، ولهذا لم يعرج شيخنا محقق العصر الجلال[2] المحلي في شرحه لجمع الجوامع على هذا الاعتراض من شيخه البرماوي .

قلت : وفي قول النووي أيضاً من حيث إن فاعله الى آخره ، دلالة على أنه ليس أفضل من فرض

---

(١) شرح المهذب ١/٣٧ .

(٢) هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن هاشم المحلي ، نسبة للمحلة الكبرى في مصر ، ولد في القاهرة سنة (٧٩١هـ) ودرس فيها واصبح عالماً ومفسراً واصولياً مشهوراً ، عرض عليه القضاء الاكبر وامتنع ، له مؤلفات كثيرة ، توفي في القاهرة سنة (٨٦٤هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٧/٣٠٣ ، حسن المحاضرة ١/٢٥٢ ، الضوء اللامع ٧/٣٩ ، الاعلام ٦/٢٣٠ .

العينِ مطلقاً ، بل من هــذه الحيثية فقط ، ولــذا قالَ شيخنا الجَلالُ المحلي : والمتبادرُ الى الأذهان ــ وإنْ لم يتعرّضوا لــه فيما علمتُ ــ أنّ فرضَ العينِ أفضــلُ لشــدّة اعتنــاءِ الشارعِ بــهِ بقصد حصولهِ من كلِّ مكلّفٍ في الأغلبِ انتهى .

ويشهدُ لذلكَ قولُ أصحابِنا : إنّ قطعَ الطّوافِ المفروضِ لفعــلِ سُنَّةٍ أو صَــلاةِ جَنــازةٍ مكروه" ، وعلّلُوهُ بأنّــهُ لا يحسنُ تركُ فرضِ العينِ لسُنَّةٍ أو فرضِ كفايةٍ ، كما ذكرهُ الشّيخان وغيرهما ، ونصَّ إمامُنا الشّافعي على ذلكَ في الأمِّ[1] [١٤و] لئــلا يقطعَ فرضاً لنفلٍ أو فرضِ كفايةٍ انتهى .

ووجهُهُ ما أشارَ اليهِ شيخُنا من أنّ مزيَّةَ فرضِ العينِ من حيثُ اعتناءُ الشارعِ بــهِ حيثُ لــم يجوِّزْ تركَهُ بوجهِ مقتضيهِ ، لئلاّ يشتغلَ عنــهُ بما يجوزُ لهُ تركهُ في الجملةَ ، للاكتفاءِ فيه بوجودِ الفعلِ من غيرهِ ، فالحاصلُ أنّ لكلٍّ مــن فرضِ العينِ ، وفرضِ الكفايةِ مزيَّةً ، ومزيَّةُ فرضِ العينِ الدّالّةُ على أنَّ عنايةَ الشّارعِ بهِ أشدُّ ، مقتضيةٌ لتفضيله . فانْ قيــلَ قولُ الإمــامِ : ولأنَّ العــلمَ الّذي الكلامُ فيــه فرضُ كفايــةٍ الى آخــره . كانَ الأصوبُ أنْ يقــولَ بدلهُ : ولأنَّ العلمَ الذي الكلامُ فيهِ إمّا فرضُ عينٍ ، وإمّا فرضُ كفايةٍ ، وكلاهما أفضلُ من النّافلةِ .

---

(١) ينظر كتاب الام للامام الشافعي ٢/١٧٠ ــ ١٧٨ .

قُلْنَا : إذا ثبتَ تفضيلُ فرضِ الكفايةِ من العلمِ، ففرضُ العينِ أَوْلى، مع أنَّهُ ليسَ المرادُ تفضيل الاشتغالِ بفرضِ الكفايةِ من العلمِ علَى الاشتغالِ بغيرهِ من نوافلِ العباداتِ، ألا ترى الى ما ورد من تفضيلِ العالمِ علَى العابدِ، مع أنَّ العابدَ لا يخلو عن علمٍ بالعبادةِ التَّي يواضبُ عليها، ولولا ذلكَ لم تكن عبادةً، فلا بدَّ له من علمِ ما هو فرضُ عينٍ عليهِ، وهو ما لا يتأدى الواجبُ الَّذي يعيِّنُ عليه فعلهُ إلاّ به، وكذا كلُ عبادةٍ أرادَ أن يأتي بها ويدخلَ فيها، إذاً يُحرِمُ التَّلبسُ[1] بالعبادةِ، وإنْ كانت نفلاً قبلَ معرفةَ كيفيتِها، وعلى هذا جماعات حديث سُنن ابن ماجةَ ومسندِ أبي يعلى وغيرهما عن أنس مرفوعاً: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[2]، وقدْ ذَكرَ [لَهُ][3] الزَّين العراقي [١٤ظ] في أماليهِ إسناداً جيِّداً وحسَّنهُ من أجلهِ، وأشارَ النَّووي بقولهِ : الَّذي الكلامُ فيه الى ما أشارَ اليهِ في شرحِ المهذَّبَ أيضاً من انقسامِ العلمِ المطلوب شرعاً الى : فرضِ عينٍ، وفرض كفايةٍ، ونفلٍ . وقالَ في بيانِ القسمِ الثالث : (هو كالتبحُّر في أُصُولِ الأدلةِ، والامعان فيما وراء القدرِ الَّذي يحصلُ بهِ فرضُ الكفايةِ، وكتعلِّم العامي نوافلَ العباداتِ لغرض العمل

---

(١) كذا في (م)، (ب)، وفي الاصل (اللبس) وهو تحريف .
(٢) سنن ابن ماجة ١/٨١، شرح المهذب ١/٤١، ورواه الطبراني عن ابن مسعود، المعجم الكبير ١٠/٢٤٠ .
(٣) (لـه) : ساقطة من الاصل، وهي زيادة من (م)، (ب) .

لا ما يقومُ بهِ العلماءُ من تمييز الفرض من النفلِ ، فإنَّ ذلكَ فرضُ كفايةٍ في حقِّهم)[1] انتهى .

قلتُ : وفيه نظر ، إذ قد يُقالُ لِمَ لا يتحرَّجُ التَّبحر فيما ذُكِر على الخلافِ في مسحِ جميعِ الرَّأسِ وتطويل السُّجود ؟ هَلْ يُوصَفُ الجمعُ بالعرضيَّة أم قدرُ الواجبِ والزَّائدِ[2] سُنَّة ؟

وأمَّا تعلُّم العامي لما ذُكِرَ فينبغي كونه فرضَ كفايةٍ ، وإنْ لم يفِ بالغرض ، أو عينٍ ، لامتناعِ الشروعِ في العبادةِ [وإنْ كانتْ نفلاً قبلَ العلم بما يحتاج إليهِ في كيفيتها ، إذ لا تصحُّ العبادةُ][3] إلاَّ ممَّنْ يعرفُها كما صرَّحَ بهِ النَّووي ، فليحمل[4] ما سبقَ عنهُ علَى تعلُّم ما زادَ علَى ذلكَ ، ويَجعَلُ كونُ الغرضِ منهُ العمل مانعاً من وقوعه فرضُ كفايةٍ ، لأنَّهُ لم يقصد بهِ الشروع في تحصيلهِ فَليتأمل .

قُلتُ : ولمْ يختلِفُوا في تفضيلِ الاشتغالِ بالعلمِ الشَّرعي على وجههِ المشروعِ علَى الاشتغالِ بنوافلِ الطَّاعاتِ ، ولهذا نقلَ بعضُهم عن سفيان بن عيينةَ أنَّهُ قالَ : (أرفعُ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً من كانَ

---

(1) شرح المهذب للنووي ١/٤٥ .

(2) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) (منه) مكان (والزائد سنة) .

(3) ما بين المعقوفين : ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر ، وهو عن (م) ، (ب) .

(4) ينظر شرح التهذيب للنووي ١/٤٥ .

بينَ اللهِ وبينَ عبادهِ ، وهم الأنبياءُ والعلماءُ)[1] قالَ : ولم يُعطَ أحدٌ شيئاً في الدُّنيا أفضل منَ النُّبوةِ ، وما بعدَ النُّبوةِ شيءٌ أفضلُ من العلمِ والفقهِ ، فقيلَ عَمَّنْ هذا [١٥و] قالَ : عن الفقهاءِ كُلِّهم ، انتهى .

وروى الامامُ البيهقي بسندهِ عَنِ الرَّبيع[2] بن سليمان قالَ : سمعتُ الامام الشَّافعي يقولُ : (ليس بعدَ أداءِ الفرائضِ أفضلُ من طلب العلمِ . قيلَ لهُ : ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ ؟ قالَ : ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ)[3] ، ثُمَّ روى بسندهِ خَبَرَ ابن عيينة المتقدم ، ولفظهُ : (سمعتُ الشَّافعي يقولُ : سمعتُ ابنَ عيينة يقولُ : لم يُعطَ أحدٌ في الدُّنيا أفضلَ منَ النبوَّةِ ، ولم يُعْطَ أحدٌ بعدَ النبوَّةِ شيئاً أفضل من العلمِ والفقهِ ، ولم يُعطَ في الآخرةِ أفضلَ منَ الرَّحمةِ . فقيلَ لهُ : يا أبا عبداللهِ عَمَّنْ هذا ؟ قالَ : عن الفقهاءِ كُلِّهم)[4] .

---

(١) شرح المهذب ٣٦/١ ، وفيه (الرسل والعلماء) مكان (الانبياء والعلماء) .

(٢) هو ابو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادي بالولاء ، صاحب الامام الشافعي ، وراوي كتبه ، واول من أملي الحديث بجامع ابن طولون ، ولد سنة (١٧٤هـ)، وتوفي سنة (٢٧٠هـ) ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٤٧/٣ ، وفيات الاعيان ١٨٣/١ ، الاعلام ٣٩/٣ .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٨/٢ .

(٤) مناقب الشافعي ١٣٩/٢ .

وأخرج البيهقي أيضاً عن سليمان التَّيمي قال : كنتُ أنا وأبو عثمان ، وأبو نضرة ، وأبو مجلز ، وخالدُ الأشجُ نتذاكرُ الحديثَ والسُّنَّةَ ، فقالَ بعضهم : لو قرأنا سورةً من القرآن كانَ أفضل . فقالَ أبو نضرة : كانَ أبو سعيد الخدري رضيَ اللهُ عنه يقولُ : (مذاكرةُ الحديثِ أفضلُ من قراءة القرآن)[1] ، ثم أنَّ ظاهرَ ما تقدَّمَ من الاستدلالاتِ على تفضيلِ ذلكَ على نوافلِ الطَّاعات شموله للرَّواتب المؤكدة مع المواضبة عليها من سيد العلماءِ ومعلمهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه ، وسلوكُ طريقِ المواضبة عليها هو ما درج عليه السَّلفُ من العلماء ، وتبعهم الخلفُ ، وذكروا تأكيدهاَ حتَّى قالوا : إنَّ تركَها يخلُّ بالعدالة ، فينبغي حملُ اطلاقِهم على ما عداها ، إلاّ أنْ تشتدَّ الحاجةُ الى الكلامِ في العلمِ[2] ، فتتقدم على الراتبةِ ، ويقضيها إذا فاتتْ كما ثبتَ في الصَّحيحين من قولهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم [١٥ظ] لأُم سلمة : (يا بنتَ أبي أُميَّة ! سألتَ عن الرَّكعتين بعدَ العصر [أي اللتينِ راتبةٌ يفعلهما بعدَ العصر][3] انَّهُ أتاني أُناسٌ من وفد عبد القيس بالاسلام من قومهم ، فشغلوني عن اللتين بعدَ الظُّهرِ ، فهما هاتانِ الركعتانِ)[4] .

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي : (قال رجل لأبي مجلز ، وهم يتذاكرون الفقه والسنة : لو قرأت علينا سورة من القرآن الكريم ، فقال : ما أنا بالذي أزعم أن قراءة القرآن أفضل ما نحن فيه) الفقيه والمتفقه ١/١٧ .

(٢) (في العلم) : ساقطة من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين : ساقط من الاصل ، وهو من (م) ، (ب) .

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢٣/٢٥٩ .

وفي كتاب ترتيب الاوراد من الأحياء في بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال أنَّ العالم الذي ينتفع النَّاس بعلمه إنْ أمكنه إستغراق الأوقات فيه ، أفضل ما يشغل به[1] بعد المكتوبات وروايتها انتهى ٠

فالظَّاهر ما قدَّمناه ، وإلاّ فليقيِّد ما ذكروه في إخلال تركها بالعدالة بما إذا كان من غير أنْ يصرف زمنها لما هو أفضل منها ، وقد رأيت في الطَّالع السعيد لأبي جعفر الأدفوي ما حاصله[2] أنَّ ابن دقيق[3] العيد لما وصل اليه الشرح الكبير[4] للامام الرّافعي المسمى بالعزيز ، اشتغل بمطالعته ، وصار يقتصر من الصَّلوات على الفرائض فقط ، ولعلَّ المراد مع توابعها ٠

وفي الأحياء قال ابن عبدالحكم : (كنت عند مالك أقرأ عليه العلم ، فدخل الظُّهر فجمعت الكتب لأصلِّي ، فقال : يا هذا ما الذي قمت اليه بأفضل مِمَّا كنت فيه ، إذا صحَّت النية)[5] ٠

---

(١) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : (بعض) وهو تحريف ٠

(٢) ينظر الطالع السعيد ص٥٨٠ ٠

(٣) هو محمد بن علي بن وهب ، تقي الدين بن دقيق العيد القشيري ، كان عالماً فاضلاً وفقيها مشهوراً ، توفي سنة (٧٠٢هـ) ، الطالع السعيد ص٥٦٧ ـ ٥٩٩ ٠

(٤) (الشرح الكبير) : هو (فتح العزيز على كتاب الوجيز) للامام ابي القاسم عبدالكريم بن محمد القزويني الرافعي الشافعي (ت٦٢٣هـ) شرح به كتاب الوجيز في فروع الشافعية للغزالي ٠ ينظر كشف الظنون ٢٠٠٢ ٠

(٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٨ ، نقله عن ابن وهب ٠

قلتُ : وهو ظاهِرٌ في تفضيلِ الاشتغالِ بالعلمِ مع صحّةِ النية فيه ، وهو المشارُ اليه بقولنا : على وجهِ المشروعِ علـى فضيلةِ أوّلِ الوقتِ ، وقـول النّوويّ : ولأنَّ العابدَ تابعٌ للعالمِ الى قولِهِ : واجبٌ عليـه ، عبَّرَ عنـهُ البدرُ بـن جماعةِ بقولِهِ : (ولأنَّ طاعـةَ العالمِ واجبةٌ على غيرهِ فيـهِ ، وزادَ ولأنَّ في بقـاءِ العِلْمِ إحياءَ الشَّريعةِ [١٦و] حفظَ مَعالمِ المِلَّةِ)[١] انتهى .

قلتُ : ومـا ذكـرهُ مـن وجوبِ طاعةِ العالم فيما يتعلَّق بالعلمِ ظاهِـرٌ صرَّحَ بِـهِ غيرهما ، واستدلَ عليـهِ بقولـهِ تعَـالى : (أَطِيعُـوا اللهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)[٢] . قالَ عطا في تفسيرها كمـا فـي مسنـد الدّارمي : (أُولوا العـلم والفقه)[٣] ، وصحَّحهُ بعضُهم ، لقوله تعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرَّسُـولِ وَإلى أُولـي الأَمْرِ مِنْهُـمْ لَعَلِمَـهُ الَّذِيـنَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُـمْ)[٤] . فالرَّاجحُ فـي هذه[٥] اتّفاقاً أنَّ المرادَ بأُولـي الأَمْرِ العلماءُ ، علـى أنَّهُ لو سُلِّمَ أنَّ المرادَ من أُولي الأمرِ فيهما ولاتُ الأمُورِ ، فالشَّرطُ فيهم العلمُ ، ولا طاعةَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص١٣ ، شرح المهذب ١/٣٧ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٣) مسند الدارمي ١/٦٣ .

(٤) سورة النساء الآية : ٨٣ .

(٥) (في هذه) : ساقطة من (ب) .

لهم إلاّ فيما وافقَ العلمَ ، (إذ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ)[1] ، فالدّلالة علَى ما ذكرناهُ ظاهِرٌ ، ولهذا اعترضَ التّقي[2] السّبكي قولَ إمامِ الحرمين : القضاءُ إظهارُ حكمِ الشّرعِ من مطاعٍ ، قالَ : والتّعبير بمطاعٍ للاحترازِ عن المفتي ، فقالَ السّبكي : هذا باطلٌ ، لأنّ المفتي تجبُ طاعتهُ ، فهو مطاعٌ شرعاً ، انتهى .

قلتُ : الظاهِرُ إنّ مرادَ إمامِ الحرمينِ بالمُطاعِ ، من وجبتْ طاعتهُ بالخصوصِ لا بعمومِ كونهِ عالماً ومفتياً ، وهو من انعقدت ولايتهُ لفصلِ القضايا ، فقد قالَ في كتابِ الغياثي : إنّهُ إذا خلى الزّمانُ عن إمامٍ وعن سلطانٍ ذي كفايةٍ فالأمُور موكولةٌ إلى العلماءِ ، ويلزمُ الأمّةُ الرجوعَ اليهم ، ويصيرونَ ولاةَ العبادِ ، فإنْ عسرَ جمعهم علَى واحدٍ استقلَّ أهلُ كُلِّ ناحيةٍ باتباعِ علمائهم ، فإنْ كثُرَ عُلماءُ ناحيةٍ فالمتبعُ أعلمهم ، [١٦ظ] فان إستووا أُقرِعَ بينهم انتهى .

هذا من حيثُ انعقادُ الولايةِ الخاصة ، فلا ينافي وجوب طاعةِ العلماءِ مطلقاً ، وقد كانَ الامامُ مالكُ بن أنس يمتنعُ من الدخولِ في الولاياتِ ، ومع ذلكَ فكان يأمرُ بالحبسِ والتعزير فيمن رأى استحقاقهُ لذلكَ

---

(١) مسند ابن حنبل ٥/٦٦ ، وفيه عن عمران بن حصين ، المستدرك للحاكم ٣/٣٥٦ وفيه عن عثمان بن عفان : (فلا طاعة لمن عصى الله) .

(٢) مرت ترجمته .

فيمثلُ أمره ، وكذا الشَّافعي ، فقد رُوِيَ البيهقي عن عليٍّ بن الورّاق قالَ : (كانَ الشَّافعي عَطراً : وذلكَ أنَّهُ كانَ بهِ باسُور ، وكانَ يجيءُ غُلامهُ كُلَّ يومٍ بغَاليَةٍ فيمسحُ بها الاسطوانةَ الَّتي يجلسُ عليها ، وكانَ الى جنبهِ انسانٌ يُسمي[1] الشافعي بالبطَّال ، فلما كانَ ذاتَ يوم عمدَ الى شاربهِ فوضعَ فيه قَذراً ثم جاءَ الى حلقة الشَّافعي ، فلمَّا شمَّ الشافعيُ الرّائحةَ أنكرها ، فقَالَ : فتِّشوا نعالكم ، فقالوا : ما نرى شيئاً ، فقالَ : فيشمُّ بعضكم بعضاً ، فوجدوا ذلكَ الرَّجُلَ ، فقالوا : هذا ، فقالَ : ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقالَ : رأيتُ تجبُّركَ فأردتُ أنْ أتواضعَ للهِ تعالى ، قالَ : خذوهُ فاذهبوا بهِ الى عبدالواحد ـ وكَانَ على الشُّرطة ـ فقولوا له : يقولُ لكَ أبو عبدالله اعتقل هذا الى أَن أتصرَّفَ ، فلمَّا خرج الشَّافعي دخلَ عليه فدعا بهِ فضُربَ ثلاثين ، أو أربعين درةً ، فقالَ : هذاَ بما تخطيتَ المسجد بالقَذَر وصليتَ على غيرِ الطَّهارةِ)[2] .

وقد أخرجَ ابن السَّمان عن محمد بن زيادٍ قالَ : (كانَ عُمر يطوفُ بالبيتِ ، وعليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يطوفُ أمامَهُ ، إذْ عرضَ رجلٌ لعمر فقالَ : يا أمير المؤمنين خذ لي حقي من عليٍّ بن أبي طالبٍ ، قالَ : وما بالهُ ؟ قالَ : لطم عيني ، قالَ : [١٧و] فوقفَ عُمر حتَّى

(١) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) (يسميه) وهو مخالف للنص .
(٢) النص في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٢٠٨ .

مرَّ به عليٌّ ، فقالَ : ألطمتَ عينَ هـذا يا أبا الحسن ؟ قالَ : نعم يا أمير المؤمنين · قالَ : ولِمَ ؟ قالَ : لأنّي رأيتُهُ يتأملُ حرمَ المؤمنينَ في الطّوافِ ، فقالَ عمر : أحسنتَ يا أبا الحسن)[1] ·

قلتُ : ولم يزل ولاةُ الأمورِ ، وإن كانوا في العلمِ بمكانةٍ يرعونَ العلماءَ ، ويرجعونَ اليهم ، فقد أخرج الامِام أحمد في مسندهِ عن أبي ظبيان قالَ : (شهدتُ[2] عمر رضيَ اللهُ عنهُ أُتيَ بامرأة قد زنت ، فأمرَ برجمها ، فذهبوا بها ليرجموها ، فلقيهم عليٌّ رضيَ الله عنهُ ، فقالَ لهم : ما بالُ هذهِ ؟ قالوا : زنت فأمر عُمر برجمها ، فانتزعها عليٌّ من أيديهم وردهم ، فرجعوا الى عمر فقالوا : ردّنا عليٌّ ، فقالَ : ما فعل هذا عليٌّ إلاّ لشيءٍ ، فأرسلَ اليهِ فجاءَهُ ، فقالَ : ما لكَ رددتَ هذه ؟ قالَ : أمَا سمعْتَ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم يقولُ : (رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة : عن النّائمِ حتّى يستيقظَ ، وعن الصغير حتّى يكبرَ ، وعن المبتلي حتّى يعقلَ ؟)[3] قالَ : بلى · قالَ : فهذه مبتلاة بني فلان ، أتاها وهو بها ، فقال لهُ عمر رضيَ اللهُ عنهُ : لا أدري ، قالَ : وأنا لا أدري ، فتركَ رجمَها) · وفي رواية ، فقالَ عمر : (لولا عليٌّ لهلك عمر)[4] ·

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص٨٢ ·

(٢) هذا الكلام في تذكرة خواص الامة لسبط بن الجوزي ص٨٧ ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص٨١ ·

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٦/١٠ ، ١٠١ ، ١٤٤ ·

(٤) تذكرة خواص الامة ص٨٧ ·

ورُوِيَ بعضهم أنَّهُ اتفقَ لعليٍّ مـعَ أبي بكر رضـيَ اللهُ عنهما نحو ذلكَ ، وقـد أخرجَ ابن السَّمان عن أبي سعيد الخدري أنَّهُ سَمِعَ عمرَ يقولُ لعليٍّ رضِيَ اللهُ عنهما ، وقد سأله عن شيءٍ فأجابَهُ ففرَّج عنـهُ : (لا أبقاني اللهُ بَعدكَ يا عليَّ)[1] . وقال الزَّين العراقي في شرحِ التقريب ، في ترجمةِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ عُمـر رضِيَ اللهُ عنـهُ : (أقضانا عليٌّ)[2] ، وكـانَ يَتعـوَّذُ من معضلةٍ [١٧ظ] لَيْسَ لَها أبو الحسن[3] انتهى ، وهذا التَّعوذ رواهُ الدارقطني وغيرهُ ، ولفظهُ : (أعوذُ باللهِ من معضلةٍ ليسَ لها أبو الحسن)[4] ، وفي رواية لهُ عن أبي سعيد الخدري قال : قدمنا مـع عمر مكةَ ومعهُ عليُّ بن أبي طالب ، فذكر لـهُ عليٌّ شيئاً ، فقالَ عمر : (أعـوذ باللهِ أن أعيشَ في قومٍ ليس فيهم أبا حسن)[5] ، قالوا : وإنَّما لم نوله شيئاً من النعوتِ ، لأنَّهُ يمسكهُ عندَهُ لأخذ رأيهِ ومشاورتهِ .

وأخرجَ الحافظ عن عبدالملك بن أبي سليمان قالَ : قلتُ لعطاء : (أكانَ أحدٌ من أصحابِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وآلـهِ وسلَّم أفقـهُ من عليٍّ ؟ قالَ : لا واللهِ ما علمتهُ)[6] .

---

(١) تذكرة خواص الامة ص٨٨ ، وفيه : (لا آبقاني اللهُ بعد ابن ابي طالب) ، ذخائر العقبى ص٨٢ نفس الكلام .

(٢) المستدرك للحاكم ١٣٥/٣ ، ذخائر العقبى ص٨٣ .

(٣) ذخائر العقبى ص٨٢ .

(٤) ذخائر العقبى ص٨٢ ، ٨٥ .

(٥) ذخائر العقبى ص٨٢ .

(٦) ذخائر العقبى ص٧٨ .

قلتُ : وهذا شاهدٌ مما جاءَ في فضيلة عليٍّ ، في هذا الباب شاهدٌ لحديث : (أَنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها)[1] ، رواهُ الامام أحمد في الفضائلِ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، والحاكم في المناقب في مستدركه ، والطَّبراني في معجمهِ الكبير ، وأبو الشيخ ابن حِبَّان في السُّنة له ، وغيرهم كلهم ، عن ابن عباس مرفوعاً به بزيادةٍ ، (فمن أتَى العلمَ فليأتِ الباب)[2] ، رواهُ التِّرمذي من حديث عليٍّ مرفوعاً : (أنا مدينة العلمِ وعليٌّ بابُها)[3] . وقالَ التِّرمذيُّ عُقَيْبَ هذا : إنَّهُ مُنكَر ، وكَذا قالَ شيخهُ البُخاري . وقالَ الحاكم[4] عقب الأوَّلِ : إنَّهُ صحيحُ الاسناد ، ورواهُ ابن الجوزي[5] مع الثاني في الموضوعات ، وقالَ الحافظ أبو سعيد الغلامي : الصَّوابُ أنَّهُ حسنٌ باعتبار طرفه ، لا صحيح ولا ضعيف ، فضلاً عن أن يكونَ موضوعاً ، وكَذا قالَ شيخُ الاسلام ابن حجر في فتاوى لَهُ[6] : ولا ينافيه تفضيل أبي بكر [١٨و] وشهدَ لَهُ بالعلمِ أيضاً . فقد قالَ عليٌّ : (أبو بكر أعلمهم وأفضلهم ، وما اختلفوا

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/١٢٦ ، وفيه عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم : (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب) .

(٢) المستدرك ٣/١٢٦ تكملة للحديث السابق .

(٣) صحيح الترمذي ١٣/١٧١ وفيه : (أنا دار الحكمة وعلي بابها) .

(٤) ينظر المستدرك ٣/١٢٦ .

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ١/٣٥١ .

(٦) (لـه) : ساقطة من (ب) .

في شيءٍ إلاّ كانَ الحقُ معه) ، وعدم اشتهار علمه لعدم طولِ مدتهِ بعد الاحتياجَ لموتِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّم ، وقول عمر رضيِ اللهُ عنه : (عليٌ أقضانا)[1] ، رواهُ البخاري في صحيحهِ ، ونحوه عن جماعةٍ من الصحابةِ ، وللحاكم في المستدرك عن ابن مسعودٍ قالَ : (كنّا نتحدّثُ أنَّ أقضى المدينةِ[2] عليٌّ) ، وقالَ : إنّهُ صحيح ، ولم يخرجاهُ وأصلُ ذلكَ قصّةُ بعثه صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ الى اليمن قاضياً ، (فقالَ يا رسولَ اللهِ : بعثتني أقضي بينهم ، وأنا شابٌ لا أدري ما القضاء ؟ فضربَ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّم في صدره ، وقال : (اللهمَّ أهدهِ وثبّتْ لسانَه) ، قالَ : فوالذي فلقَ الحبّةَ وبرأَ النسمةَ ما شككتُ في قضاءٍ بين اثنينِ)[3] ، رواهُ أبو داود والحاكمُ وقالَ : صحيح الاسنادِ ، وبهذا يستغني عمّا أوردهُ البغوي[4] في المصابيح[5] ، ورواهُ أيضاً غيرهُ بأسانيدَ ضعيفةٍ مرفوعاً : (أقضى أمتي عليٌّ) ، مع أنَّ الامام أحمدُ رواهُ في حديث : (أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدهم في

---

(١) ذخائر العقبى ص٨٣ .

(٢) المستدرك ٣/١٣٥ .

(٣) مسند ابن حنبل ١/١١١ ، المستدرك ٣/١٣٥ ، مع اختلاف في لفظ المصدرين .

(٤) هو ركن الاسلام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المعروف بالفراء المتوفى سنة (٥١٠هـ) .

(٥) انظر مصابيح السنة للبغوي ٢/٥٠ .

أمرِ اللهِ عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقضاهم عليٌّ ، وأفرضهم زيد الحديث)[1] ، ورواهُ الترمذي بدونِ قولهِ : (أقضاهم عليٌّ) ، وصحّحهُ ، وروى أحمد والطَّبراني برجالٍ وثقوا أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم قالَ لفاطمة رضيَ اللهُ عنها : (أما ترضين أنَّ زوجَكِ أقدمَ أُمتي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلْماً)[2] ، ومِن المَعلُومِ أنَّ [١٨ظ] العِلمَ هو مادةُ القَضاءِ .

ومن عيون ما أُنْشِدَ في فضلِ العلمِ وأهله ما يُروَى عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقيل إنَّهُ لأبنهِ الحسن رضيَ اللهُ عنه[3] :

مَا الْفَخْرُ إلاّ لأهْلِ العلمِ إنَّهُم
على الهُدى لمن استهدَى أَدِلاءُ

ووزنُ كلِّ إمْرءٍ مَا كانَ يحسنهُ
والجاهلونَ لأهْلِ العلمِ أعداءُ

ففُز بعلمٍ تزد في الخيرِ مأثرةً
فالنَّاسُ موتَى وأهْلُ العلمِ أَحياءُ

---

(١) مسند الامام ابن حنبل ١٨٤/٣ ، ٢٨١ ، وقد ذكر الحديث دون ان يذكر علياً .

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٢٦/٥ .

(٣) الابيات في الديوان المنسوب للامام علي ص٦ ، شرح ديوان الامام علي لزادة سعدالدين سلمان ص٨ ــ ٩ ، وفي الكتابين اختلاف في الالفاظ لا يؤثر على المعنى ، وآثرنا الابقاء على ما في المخطوطة ، وهي في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٤ ، شرح المهذب ٣٨/١ ، ولم ينسبه احد هذه المصادر لابنه الحسن .

وجاءَ عن أبي الأسود الدؤلي إنـَّهُ قالَ على ما نقلهُ النووي[1] :

العِـلمُ زيْـنٌ وتَشريفٌ لصاحبـه
فاطلبْ هُدِيتَ فنونَ العِلْمِ والأدَبا

لا خـيرَ فيمن لـهُ أصـلٌ بـلا أدبٍ
حتـَّى يكونَ علَى مـا زانـهُ حدبـا

كَمْ مِنْ كَريمٍ أخي[2] عَيٍّ وطمطمةٍ
فَدُم لدى القـومِ معروفٌ إذا نُسِبا

فـي بيـتِ مكرمـةٍ آبـاؤهُ نُجُـبٌ
كانُوا الرُّؤوسَ فأمسى بعدهم ذَنَبَا

وخامـلٍ مقـرف[3] الآبـاءِ ذي أدبٍ
نـالَ المَعَـاليَ بالآدابِ والرُّتَبـا

أَمسَى عزيزاً عظيم الشـَّأن مشتهراً
فـي خَـدهِ صعرٌ قـد ضـلَّ محتجبا

---

(1) ديوان أبي الاسود الدؤلي تحقيق محمد حسن آل ياسين ص٩٦ ، ديوان أبي الاسود الدؤلي تحقيق العجيلي ص٢٢٥ ، شرح المهذب للنووي ٣٧/١ ، الفقيه والمتفقه للبغدادي ٥٢/١ ، جواهر الادب ٢٩٥/٢ .

(2) في الاصل (أخا) وهو خطأ .

(3) المقـرف : القبيح الوجه ، ويقصد الشاعر بالمقرف : الهجين الذي امه عربية وابوهُ أعجمي .

العلمُ كنزٌ وذخرٌ لا نفادَ لهُ
نعمَ القرينُ إذا ما صاحبٌ صحِبا

قدْ يجمعُ المرءُ مالاً ثم يُحْرمَهُ
عمّا قليلٍ فيلقَى الذلّ والحرَبا

وجَامعُ العِلمِ مغبوطٌ بهِ أبداً
ولا تحاذرُ منهُ الفوتَ والعَطبا[1]

يا جامعَ العلمِ نعمَ الذخرُ تجمعُهُ
لا تعدلنَّ بهِ درّاً ولا ذَهَبا

ولبعضهم[2] :

قَدْ عابَ ذا الفقهِ قومٌ لا عقولَ لهم
ومَا عَليهِ إذا عَابوهُ من ضَرَرِ

مَا ضرَّ شمسُ الضحى والشَّمْسُ طالعةٌ
أنْ لا يرَى ضوءَها من ليس ذا بصرِ

[١٩و] ولبعضهم[3] :

وألذّ ما طلبَ الفتَى بعد التُّقا
علماً هُنَاكَ يزينهُ طلبُهُ

---

(١) كذا في المخطوطة ، وفي المصادر المذكورة : (السلبا) .
(٢) البيتان في شرح المهذب ٣٨/١ ، وفيه (عاب التفقه) مكان (قد عاب ذا الفقه) .
(٣) البيتان لاحمد بن محمد بن احمد كما ذكر ابن عبدالبر في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٣٠ .

وَلِكُـلِّ طالبِ لَـذَّةٍ متنـزَّهٌ
وَأَلَـذُّ نزهـةِ عالـمٍ كتبـه

فصـل[1]

قـد ترجمَ الإمام النووي فـي مقدمة شرح المهذّب للنهي الأكيد ، والوعيد الشّديد لمن يؤذي ، أو ينتقصُ الفقهـاءَ والمتفقهين ، والحثُّ علـى إكرامهـم وتعظيـم حرماتهم ، ثم أَوردَ فـي ذلـكَ قولهُ تعـالى : (وَمَنْ يُعَظِّـمْ شَـعَائِـرَ اللهِ فَإِنَّهـا مِـنْ تَقْـوَى الْقُلُوبِ)[2] ، وقَولُـهُ تَعـالى : (وَمَنْ يُعَظِّـمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَـهُ عِنْـدَ رَبِّهِ)[3] ، وقولـه تعـالَى : (وَالَّذِيـنَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِـينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا كْتَسَبُوا فَقَدْ إحْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْمَاً مُبِيناً)[4] .

قلتُ : ووجهُ الدّلالةِ من الآيتينِ الأوليتين ظاهرٌ ، لأنَّ علماءَ الدِّين من أعظمِ شعائرِ الله ، إذ المرادُ مـن شعائرِ الله أعلام دينـه ، وهم مـن أعظمِ حرماتهِ على ما دلَّتْ عليهِ الأدلة السابقة ، وأمَّا وجهُ الدّلالةِ مـن الآيةِ الثالثة ، فهـو أنَّ هـذا الوعيدَ إذا ثبتَ الفاعلُ ذلكَ بالنسبةِ الى عامةِ المؤمنين ، فما ذاك بخاصتِهم ،

---

(١) الفصل والفقرة الى نهاية آيـة سورة الاحزاب من شرح المهذب ١/٤٠ .

(٢) سورة الحج الآيـة : ٣٢ .

(٣) سورة الحج الآيـة : ٣٠ .

(٤) سورة الاحزاب الآيـة : ٥٨ .

ولهذا أَردفَ النَّووي ذلكَ بالحديث الآتي : (من آذى لي ولياً الحديث)[1] .

وعن أبي أُمامة مرفوعاً : (ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق : ذو الشيبة في الاسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط)[2] ، رواه الطَّبراني في الكبير .

وعن عبدالله بن عمر قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : (ليسَ منَّا من لم يوقر كَبيرَنا ، ومن لم يعرف لعالمنا حقَه)[3] ، رواه الترمذي ، ورواه أبو يعلى [١٩ظ] عن أنس مرفوعاً .

وعن أبي الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (اكرموا العلماءَ ووقروهم ، وأحبوا المساكين وجالسوهم ، وارحموا الأغنياءَ وعفُوا عن أموالهم) ، رواه أبو عبدالرحمن السلمي في سنن الصُّوفية ، وكذا روي عن أنس مرفوعاً : (بجِّلوا المشايخ فإنَّ تبجيل المشايخ مِنْ إجلالِ اللهِ تعالى)[4] ، وأخرجهُ الخَطيب في الجامعِ ،

---

(١) الحديث عن أبي هريرة كما ذكرهُ النووي في شرح المهذب ٤٠/١ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٣٨/٨ ، وفيه لا يستخف بحقهم مكان (بهم) . وكذا ذكره ابن عبدالبر في مختصر جامع بيان العلم وفضله عن جابر ص٦٩ .

(٣) الحديث ذكره الترمذي في صحيحه ١٠٩/٨ ، ابن حنبل ٢٥٧/١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ .

(٤) الجامع ١١٧/١ .

وقالَ في روايةٍ لَهُ : (إنَّ مِنْ إجلالي توقيرِ الشيخِ مِنْ أُمَّتي)(١) ، وتَرْجَمَ الخطيبُ علَى ذلكَ ببيانِ تعظيمِ المحدِّث وتبجيلهِ ، وأخرجَ فيه أيضاً عن كعبِ الأحبارِ قال : (ثلاثةٌ نجدُ في الكتابِ يحقُّ علينا أن نكرمهم ، وأن نُشرِّفهم ، وأن نوسعَ عليهم في المجالس : ذو السِّنِ ، وذو السُّلطانِ لسلطانهِ ، وحامل الكتاب)(٢) .

وعن أبي سعيد الساعدي مرفوعاً : (اللهمَّ لا يدركني زمانٌ ، أو قال : لا يدركوا زماناً لا يتبعُ فيهِ العليم ، ولا يستحوا فيه من الحكيم قلوبهم قلوبَ الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب)(٣) ، رواهُ أحمد وفيه ابن الهيعة .

وعن أبي بكرة قالَ : سمعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقول : (أعدْ عالماً أو متعلِّماً أو مستمعاً أومحبّاً ، ولا تكن الخامسَ فتهلك . قالَ عطا : قالَ لي مُسْعِرُ زدتنا خامسةً لم تكن عندنا ، والخامسةُ أنْ تَبغُضَ العلْمَ وأهلَهُ)(٤) ، رواهُ الطَّبراني في الثَّلاثَةِ ، والبَزَّار ، ورجالهُ موثُوقُونَ ، وقالَ ابن عبدالبرِّ : الخامسةُ بمعاداةُ العلماءِ وبغضهُم ، ومن لم يحبُّهم فَقَدْ أبغضَهم ، أوْ قاربَ وفيهِ الهلاك)(٥) ، انتهى .

---

(١) الجامع ١/١١٧ ، في رواية اخرى له .
(٢) الجامع ١/١١٧ .
(٣) مسند الامام ابن حنبل ٥/٣٤٠ .
(٤) المعجم الصغير للطبراني ٢/٩ .
(٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٩ .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ [٢٠و] عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (إذا بغضَ النَّاسُ عُلَماءهم ، وأظهَروا عمارة أسواقِهم[١] ، ومالُوا على جمع لدَّراهمِ ، رماهم اللهُ بأربعِ خصالٍ : بالقحط في الزَّمان ، والجورُ من السُّلطان ، والخيانةِ من ولاة الأحكام ، والشوكة من العدرِ)[٢] ، رواهُ أبو عبدالرحمن السلمي في طبقات الصوفيَّة ٠

عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : (من مشى الى سلطان اللهَ في الأرضِ ليذلهُ ، أذلَّ اللهُ رقبتَهُ مع ما يُدَّخرُ لَهْ في الآخرَةِ)[٣] ٠ قالَ مسدد : وسُلْطانُ اللهِ في الأرضِ كتابَ اللهِ وسنَّة نبيه صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، أخرجهُ الطبراني في الكَبير ٠

قلتُ : ومراد مسدّدٍ حمل الوعيدِ المذكورِ على من أذلَّ العالمِ بهما ، ورويناهُ في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : قالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم : إنَّ اللهَ عزَّ وجل قالَ : (من عادى لي وَليَّاً فقد أذنتهُ بالحرب)[٤] ، ومن حديث عائشة عند الامام أحمد : (من آذى لي وليّاً)[٥] ،

---

(١) في كشف الغمة عن جميع الامة ١/١٧ : (تالبوا) ٠
(٢) الحديث أورده الشعراني في كشف الغمة عن جميع الأمة ١/١٧ ، ولم اعثر على الحديث المذكور في طبقات الصوفية لابي عبدالرحمن السلمي ٠
(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١/٢١٤ ٠
(٤) مسند الامام ابن حنبل ٦/٢٥٦ ٠
(٥) مسند ابن حنبل ٦/٢٥٦ ، شرح المهذب للنووي ١/٤١ ٠

وفي رواية في الزّهد للامام أحمد قالَ اللهُ تعالى : (مَن أهانَ وليَّ المؤمنَ ، فقد استقبلني بالمحاربة)[1] . وفي حديث ميمونة (فقد استحلَّ محاربتي) ، وفي حديث أنس بن مالك رضيَ اللهُ عنهُ عند الامام البغوي في شرح السُنَّة لهُ عن النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم عن جبريل عليه السلامُ يقولُ اللهُ عزَّ وجل : (مَن أهانَ لي ولياً فقد بارزني في المحاربةِ ، وإنِّي لأغضبُ لأوليائي كما [٢٠ظ] يغضبُ الأسدُ الجردُ)[2] . وفي حديث لمعاذ : (من عادَى أولياء اللهِ فقد بارز اللهَ بالمحاربةِ)[3] ، رواهُ ابن ماجة والحاكم ، وقالَ : صحيح لا علةَ لهُ ، وقد نقلَ الامام محيي الدين النووي رحمهُ اللهُ في كتابيهِ شرح المهذّب والتبيان ، عقب ايرادهِ لهذا الحديث بلفظ رواية البخاري عن الامامين الجليلين أبي حنيفة النّعمان ، وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان أنَّهما قالا : (إنْ لم يكنُ العلماءُ أولياءُ اللهِ فليسَ للهِ ولي)[4] ، وقد روى ذلكَ عنهما الامام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابهِ المسمى بكتاب الفقيه والمتفقه ، وأسندهُ البيهقي عن إمامنا الشافعي في مناقبهِ ، وقال في بعض

---

(١) في مسند ابن حنبل ٥/٤٢ ، ٤٩ : (من آهانَ سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانهُ الله يوم القيامة) .

(٢) المستدرك للحاكم ٤/٣٣٨ .

(٣) مسند ابن حنبل ٦/٢٥٦ .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٥٥ ، الفقيه والمتفقه ١/٣٥ ، ٣٦ ، شرح المهذب ١/٤١ .

طرقه : (إنْ لم يكن الفقهاء العاملون أولياءَ اللهِ عزَّ وجل فما للهِ ولي)[1] .

قلتُ : وإيضاحه أنَّ سُنَّةَ اللهِ تعالى في عبادهِ جاريةٌ بأنَّ العلماءَ إنَّما ينالونَ العلمَ بالدؤبِ والعكوفِ عليه ، وصرفِ الأوقاتِ فيه إذْ لا يُنالُ العلمُ براحةِ الجسدِ ثُمَّ يحلو لهم ذلكَ فيستغرقون أوقاتَهُم فيه تعلُّماً وتعليماً ، وقد إتَّضحَ مما سبق في الفصلِ قبلَهُ أنَّ ذلكَ من أفضلِ الطَّاعات ، وأنَّ حالَهُم في ذلكَ دائرٌ بينَ قيامهم بفَرْضِ العَينِ ، أَوْ فَرْضِ الكفايَةِ منْهُ . وقَدْ قالَ في هذا الحَديث القُدْسي ، كَمَا في الصَّحيحِ وغيره : (ومَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا إفترضتهُ عليه)[2] . فأوقاتِ العلماء مستغرقة بهذه العبادة الفاضلةَ فطاعاتهم لا تزالُ متواليةً ، والولي من توالت طاعاته لمولاهُ فتولاهُ اللهُ ، وأيضاً فالولي هو القائمِ [٢١و] بحقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادهِ علَى حسبِ طاقتهِ وأعظمِ كرامتهِ الاستقامة ، ولا يصلُ أحدٌ إلاّ من طريقِ العلمِ الذي أورثهُ اللهُ عزَّ وجل عبادَهُ العلماءَ مع سبق العناية بارادة الله تعالى بهم الخيرَ بشهادةِ الحديثِ الصحيحِ : (من يردِ اللهُ بهِ خيراً يفقّهُ في الدِّين)[3] . فيفقهُونَ عَنَ اللهِ عزَّ وجلَّ أمْرَهُ ونَهْيَهُ بالنُّورِ [الرَّباني][4] الذي أتاحَهُ في

---

(١) مناقب الشافعي ٢/١٥٥ .

(٢) رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين للنووي ص١٥٣ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٤٢ .

(٤) (الرباني) : زيادة من (م) ، و (ب) . وبه يكمل المعنى .

قلوبهم ، كما يرشدُ اليه قولُ الحسنِ البصري : (إنَّما الفقيهُ من فَقِهَ عن اللهِ أمرَهُ ونهيَهُ) .

قلتُ : فلا يكونُ إلاّ عاملاً بعلمه ، وإلاّ فلم يرد اللهُ به خيراً ، بل زيادة في الوبالِ ، ولذا أسندَ البيهقي عن الشَّافعي أنَّهُ قالَ : (ما أحدٌ أورعُ لخالقهِ من الفقهاءِ)[1] إنتهى . فالعلمُ ما أورثَ الخشيةَ والعملَ ، فيُورثُ اللهُ صاحبَهُ حينئذ علمَ ما لم يعلم ، كما جاءتِ الاشارةُ اليه في بعضِ الأحاديث : فينالُ حينئذ مقامَ الوراثةِ المشارَ اليه بحديث : (العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ)[2] . وإذا كانَ مَقامُ الولايةِ لا يُوصَلُ إليه إلاّ من طريقِ هؤلاءِ فكيفَ لا يكونونَ أولياءَ مع إرتفاعهم[3] من مقامِ الولايةِ الى مقامِ الوراثةِ ، وهُناكَ تعظُمُ عداوة الجُهّال لهم ، لعلمهم بقبيحِ أفعالهم وإنكارهم لما وافق الهوى من أعمالهم ، فقد رأيتُ من بالغَ في العداوةِ والأذى وليسَ لذنبٍ سوى الافتاء بما لم يوافق هواهُ ، فمنشأُ عداوة أولياء اللهِ تعالى غالباً غيرتهم للهِ عزَّ وجلَّ ، وذكرهم من الحقِّ ما يَخالف الأهوية ، فلذلكَ يُغارُ لهم المولى عزَّ وجلَّ فينتصرُ لهم إذْ منشأُ عداوتهم مخالفة الجهلة [٢١ظ] لما أوجب اللهُ من طواعيتهم ، ومن الجُهّالِ من يبعثهُ على عداوتهم

---

(١) مناقب الشافعي ٢/١٥٥ .

(٢) رواه ابن حنبل ٥/١٩٦ ، سنن الدارمي ١/٨٣ .

(٣) كذا في الاصل ، وفي (م) : (ارتقائهم) ، وفي (ب) : (انتقالهم) ، وما ذكرناه ارجح .

البغي والحسدُ ، فيكرهُ أنْ يكونَ لأحدٍ عليهِ شقوقٌ منزلة ، واختصاصٌ بمزية .

وقولُهُ في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً)[1] ، أي اتخذهُ عدواً ، وإنْ لم يعاده الولي لحلم وصفح ونحوهما ، وقد تطلق المعاداة ويُرادُ بها الوقوع من أحدِ الجانبين بالفعل ، ومن الآخرِ بالقوة ، وقوله : (فقد آذَنته) بالمد وفتح المعجمة ، أي أعلمتهُ ، وقولهُ : (بحربٍ) ، وفي الرواية الأخرى (بالمحاربة) ، بيانهُ أنَّ الحربَ تنشأُ عن العداوةِ ، والعداوةُ تنشأُ عن المخالفةِ ، وغاية الحرب الهلاكُ واللهُ تعالى لا يغلبهُ غالبٌ ، فالمعنى قد أعلمتهُ بتعرُّضه ، لأنْ أعملَ ما يعلمهُ العدوُّ والمحاربُ ، وفيهِ كمال قالَ الفاكهي[2] : تهديدٌ شديدٌ ، لأنَّ من حاربَهُ اللهُ أهلكهُ ، قالَ : وذلكَ أنَّ من كَرِهَ من أحبَّ اللهُ فقد أظهر مخالفتَهُ ، ومن أظهر مخالفته فقد عاداهُ ، ومن عاداهُ أهلكه ، وإذا ثبتَ هذا في جانب المعاداة ثبتَ ضدَهُ في جانب الموالاة ، فمن والى أولياءَ الله تعالى أكرمهُ اللهُ تعالى ونصرهُ ، وقال الطوفي : لما كانَ ولي اللهِ من تولى اللهَ بالطّاعةِ والتقوى ، تولاهُ اللهُ بالحفظِ والنصح ، وقد جرتِ العَادة بأنَّ عدوَّ العدوِّ صديقٌ ، وصديقُ العدوِّ

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي ، مؤرخ من اهل مكة ، كان معاصراً للازرقي ، له تاريخ مكة ، توفي سنة (٢٧٢هـ) . كشف الظنون ٣٠٦ ، الاعلام ٢٥٢/٦ .

عدوٌّ ، فعدوُّ وليِّ اللهِ عدوُّ الله ، فمَنْ عاداهُ كانَ كمن حاربه ، ومن حاربه فكأنّما حاربَ اللهَ عزَّ وجلَّ ٠

قلتُ : وسيأتي قولُ السيدِ الجَّليلِ عبدالله[1] بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضوان اللهِ عنهم [٢٢و] كفى بالمبغضِ لنا بغضاً أنْ نسبه الى من يبغضنا ، فايّاكَ وموالاةَ مَنْ تَجَرَّأَ على الاقدامِ على ما يُوجبُ عداوة الخالقِ وحربه ، وهو الغالبُ الذي لا يُغالَبُ ، والقهّارُ الذي لا قبلَ لأهلِ السّماواتِ والأرضِ بذَرّةٍ من بلائه ، ولو وُضِعَ ذرّةٌ من ذرّاتِ قهرهِ علَى الجبالِ لاذابَتها ، فمن والى من تجرّأَ علَى ذلكَ كانَ من حزبِ محاربي المولى عزَّ وجلَّ وأعدائهِ ، فخفْ مقتَهُ وسوءَ عقابهِ ، فانّهُ تعالى أغيرُ من خلقهِ ، وقد قالَ بعضهم[2] :

تَودُّ عدوِّي ثُمَّ تزعمُ أنَّني
صديقُكَ إنَّ الرأي[3] عنكَ لعازبُ

---

(١) هو عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، كان له منزلة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، ولما جاء العباسيون أكرموه في أول الأمر ، وفي عهد المنصور حُبس ومات في الحبس سنة (١٤٥هـ) ٠ ترجمته في تاريخ بغداد ٩/٤٣١ ، تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة ص١٢٤ ـ ١٢٦ ، الاعلام ٤/٢٠٧ ٠

(٢) البيت ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار ونسبه للعتابي ٣/٦ ٠

(٣) في (ب) : (الود) ٠

وسيأتي لهذا مزيدُ تحقيق في البَّابِ الثّانِي ، فإنْ قيلَ قد يوجد من آذى بعضِ الأولياء من العلماءِ ، ولم يظهر آثار النصرةِ والانتقامِ منهُ ، قلنا : قد يُصَابُ بأعظمِ مما يطّلعُ العبادُ عليه ، وقد قالَ الشيخُ أبو الفضلِ بن عطا : إنَّهُ يوجدُ من هذا الحديثِ إنَّ من آذى ولياً من أولياءِ اللهِ ، ولم يُعَاجَلْ بمصيبةٍ ، فلا يحكم له بالسَّلامة من انتقامِ اللهِ تعالى ، فقد تكونُ مصيبتهُ أعظمُ بأنْ يُصَابُ في دِينه ، وقالَ التَّاجُ بن عطاالله : قد تكونُ عقوبتهُ قساوةً في القلبِ ، أو جموداً في العينِ ، أو تعويقاً عن طاعةٍ ، أوْ وقوعاً في مصيبةٍ ، أو سلبَ لذاذة خدمةٍ ، وأيضاً فلا يلزمُ تعجيلُ عقوبتهِ ، لقصرِ مدَّة الدُّنْيَا عندَ اللهِ ، ولأنَّ اللهَ تعالى لم يرضَ الدُّنَيا أهلاً لعقوبةِ أعدائه ، كما لم يرضَها أهلاً لاثابةِ أحبَّائهِ ، وإنْ كانت معجَّلةً ، فلا يُحكَمُ لانْسانٍ آذى ولياً من أولياءِ اللهِ [٢٢ظ] تعالى بالسَّلامةِ إذا لم تشاهدْ حلولَ المحنِ به ، ومعلومٌ أنَّ من سقط من عينِ البَاري عزَّ وجلَّ وهانَ عليه ، فانَّهُ يُخلّي بينهُ وبينَ معاصيه ، وكلَّما أحدثَ ذنباً أحدَثَ لهُ نعمةً ، فيظنُّ أنَّ ذلكَ شكراً منهُ عليهِ ، ولا يعلمُ أنَّهُ عينُ الاهانةِ .

وفي الحديث المشهور : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً عجَّلَ لَهُ عقوبتَهُ في الدُّنيا ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرّاً أمْسَكَ عنهُ عقوبتَهُ في الدُّنيا ، فيرد القيامةَ بذنوبهِ)(١) . وقد روى أبو عمرو الصَّدفي في جزوهِ

(١) ينظر جامع السعدات ٣/٢٧٣ ، ٢٨٩ .

عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ مرفوعاً : إذا أعرضَ اللهُ عن العبدِ ورثَهُ الإنكارَ على أهلِ الدِّيانات . وقالَ الإمام النَّووي في كتابهِ التبيان وشرح المهذَّب : قالَ الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر[1] رحمهُ اللهُ : (إعلَم يا أخي وفَّقنا اللهُ وإيَّاكَ لمرضاتهِ ، وجعلنا ممن يخشاهُ ويتقيه حقَّ تقاتهِ : إنَّ لحومَ العلماءِ مسمومةٌ ، وعادةَ الله في هتكِ أستارِ منتقصيهم معلومةٌ ، وإنَّ من أطلقَ لسانَهُ في العلماءِ بالثَّلبِ بلاهُ اللهُ تعالى قبلَ موتهِ بموتِ القلبِ ، فليحذر الَّذين يخالفُونَ عن أمرهِ أنْ تُصيبَهم فتنةٌ أو يُصيبَهم عذابٌ أليم)[2] انتهى .

قلتُ : ولا عقوبةَ أعظمُ من موتِ القلبِ الذي هو مدرجةُ سلبِ الإيمان المفضي للعذابِ السَّرمدي والعياذَ باللهِ عزَّ وجلَّ .

قلتُ : والحكمةُ في إبتلائه بذلكَ أنَّ العلمَ حياةُ القلوب وغذاؤها ، ومصباحُ البصائرِ وضياؤها ، والجَّاني [٢٣و] على أهله قد كفرَ نعمتَهُ الَّتي تشتغلُ الحيواناتُ العجماواتُ بشكرِها ، لاشتغالهم بالاستغفارِ لأهلهِ ، على ما سبقَ في أوائلِ البابِ ،

---

(١) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي الحافظ الرحالة المؤرخ ، ولد في دمشق سنة (٤٩٩هـ) له تاريخ دمشق الكبير المعروف بتاريخ ابن عساكر ، توفي سنة (٥٧١هـ) ترجمته في وفيات الاعيان ١/٣٣٥ ، مفتاح السعادة ١/٢١٦ ، البداية والنهاية ١٢/٢٩٤ .

(٢) شرح المهذب ١/٤١ .

فما ذاك ببني آدم الذي هو حياة" لقلوبهم فكانت عقوبةُ الكافرِ لنعمة العلمِ بالجناية على أهله ، منعهُ من أنْ يلجَ قلبَهُ وذاكَ موته ، كما أشارَ إليه فتحُ[1] الموصلي أحد أئمة الصوفيةِ حيثُ قالَ كما في الأحياءِ[2] : أليس المريضُ إذا مُنِعَ الطّعامَ والشّرابَ والدواء يموتُ ؟ قالوا : نعم . قالَ : كذلكَ القلبُ إذا مُنِعَ الحكمةَ والعلمَ ، وبهِ حياتهُ ، كما أنّ غذاءَ الجّسدِ الطّعامُ ، فمن فقدَ العلمَ فقلبهُ مريضٌ ، وموتهُ لازمٌ ، لكنّهُ لا يشعرُ بذلكَ ، لأنّ سكرَهُ بدنياهُ ، وشغلَهُ بها أبطلَ إحساسَهُ ، فاذا حطّ الموتُ عنهُ أعباءَ الدُّنيا أحسّ الهلاكَ كاحساسِ المفيق عن سكرهِ بما أصابهُ من الحراجات في حالةِ السُّكرِ[3] ، فنعوذُ باللهِ من يومٍ يكشفُ الغطاءَ ، فانّ النّاسَ نيامٌ ، فاذا ماتوا انتبهُوا .

قلتُ : فانّما يحسُّ بما يصيبُ[4] القلبَ من ذلك مَنْ كانَ قلبُهُ حيّاً ، وإلاّ فهو كما قيلَ[5] :

---

(١) هو ابو بكر فتح بن سعيد الموصلي من كبار الزهاد والعباد ، كان اماماً مشهوراً ترجمته في حلية الاولياء ٨/٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢/٣٨١ .

(٢) الاحيـاء للامام الغزالي ١/١٧ .

(٣) في (ب) : (الشكر) وهو تصحيف .

(٤) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : (يصلب) وليس لها معنىً .

(٥) هذا عجز بيت وصدره (مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيْهِ) من قصيدة للمتنبي يمدحُ بها أبا الحسين علي بن أحمد المريّ الخراساني ، وكان بينهما مودة ، شرح ديوان المتنبي لعبدالرحمن البرقوقي ٤/٢٧٧ .

مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

ونظائر هذه المناسبة الَّتي ذكرناها كثيرةٌ ، فقد روى إمامنا الشَّافعي رحمهُ اللهُ أنَّ رَجُلاً شكى للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم الفقرَ ، فقالَ لهُ : لعلَّكَ تسبُ الرِّيحَ ، والسبب فيهِ أنَّ الرِّيحَ سببُ المطرِ ، والمطرَ سببُ الرِّزقِ ، فمن سبَّها إستحقَّ منْعَ الرِّزقِ ، ومن الحكم(1) في إبتلاءِ المولى عزَّ وجلَّ لعبادِهِ العلماءَ بتسليطِ الجُهالِ عليهم أنْ يَصبروا فيحصل لهم [٢٣ظ] التَّرقي الى مقامِ الصَّابرين ، ثُمَّ ينتصرُ لهم مولاهم عزَّ وجلَّ فيشكرونهُ على ذلكَ فينيلهم مقامَ الصَّابرينَ ثُمَّ يرتقونَ الى مقامِ التَّمكين الموروثِ لهم عن الأنبياء ، وقد سُئِلَ إمامُنا الشافعي رحمهُ اللهُ أيَّما أفضلُ للرَّجُلِ أنْ يُمكَّنَ أو يُبتلَى ؟ فقالَ : لا يُمكَّن حتَّى يُبتَلى ، وقد إبتَلى الله عزَّ وجلَّ أُولي العزمِ من رُسلهِ ، فلمَّا صبرُوا مكَّنهم ، انتهى .

ولمَّا جرت عادتهم بعدم الانتصار لأنفسهم ، كانَ المولى عزَّ وجلَّ هو النَّاصرُ لهم والمحاربُ عنهم ، والغالبُ لمن غالبهم ، ومن إنتصرَ منهم لاقتضاءِ المقام ، لذلكَ فانَّما ينتصرُ لمولاهُ عزَّ وجلَّ ، فيتذلَّلُ لهُ بالدعاءِ . وقد روى التَّرمذي حديثَ(2) : (من دعا على ظالمهِ فقد انتصر)(3) ، ولأحمد وأبي داود عن عائشة

(1) في (ب) : (الحكمة لله في ابتلاء) ، ولا يستقيم معه الكلام .
(2) (حديث) : ساقط من (ب) .
(3) صحيح الترمذي ٣/٦٦ .

رضيَ اللهُ عنها انَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قالَ لها وقد دعت علَى سارقٍ سرقَ لها مَلحفةً : (لا تُسبِّخي عنه بدُعائك عليه)[1] ، أي لا تخفّفي عنهُ إثم سرقتهِ . وأهلُ التَّحقيق يجتنبونَ في الغالبِ الدُّعاء على من ظلمهم تركاً للانتصارِ لأنفسهم ، مع أنَّ بعضَ العلماءِ قدْ قالَ : إنَّ اللهَ تعالى قدْ مدحَ المنتصرينَ من البغي ، كما مدحَ العافينَ عن النَّاس ، فالثَّاني[2] محمولٌ على من ندرَ منهُ البغي ، فيُقالُ عيَّرته بالعفوِ عنه ، والأولُ محمولٌ على ما إذا كانَ الباغي وقحاً ذا جرأةٍ وفجورٍ . وقالَ الواحدي : إنَّ الانتصارُ لأجلِ الدِّين فهو المحمودُ ، إنْ كانَ لأجلِ النَّفسِ فهو مباحٌ لا يُحمَدُ عليهِ ، انتهى .

ولهذا قالَ بعضهم : إنَّ إنتصار [٢٤و] سعد بن أبي وقَّاص حيثُ دعا على أبي سعدة[3] ، لما قالَ فيهِ ما سيأتي ، إنَّما كانَ للدِّين ، لكونه إنتهكَ بمقالتهِ تلكَ من صحبَ صاحبِ الشَّريعةِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، فانتصرَ سعدٌ لمنصبِ الصُّحبة المقتضي للطَّهارةِ عمَّا نسبهُ اليهِ .

وقصَّتهُ في ذلكَ رواها البخاري في صحيحه عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قالَ : (شكا أهلُ

(١) سنن أبي داود ٢/٥٧٦ .
(٢) في (ب) : (فالأول محمول على ما ندر ... الخ) ، وهو خطأ .
(٣) في (ب) : (ابو مسعدة) ، وهو خطأ .

الكوفة سعداً الى عمر رضيَ اللهُ عنهُ ، فعزلهُ - أي عن الكوفة - وذكرَ الحديث الى أنْ قالَ : فأرسلَ - يعني عمر - معهُ رجلاً ، أو رجالاً الى الكوفةِ ، فسألَ عنهُ أهلَ الكوفةِ ، ولم يَدعْ مسجداً إلاّ سألَ عنهُ ويثنونَ معروفاً حتّى دخلَ مسجداً لبني عَبْسٍ ، فقامَ رَجُلٌ منهم يُقالُ لهُ أُسامة بن قتادة يكنّى أبا سعدة قالَ : أمّا إذا نشدتَّنا فإنَّ سعداً كانَ لا يسيرُ بالسريّةِ ، ولا يقسمُ بالسويّة ، ولا يعدلُ في القضية ، قالَ سعدٌ : أمَا واللهِ لأدعونَّ بثلاثٍ : اللهمَّ إنْ كانَ عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رياءً وسمعةً فأطل عمرَهُ وأطل فقرَهُ وعرّضهُ للفتن . وكانَ بعدُ إذا سُئِلَ يقولُ : شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ ، أصابتني دعوة سعدٍ)(1) . قالَ عبدُالملك : (فأنا رأيتهُ بعدُ قد سقطَ حاجباهُ على عينيهِ من الكبرِ وأنّهُ يتعرّضُ للجواري في الطّريقِ يغمزهُنَّ)(2) انتهى ما رواهُ البخاري .

ولابن سعد من طريق مليح بن عوف السّلمي ، قالَ : بعثَ عمر رضيَ اللهُ عنهُ محمد بن مسلمة - أي معَ سعد - وأمرني بالمسيرِ معهُ ، وكنتُ [٢٤ظ] دليلاً بالبلادِ فذكر القصة وفيها : فأقامَ سعداً في مساجدِ الكوفةَ ليسألهم عنهُ ، وفي روايةِ ابن عيينة فكلهم يثني عليهِ خيراً ، والحكمةُ في قولِ سعدٍ : لأَدْعوَنَّ

(1) هذا الكلام لم أجدهُ في صحيح البخاري بل وجدتهُ في المعجم الكبير للطبراني ١/١٠٢ ، وانظر مسند ابن حنبل ١/١٧٦ .

(2) كتاب مجابي للدعوة ص٢٢ .

بثلاث : إقامة العدل والانصاف في دعائه عليه ، لأنّه نفى عنه بما قال الفضائل الثلاث ، فنفى عنه الشجاعة حيث قال : لا يسير بالسّرية ، أي من الجيش ، وفي رواية ولا ينفر في السرية ، وذلك يقتضي أنّه آثر نفسه بالحياة الدّنيا وحبّ البقاء والتّعمير فلم يقم بحقّ إعلاء كلمة الله بالجهاد ، لما فيه من تعريض النّفس لذهاب حياتها فدعا عليه في مقابلة (١) ذلك بطول العمر بحيث يُرَدُّ الى أرذل العمر وتكون حياته نقمةً لا نعمةً ، لمقارنتها لما سيأتي . ونفى عنه العفّة حيث قال : ولا يقسم بالسّويّة فاقتضى ذلك حبه للمال ، فلا يعدل فيه إتباعاً ، لشهوته في المال ، فدعا عليه في مقابلة ذلك بالفقر ، فلا يقدر على المال الذي اختلق عليه تعديه فيه لحبّه إيّاه ، وإيثاره لشهوته فيه ونفى عنه الحكمة ، حيث قال : ولا يعدل في القضية ، أي الحكومة ، فاقتضى نسبته لترك ما يقتضيه العلم من أحكام الشريعة وجوره فيها ، لعدم ديانته ، وهذه أعظم الثلاثة لنفيه عنه الدّين مطلقاً ، فدعا عليه في مقابلة ذلك بالوقوع في الفتن فيُصاب في دينه . وقال بعضهم : الثلاثة الّتي نفاها عن سعد متعلّقة بالنّفس والمال والدّين فقابلها بمثلها ، فبطول العمر تتعلّق بالنّفس ، وطول الفقر يتعلّق بالمال ، والوقوع [٢٥و] في الفتن يتعلّق بالدّين ، فاقتضى عدل سعد رضي الله عنه ، وعدم إعتدائه في الدّعاء عدم الزّيادة على

---

(١) (في مقابلة ذلك) : ساقطة من (ب) .

الأمورَ الثلاثةَ المتعلِّقة بالنَّفسِ والمالِ والدِّين جزاءً وفاقاً، ليظهرَ بسرِّ الاجابةِ في الأمورِ الثلاثةِ براءةُ سعدٍ منها، والعجبُ أنَّ سعداً مع مواجهةِ هذا الرَّجلِ له بما أغضبه ودعائه عليه في تلك الحال راعى مع هذا العدلَ والانصافَ في الدُّعاء عليه، لتعليقهِ بشرطِ أنْ يكونَ كاذباً، وأنْ يكونَ الحاملُ لهُ على ذلكَ الغرضُ الدُّنيوي، حيثُ قالَ: اللهمَّ إنْ كانَ عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رياءً وسُمعةً، أي ليراهُ النَّاسُ ويسمعوهُ، فيشهروا ذلكَ عنهُ، فيكون لهُ به ذكرٌ.

ولهذا قالَ الزَّين: في الدعواتِ الثلاث مناسبةٌ للحالِ، وأمَّا طولُ عمرهِ فليراهُ من سَمِعَ بأمْرِهِ فيعلم كَرامةَ سعدٍ، أي[1] وذلكَ ضدَّ قصدهِ، وأمَّا طولُ فقرهِ فلنقيضِ مطلوبهِ، لأنَّ حالَهُ يُشعِرُ بأنَّهُ طلبَ أمراً دنيوياً، وأمَّا تعرُّضهُ للفتنِ فلكونه قامَ فيها ورضيَها دونَ أهلِ بلدهِ، وفي روايةٍ للطَّبراني قالَ عبدُالملك: (فأنَا رأيتُهُ يتعرَّضُ للاماءِ في السّككِ، فاذا سألوهُ قالَ: كبيرٌ فقيرٌ مفتونٌ)[2]. وفي روايةٍ لابن عيينة، ولا تكونُ فتنةٌ إلاَّ هو فيها، وروى أنَّهُ أدركَ فتنةَ المختارِ[3] فقُتِلَ

---

(١) (أي وذلك ضد قصده): ساقطة من (ب).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠٢/١.

(٣) هو أبو اسحاق المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي، من الزعماء الطالبين بدم الحسين الذين ثاروا على الامويين، وهو من أهلِ الطائف انتقل مع أبيه الى المدينة، وقتل أبوهُ في واقعة الجسر في العراق وبقي المختار بالمدينة ثم سكن البصرة، وانتقلَ الى الكوفة، وقُتِلَ فيها بعد تلك الحوادث سنة (٦٧هـ)، ترجمته في تاريخ ابن الاثير ٨٢/٤، تاريخ الطبري ١٤٦/٧، الاعلام ٧٠/٨.

فيهـا ، وفتنته حين غلب على الكوفـة سـنة خمس وستين ، الى أن قُتِل سنة سبع وستين ، وفي رواية لسيف أنَّ هـذا الرَّجُل عاش الى فتنـة الجماجم[1] ، وكانت سنة ثلاث وثمانين ، وقد كان سعد [٢٥ظ] رضي الله عنه معروفاً باجابة الدَّعوة ، وسببه مـا رواه التِّرمذي ، وابن ماجة ، والحاكم عن سعد رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (اللهمَّ إستجب لسـعد [إذا دعاك)[2] ، وفي روايـة للحاكم عن سعيد ذكر فيها قصة يوم أُحد الى أن قال : (فجعلت أرمي وأقول : اللهمَّ سهماً أرمي به عدوَّك ، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول : اللهمَّ استجب لسـعد][3] اللهُمَّ سـدد رميتـه ، واستجب دعوته)[4] ، الحديث .

وفي روايـة للطَّبراني بسند حسن عن الشَّعبي قال : (قيـل لسـعد : متى أصبت الدَّعوة ؟ قال : يـوم بدر كنت أرمي بين يدي رسول الله صلَّى الله

---

(١) دير الجماجم : يقع بظاهر الكوفة ، وسمي دير الجماجم بهذا الاسم لانه كان يعمل فيه الاقداح الخشبية ، وهنه تسمى جماجم ، وفي هذا المكان دارت معركة بين أهل الشام بقيادة الحجاج وبين أهل العراق بقيادة عبدالرحمن بن محمد بنالاشعث، والتي هزم فيها ابن الاشعث . ينظر تاريخ الطبري ٣٥٧/٦ ، معجم البلدان ٤٠٣/٢ .

(٢) المستدرك ٤٩٩/٣ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (م) ، (ب) ، وهو ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر .

(٤) المستدرك ٥٠٠/٣ ، دلائل النبوة لابي نعيم ٢٠٦/٢ .

عليهِ وآلـهِ وسلَّم ، فأضعُ السَّهمَ في كبدِ القوسِ ثُـمَّ أقـولُ : اللهمَّ زلزلْ أقدامَهم ، وارعبْ قلوبهم ، وافعل لهم وافعلْ ، فيقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : اللهمَّ استجب لسعدٍ)[1] •

قلتُ : ولا منافاة بينهما إذْ لا مانعُ من دعائهِ لـهُ بذلكَ في اليومينِ ، وقد اشتهرَ لسعدٍ وقائـع ببركةِ تلكَ الدعوةِ منها ما سبقَ ، ومنها ما قالهُ ابن عيينـةَ أحدُ رواة حديثهِ السَّابق في دعائهِ صلَّى اللهُ عليـهِ وآلهِ وسلَّم يومَ أُحد بأثرهِ ، قالَ : فوليَ سعدٌ أمرَ النَّاسِ بالقادسيةِ ، وأصابهُ جراحٌ ، فلم يشهد يوم الفتحِ ، أي فتح القادسية ، فقالَ رجلٌ من بجيلة :

ألَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَـرَ دِينَـهُ
وسَـعْدٌ ببـابِ القادسيَّةِ معصـمُ[2]

[٢٦و] فأُبْنَا وَقَدْ أمَّتْ نساءٌ كثيرةٌ
ونسـوةُ سَـعدٍ ليسَ فيهـنَّ أَيِّـمُ

فقالَ سعدٌ : اللهمَّ أكفنا يدَهُ ولسانَهُ ، فجـاءَ سهمٌ عزب فأصابَهُ فخرسَ ويبست يداهُ جميعاً ، وقد روي الطَّبراني هذهِ القصةَ باسنادينِ ، رجال أحدهما ثقـات •

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١/١٠٥ •

(٢) ذكر أبو نعيم البيتين والدعوة والاستجابة في دلائل النبوة ٢/٢٠٧•

(عن قبيصة بن جابر قالَ : قالَ ابن عمٍّ لنـا يوم القادسية :

أَلَـمْ ترَ أنَّ اللهَ أَنزلَ نصرَهُ

وذكـرَ البيتين المتقدمين ، قالَ : فبلغَ سعداً قولُـهُ ، فقالَ : اللهمَّ أكفني لسانَهُ ويدَهُ ، فجاءتْ نشَّابَةٌ فأصابتْ فاهُ فخرسَ ، ثُمَّ قُطعتْ يدهُ في القتالِ ، فقالَ سعدٌ : احملوني على بابٍ فخرجوا به محمولاً ثم كشفَ عـن ظهـرهِ ، وفيـهِ قروحٌ ، فأخبرَ النَّاس بعذره فعذروهُ ، وقالَ : وكانَ سعدٌ لا يجبنُ)[1] ، وفي روايةٍ[2] :

يقاتلُ حتى ينزلَ اللهُ نصرَهُ

وقالَ : وقُطِعَتْ يدَهُ وقُتِلَ .

ومنها ما قالهُ عامرُ بن سعد قالَ : (بينما سـعدٌ يمشي إذْ مرَّ برجلٍ ، وهو يشتمُ علياًّ وطلحة والزبيرَ فقالَ لهُ سعدٌ : إنَّكَ لتشتم أقواماً قَدْ سبقَ من اللهِ مـا سبقَ ، والله لتكفنَّ عـن شتمهم ، أو لأدعونَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عليـكَ ، قالَ : يخوفني كأنَّهُ نبـيٌّ ، قالَ سعدٌ : اللهمَّ إنْ كانَ هذا يشتمُ أقواماً قد سبقَ لهم منكَ مـا سبقَ فاجعلهُ اليـومَ نكالاً ، فجاءت نجيبةٌ

---

(١) المعجم الكبير ١/١٠٣ .

(٢) المعجم الكبير ١/١٠٣ .

فأفرجَ النَّاسُ لها فتخبَّطتهُ ، فرأيتَ النَّاسَ يتبعونَ سعداً يقولونَ : إستجابَ اللهُ لَكَ يا أبا إسحاق)[1] ، رواهُ الطبراني ورجالهُ رجال الصحيح .

وفي راويةٍ ذكرها الحافظ جمال الدين [٢٦ظ] محمد الزَّرندي[2] عن صُدَيٍّ قالَ : (بينا أنا ألعبُ ، وأنا غلامٌ عندَ الزَّيتِ إذْ أقبلَ رجلٌ على بعيرٍ ، فوقفَ يسبُّ علياً رضيَ اللهُ عنهُ ، فحفَّ بهِ النَّاسُ ينظرونَ اليهِ ، فبينا هم كذلكَ إذْ طلعَ سعدَ ـ يعني ابن أبي وقاص ـ فقالَ : ما هذا ؟ قالوا : يشتمُ علياً ، فقالَ : اللهمَّ إنْ كانَ يشتمُ عبداً صالحاً فأرِ المسلمينَ خزيَهُ ، فما لبثَ أن تعثَّرَ به بعيرُهُ فسقطَ واندقَّتْ عنقهُ ، وخبطهُ بعيرهُ فكسَّرهُ وقتلهُ)[3] .

وذكرَ ابن أبي الدُّنيا[4] في كتابِ مجابي الدعوة أنَّ إمرأةً كانتْ تطلعُ على سعدٍ فنهاها فلم تنتهِ ،

---

(١) المعجم الكبير ١/١٠٢ ، المستدرك للحاكم ٣/٤٩٩ ، دلائل النبوة ٢/٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) هو محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي ، ولد في المدينة المنورة سنة (٦٩٣هـ) ، ودرس على علمائها ، وتولى التدريس فيها بعد أبيه ، ورحل الى شيراز ، وتولى القضاء فيها ، وتوفي فيها سنة (٧٤٧هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٤/٢٩٥ ، الاعلام ٨/٢٦ .

(٣) كتاب مجابي الدعوة ص٢٤ .

(٤) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي مولى بني امية المعروف بابن ابي الدنيا توفي في بغداد سنة (٢٨١هـ) ، ترجمته في مقدمة كتاب مجابي الدعوة ص٦ .

فقالَ : (شاهَ وجهُكِ ، فعادَ وجهُها في قفاهـا)[1] .
وقد إتَّفقَ لسعيدٍ بنِ زيدٍ أحد العشرة في الدُّعاء على من نسبَ اليه ظلماً نحو مـا إتَّفقَ لسعدٍ رضيَ الله عنهما ، ففي أخبارِ العقيقِ للزُّبير[2] بن بكّار عن العلا بن عبدالرحمن عن أبيه أنَّ أروى[3] بنتَ أوس إستعدت مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة علَى سعد بن زيـد فـي أرضـه بالشَّجرة وقالتْ : أخـذَ حقي ، وأدخلَ صفيرتي في أرضه ، فقالَ سعيدُ : كيفَ أظلمها ؟ وقد سَمعتُ رسـولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليـه وآلـه وسلَّم يقولُ : (من اقتطعَ شـبراً مـن أرضٍ طَوَّقه اللهُ مـن سبعِ أرضين يوم القيامة)[4] ، وتركَ لها مـا ادَّعتْ ، وقالَ : اللهمَّ إنْ كانتْ أروى ظلمتني فاعمِ بصرهـا ، واجعل قبرها في بئرهـا ، فعميت أروى ، وجـاءَ سيلٌ فأبدى عن صفيرتها ، وحقَّهـا خارجـاً [٢٧و] عن حقِّ سعيدٍ ، فجاءَ سعيدٌ الى مروان ، فقالَ لـهُ : أقسمتُ عليـكَ لتركبنَّ معي ولتنظرنَّ الى صفيرتهـا ، فركبَ معَهُ بالنَّاسِ حتَّى نظروا اليها ، قالَ : ثُمَّ إنَّ أروى

---

(١) كتاب مجابي الدعوة ص٢٣ .

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي الاسدي المكي ، ولد في المدينة المنورة سنة (١٧٢هـ) ، وهو من احفـاد الزبير بن العوام ، عـالم بالانساب واخبار العرب ، توفي سنة (٢٥٦هـ) في المدينة المنـورة ، ترجمته في تاريخ بغداد ٤٦٧/٨ ، الاعلام ٧٤/٣ .

(٣) المعجم الكبير ١١٢/١ ، وفيه عن هشام بن عروة عن أبيه ، وذكر القصة مع اختلاف في اللفظ ، والحديث فيه : (من سرق شبراً من الارض ... الخ) .

(٤) المعجم الكبير ١١٢/١ .

خرجت بعد ما عميت ، فوقعت في البئر فماتت ، والقصة في صحيح مسلم باختصار ، وفي رواية للزبير أيضاً أنها سألت سعيداً أن يدعو لها ، وقالت : إني ظلمتك ، فقال : لا أرد على الله تعالى شيئاً أعطانيه ، وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض ، فيقول : أعماك الله كما أعمى أروى يريدونها ، ثم صار أهل الجهل يقولون : أعماك الله أعمى الأروى يعنون التي في الجبل يظنونها شديدة العمى انتهى •

وقد أخرج الامام أحمد في المناقب عن علي عن زاذان : (إن علياً رضي الله عنه حدث حديثاً فكذبه رجل ، فقال رضي الله عنه : أدعو عليك إن كنت صادقاً ؟ قال : نعم ، فدعا عليه فلم ينصرف حتى ذهب بصره)(١) ، وهو من قبيل الغيرة لمقام الصحبة أيضاً والحرص على نزاهته ، وكما يغار لمقام الصحبة ، يغار أيضاً لمقام الوراثة ، وهو مقام العلم ، وعليه يحمل ما وقع الكثير من السلف ، فمن ذلك ما رواه مهدي بن ميمون ، قال : حدثنا غيلان بن جرير أن مطرف بن عبدالله بن الشخير : (كان بينه وبين رجل كلام فكذب عليه ، فقال مطرف : اللهم إن كان هذا كاذباً فأمته ، فخر مكانه ميتاً ، فرفع ذلك الى زياد ، فقال : قتلت الرجل ، قال : لا ولكنها دعوة وافقت أجلاً)(٢) •

(١) كتاب مجابي الدعوة ص١٩ •

(٢) كتاب مجابي الدعوة ص٥٣ ، وفيه عن حميد بن هلال ، مع اختلاف في ألفاظ الكلام •

فصـــل

فإنْ قِيلَ قد تشاهدُ ممَّن يُوصَفُ [٢٧ظ] بالفقهِ والعلمِ وارتكابَ المَعصيةَ ، وهذا هو المسقطُ لمقامهم ، والمانع من اعتقادِ الولاية فيهم •

قلنا : (العالمُ من عملَ بعلمه ، ووافقَ علمهُ عملَهُ)[1] كما قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ فيما رواهُ الدَّارمي في مسنده ، وقالَ سفيان : (إنْ أنا عملتُ بما أعلمُ ، فأنا أعلمُ النَّاسِ ، وإنْ لم أعملْ بما أعلمُ فليسَ في الدُّنيا أحدُ[2] أجهلَ منِّي)[3] رواهُ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ ، وقالَ أبو الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يكونُ المرءُ عالماً حتَّى يكونَ بعلمهِ عاملاً)[4] رواهُ ابن حبَّان والبيهقي ، وقالَ الشعبي : العالمُ من يخافَ اللهَ ، وقالَ الحسنُ : (إنَّما الفقيه الزاهدُ في الدُّنيا ، الرّاغبُ في الآخرةِ ، البصيرُ بأمرِ دينه ، المداومُ على عبادةِ ربِّه)[5] • وقالَ مجاهدُ : (إنَّما الفقيهُ من يخاف اللهَ)[6] ، روى ذلكَ عنهم الدَّارمي

---

(١) سنن الدارمي ١/٨٩ وفيه عن علي : (فانما العالم من عمل بما علم ووافقه علمهُ عمله) •

(٢) (احدٌ) : ساقطة من (ب) •

(٣) الجامع ١/٢٦ •

(٤) في سنن الدارمي ١/٧٦ عن أبي الدرداء : (لا يكون المرءُ عالماً حتى يكونَ بعلمه عاملاً) •

(٥) سنن الدارمي ١/٧٦ •

(٦) سنن الدارمي ١/٧٦ •

في مسنده ، فلا علم إلا ما نفع صاحبه أولاً ، وهو المخمد للهوى ، وتكتنفه الخشية والإنابة على ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾[1] . وكذا جاء في رواية عن إمامنا الشافعي رحمه الله كما سبق عن البيهقي : (إنْ لم يكنِ الفقهاءُ العاملونَ أولياءَ فما للهِ وليٌّ)[2] . وأيضاً فالكرامةُ العظمى للولي هي الاستقامةُ ، وهي التي جُعِلَتْ على الولايةِ علامةً ، غير أنَّ وجوبَ العصمةِ إنَّما هو للأنبياءِ فقط ، ولذا قالَ الإمامُ أبو القاسم[3] القشيري في بابِ إثباتِ كراماتِ الأولياءِ من رسالته ما لفظُه : (فإنْ قيلَ فهل يكون الوليُّ معصوماً ؟ قيلَ إمَّا وجوباً كما يُقالُ في الأنبياءِ فلا ، وإمَّا أنْ تكونَ محفوظاً حتَّى لا يصرُّ على الذنوبِ وإنْ حصلت [٢٨و] هفاة ، أو هفوات ، أو زلاّت فلا يمتنعُ ذلكَ في وصفهم ، فقد قيلَ للجُنيد : العارفُ يزني يا أبا القاسم ؟ فأطرقَ مليَّاً ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : وكانَ أمرُ اللهِ قدراً مقدوراً)[4] انتهى .

---

(١) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٥٥ .

(٣) هو أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري الامام العالم المتصوف المشهور ، ولد سنة (٣٧٦هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٥هـ) .

(٤) الرسالة القشيرية في علم التصوف باب كرامات الاوليا ص١٦٠ .

وعن هذا قالَ ابن عبدالسلام(١) في أماليه كما رأيته بها ، ونقله عنه العلامة الكمال الدميري : إنَّ الوليَّ إذا قالَ : أنا اللهُ عُزِّرَ التعزيرَ الشَّرعي ، ولا يُنافي ذلكَ الولاية ، لأنَّهم غيرُ معصومينَ انتهى .

قلتُ : وليسَ منافياً لقولِ القشيري في موضعٍ آخرَ من شرطِ الولي أنْ يكونَ محفوظاً ، كما أنَّ من شرطِ النَّبيِّ أنْ يكونَ معصوماً ، فكلُّ مَن كانَ للشرعِ عليه اعتراضٌ ، فهو مغرورٌ مخادعٌ انتهى . لأنَّ مرادهُ مَن كانَ للشرعِ عليه إعتراضٌ بالاصرارِ علَى الذُّنوبِ ، بدليلِ كلامهِ السَّابقِ ، فالحاصلُ أنَّهم محفوظونَ ، وإنْ حصلتْ منهم هفوةٌ تداركهم مولاهم بالإنابةِ والتوبةِ سريعاً ، فلا يصرونَ علَى الذُّنوبِ ، لأنَّ النُّورَ الرَّبانيَّ المخامرَ لقلوبهم يمنعُهم من ذلكَ ، كما قالَ تعالى : (إنَّ الذينَ اتَّقَوا إذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ منَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإذا هُمْ مُبْصِرُونَ)(٢) أي فيسترجعونَ من الشَّيطانِ ما اختلسهُ ويستردونَ منهُ ما افترسهُ ، لإنبعاثِ جيوشِ الاستغفارِ والذِّلَّةِ الى اللهِ والافتقارِ

---

(١) هو عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الملقب بسلطان العلماء ، ولد بدمشق سنة (٥٧٧هـ) ، ونشأ فيها ودرس على أساتذتها ، زار بغداد وعاد الى دمشق ، وتوجه الى القاهرة ، وتولى القضاء فيها ، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ) ترجمته في فوات الوفيات ١/٢٨٧ ، النجوم الزاهرة ٧/٢٠٨ ، مفتاح السعادة ٢/٢١٢ ، الاعلام ٤/١٤٤ .

(٢) سورة الاعراف الآية : ٢٠١ .

وانقشاعِ سحبِ الغفلةِ ، وإشراق شمسِ البصيرةِ ، فلا يدعهم تقواهم للإصرارِ علَى معصيةِ مولاهم ، بَلْ رُبَّما كانَ حالُهم بعدَ المخالفةِ أتَمَّ من حالِهم قبلَها ، لعظيمِ ما ينشأُ عن ذلكَ مَن الذِّلَّةِ والانكسارِ ، وعظيمِ الخضوعِ والالتجاء للمولى عزَّ وجلَّ ، وذلكَ هو الحكمةُ في جريانِ المخالفةِ [٢٨ظ] عليهم كما أشار إليه بعضُ العارفينَ ، وقَدْ قالَ تعالى : (اللهُ وليُّ الَّذينَ آمنوا يُخرجهم مِنَ الظُّلماتِ الى النُّورِ)[1] ، فأفهمَ أنَّهم قَدْ يدخلونَ في الظُّلماتِ ، ولكنَّ اللهَ لولايته إيَّاهم يتولى إخراجهم كما قالَ في الآيةِ الأُخرى : (وَالَّذينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ الآيةَ)[2] . وهو مسوقٌ مساقَ المدحِ لهم . وعن هذا قالَ بعضُ العارفينَ : من سبقتْ لهُ العنايةُ لم تضرَّهُ الجنايةُ ، وأمَّا مَن يصرُّ علَى الذُّنوبِ الظَّاهرةِ والباطنةِ فلَم يمازجِ العلمُ منهُ الجَنانَ ، وإنْ حصلَ منهُ على لقلقةِ اللِّسانِ ، وهو المضروبُ لهُ المثلُ بقولهِ تعالى : (كمثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)[3] ، وهو المعني بحديثِ أُسامَةَ بن زيدٍ مرفوعاً : (يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابهُ فَيَدورُ بِها كما يدورُ الحمارُ برحاهُ ، فيجتمعُ أهلُ النَّارِ عليهِ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٥ .

(٣) سورة الجمعة الآية : ٥ .

فيقولونَ : يا فلانُ ! ما شأنُكَ ؟ ألستَ كُنتَ تأمرُ بالمعروفِ وتَنهى عن المنكر ؟ فيقولُ : كُنتُ آمركم بالمعروفِ ، ولا آتيهِ ، وأنهاكم عَن الشَّرِّ وآتيهِ)[1] ، الحديث رواهُ البخاري ومسلم ، واللَّفظُ لَهُ ، ومثلُ هذا هو المعنى بحديثِ عمران بن حصين مرفوعاً : (إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم بعدي كُلُّ منافقٍ عليم اللِّسانِ)[2] ، رواهُ الطَّبراني في الكبيرِ والبزَّارُ ، ورواته محتج بهم في الصَّحيحِ ، وفي حديثِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ الطَّبراني في الصَّغيرِ والأوسط نحوه ، وعن جابر رضي اللهُ عنهُ : (العلمُ علمان : علمٌ في القلبِ فذاكَ العلمُ النَّافعُ ، وعلمٌ على اللِّسانِ فذاكَ حجَّةَ اللهِ على ابنِ آدم)[3] ، رواهُ الخطيب البغدادي في تاريخهِ باسنادٍ حسنٍ ، ورواهُ [٢٩و] الدَّارمي عن هشام عن الحسن مرفوعاً ، فالثَّاني لا ينصرفُ اليهِ اسمُ العلماءِ الَّذينَ هم ورثةُ الأنبياءِ ، وهم العلماءُ العاملونَ الأبرارُ المتَّقونَ الَّذينَ آلَ اليهم العِلمُ الموروثُ بالصِّفةِ الَّتي كانَ عليها عند المورث ، لا من علمهُ حجَّةٌ عليهِ ، وقد منعهُ سوءُ ما لديهِ من خبثِ نيَّتهِ ، وسوءِ طويَّتهِ ، واتِّباعِ

---

(١) صحيح البخاري ١٤٧/٤ ، صحيح مسلم ٢٢٤/٨ ، مسند ابن حنبل ٢٠٥/٥ .

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٢٢/١ ، المعجم الصغير للطبراني ٩٣/٢ ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٩٢/٣ ، مع اختلاف بالالفاظ بالمصادر المذكورة .

(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٩٠ ، وفيه عن الحسن .

شهوته من أنْ يلجَ نورُ العلمِ قلبَه ، ويخالطُ لبَّه ، فأورده النَّارَ ، وبئسَ الوِردُ المورودُ .

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه مرفوعاً : (أشدُّ النَّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ عالمٌ لم ينفعْه اللهُ بعلمهِ)[1] ، رواه الطَّبراني في الصغيرِ والبيهقي في الشّعب .

وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما مرفوعاً : (مَنْ تعلَّمَ علماً لغيرِ اللهِ ، أو أرادَ بهِ غيرَ اللهِ فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّارِ)[2] ، رواه التَّرمذي وابن ماجة . وقد جرتْ عادةُ اللهِ عزَّ وجلَّ بتمييز هذا القسمِ من المنتسبينَ للعلمِ عمَّن يقتدي بهِ منهم باظهارِ ما يخفيه من مضمراته ، وكشف ما يستره من عوراتهِ خصوصاً المنهمكُ في الدُّنيا والمستعبدُ لأهلها ، ليميِّزَ اللهُ الخبيثَ من الطَّيبِ ، ومثل هذا يتعيَّنُ مجانبته واتقاه .

فعن بشر[3] رحمه اللهُ : (أوحَى اللهُ تعالى الى داودَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لا تجعل بيني وبينك عالماً

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١/١٨٢ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٤ ، زوائد المعجمين ١/٣٠ .

(٢) صحيح الترمذي ١٠/١٢٣ ، سنن ابن ماجة ١/٩٥ .

(٣) هو ابو نصر بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبدالله الحافي ، اصله من مرو ، توفي سنة (٢٢٧هـ) في بغداد . ترجمته في حلية الأولياء ٨/٣٣٦ ـ ٣٦٠ ، الرسالة القشيرية ص ١١ .

مفتوناً فيصدّك بسكره عن محبّتي ، أولئك قطاع الطّريق على عبادي)[1] .

قلت : والذي يرشدك الى أنّ مثل هذا لم يلج نور العلم قلبه ، إنّ من شهد قلبه أنّ الله هو الفعّال لا غيره ، وأنّه لا نافع ولا ضار إلاّ هو ، وأنّ قلوب جميع العباد بيده ، وأنّه لا يناله من الدّنيا إلاّ ما قسّمه وقدّره له ، كيف يقصد بعلومه [٢٩ظ] النّفيسة غير الله تعالى من إستجلاب الدّنيا الخسيسة ، وقد مازج قلبه[2] العلم ، بأنّه لا يأتيه مع ذلك إلاّ ما قدّر له منها ، وأنّ هذا القصد لا يفيد من الدّنيا شيئاً أصلاً سوى خسران نصيبه من الآخرة الّتي علم نفاستها ، وأنّ الاخلاص في العلم أعظم أسباب الوصول اليها ، فلا يدوم على ذلك القصد السّيء إلاّ من لم يؤمن بهذا العلم ، فهو كافر والعياذ بالله ، أو لم يمازج هذا العلم قلبه ، لسكره بدنياه وهواه ، فمنعه السّكر من الرّجوع لهذا العلم ، فهذا لا عقل له ، فكيف يعدّ في العلماء ، ولهذا قال سفيان بن عيينة ـ فيما رواه الدّارمي ـ : (أجهل النّاس من ترك ما يعلم ، وأعلم النّاس من عمل بما يعلم)[3] . فالعلم يمنع أهله أن[4]

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص١٤ .

(٢) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (مازج العلم قلبه) .

(٣) سنن الدارمي في ١/٨٠ .

(٤) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) (عن أن) ، وما ذكرناه أفضل .

يقصدوا به شيئاً من الأعراض التي لا تفيده ، ولا يصل إليهم منها إلا ما قُدِّرَ لهم ، ولهذا قالَ بعضهم : (طلبنا العلمَ لغيرِ الله ، فأبى أنْ يكونَ إلا لله)[1] ، وهو ما أشارَ إليه الحسنُ بقوله ـ فيما رواه الدارمي ـ : (لقد طلبَ أقوامٌ العلمَ ما أرادوا به اللهَ ، ولا ما عندَه ، فما زالَ بهم العلمُ حتى أرادوا به اللهَ وما عندَه)[2] ، وروى الدارمي أيضاً عن مجاهد قالَ : (طلبنا هذا العلمَ وما لنا فيه كثير نيَّة ، ثُمَّ رزقَ اللهُ بعدُ فيه النيَّة)[3] .

وأمَّا قول إمامنا الشافعي قدَّسَ اللهُ روحَه ـ فيما رواه البيهقي ـ : (من أرادَ الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أرادَ الآخرةَ فعليه بالعلم)[4] ، فلا يتوهمُ منه الرخصةَ في أنْ يُرادَ بالعلمِ تحصيلَ الدنيا ، بل مراده أنَّ العلمَ ثمرٌ لصاحبه ما يقصدُ تحصيلَه من الفوائدِ الدنيويَّة والآخرويَّة إذا طلبَه من وجهه المشروع ، [٣٠و] أمَّا من كانتْ نيَّته في طلبه أرادةَ تحصيل الدنيا ، فإنَّه يُحرَمُ الدنيا والآخرةَ . ففي حديثٍ لزيد بن ثابت رضيَ اللهُ عنه مرفوعاً : (ومن كانت الدنيا نيَّته فرَّقَ اللهُ عليه أمرَه ، وجعلَ فقرَه بينَ عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتِبَ

---

(١) سنن الدارمي ١/٨٥ .
(٢) سنن الدارمي ١/٨٥ .
(٣) سنن الدارمي ١/٨٥ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٠٧ .
(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٩ .

لـه ، ومن كانت الآخرة نيتـه ، جمـع الله أمره ، وجعل غناه فـي قلبه وآتته الدنيا وهي راغمة)[1] ، رواه ابن حبان في صحيحه وغيره ، فقوله : (وأتته الدنيا وهي راغمة) هـو مـا أراده إمامنـا الشافعي رحمه الله ، فـلا تشتبه[2] عليك الأمور ، ولا تترك إعتماد الولاية للعلماء بمـا يقع من المتشبهين بهـم ، فسمت العلماء وهديهم ودلهم لا يخفى ، وقد استدل ابـن عبدالبر ومن وافقه بحديث أبي هريرة مرفوعاً : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحـريف الغـالين ، وتأويـل الجـاهلين ، وانتحـال المبطلين)[3] • أخرجه كما سبق الخطيب فـي الجامع مـع مـا رواه بأثره من قول عيسى بن صبيح : إنه صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علـى مـا ذهبوا اليه من أن كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه يتحـرج ، فهـو عدل فمـا ذاك بمن ظهرت عدالته ، وحسن هديه وذله من غير ثبوت ما يقتضي خـلاف ذلك ، فهذا هو الذي يعتقد ولايته ، وقـد ركبت مرة وسرت مـع شيخي شيخ الاسلام فقيـه العصر شرف

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٢ •

(٢) أي قول الشافعي : (ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم) •

(٣) الجامع ٦٣/١ ، مناقب الشافعي ٧/١ رواه عن ابراهيم العذري عن أبيه ، وفيه تقديم وتأخير في الأخير ، واوله (يرث) •

الدين يحيى المناوي[1] تغمَّدَهُ اللهُ برحمته مِن منزله بالبندقانيين[2] من القاهرةِ المعزية[3] الى الجَزيرةِ[4] الوسطى ، فمررنا بقومٍ جلوسٍ ، فوقع في النَفسِ بعضُ الشَّيء من بعضهم ، فجالَ ذلكَ في نفسي ، فكاشفني به شيخنا المشارُ اليهِ ، وقالَ لي : جميع هؤلاء أعتقدُ [٣٠ظ] ولايتَهم لأنّي ما علمتُ من أحدٍ منهم تقصيراً في شيءٍ من حقوقِ اللهِ ، أو حقوقِ عبادهِ ، قالَ : وقد أخبرني شيخنا الشيخ وليّ الدّين ، يعني شيخ الاسلام أبا زرعة الحافظ زين الدّين العراقي مذاكرةً أنَّهُ ركِبَ معَ شخصٍ من المكاريَّةِ من طائفةِ الرّيافةِ ، قالَ : فقلتُ في نفسي وقد خاضتْ في الأملِ : لو كانَ لي أربعُ زوجاتٍ في أربعِ مساكن ، وفي كُلِّ مسكنٍ من الكتبِ الّتي أحتاجُها نظير ما في بقيَّةِ المساكن ، قالَ : فرفعَ ذلكَ المكاريُّ طرفَهُ إليَّ ، وكانَ يبدّلُ في نطقهِ القافَ كافاً ، فقالَ :

---

(١) هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن احمد ، شرف الدين بن سعد الدين الحداوي المناوي ، ولد سنة (٧٩٨هـ) ، ونشأ في القاهرة ودرس فهها الى ان اصبح من كبار الفقهاء فيها ، ولي قضاء الديار المصرية ، وقد صنف عدة مصنفات ، توفي سنة (٨٧١هـ) ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٢٥٤ ـ ٢٥٧ ، حسن المحاضرة ١/٢٥٣، شذرات الذهب ٧/٣١٢ ، الاعلام ٩/٢١٢ ٠

(٢) حي من احياء القاهرة ٠ انظر القاهرة تاريخها وآثارها ص١٦٥ ٠

(٣) اي التي أمر ببنائها الخليفة الفاطمي المعزلدين الله ٠

(٤) تكونت نتيجة لتفرع نهر النيل في القاهرة ٠ القاهرة تاريخها وآثارها ص١٣٣ ٠

يا فكيه ، ما هذا الأمل ؟ أربعُ زوجاتٍ ، وأربعُ مساكن ، وفي كُلِّ مسكنٍ من الكتبِ نظيرِ ما في الآخرِ ، قالَ : فترجلتُ عن دابتهِ ، وقلتُ لَهُ : أنْتَ أحَقُّ أنْ تركبَ ، وأمشي في خدمتكَ ، فقالَ : لا واللهِ لأنْ لم تركبْ ، ذهبتُ عنكَ بدابتي ، قالَ : فركبتُ معَهُ ، فلمَّا وصلنا الى الرّميلة (١) ، قالَ لي : يا فكيه(٢) ، ركبَ معي مرَّةً شخصٌ من الاتراكِ ، فلمَّا وصلَ الى هذا الموضعِ نزلَ عن الحمارِ ، فقلتُ لهُ : الكرا أعطيتَهُ ، فرفعَ المكرعَةَ وضربني بها ، واللهِ لو قلتُ للأرضِ : إبتلعيه لابتلعته(٣) ، فذهبتُ يا فكيه ، وتركتهُ . ثُمَّ قالَ لي شيخنا : فطائفةُ المكاريةِ فيهم الأولياء ، وكذا غيرهم ، وحسنُ الظَّنِ ربحٌ ، وسوءُ الظَّنِ حرمانٌ ، أو قالَ : خسرانٌ ، فعلمتُ أنَّهُ كاشفني بما وقعَ في نفسي .

فصل

قَدْ رأيْتُ أنْ أستطردَ هُنا مَا وقعَ(٤) لي معَ شيخنا شيخ الاسلام الشَّرفِ المُناوي المشار اليهِ من المكاشفاتِ الدّالةِ علَى ولايتهِ معَ الاشارةِ الى شيءٍ مِمَّا وقعَ لي معَ غيرهِ من المَشايخ العلماءِ ، [٣١و]

---

(١) حارة في القاهرة تقع في طريق القلعة ، القاهرة ص١٣٠ .

(٢) أي (يا فقيه) ، أبدل الكاف من القاف ، وهي اللهجة العامية المصرية.

(٣) في (م) (ابتلعته) وما أثبتناه أصح .

(٤) هذا اعتراف بالفضل من المصنف لاساتذته الذين امدوه بالعلم والمعرفة .

ليزولَ ما يستبعده بعضُ النَّاسِ من إثباتِ الولايةِ للعلماءِ في زماننا .

أمَّا شيخنا شيخ الاسلام المشار اليهِ ، فقد وقعَ لي معَهُ المكاشفةُ الصَّريحةُ مراراً كثيرةً .

منها ما سبقَ آخر الفصل قبله لما وقعَ في نفسي ممَّن مررنا بهِ في المسيرِ معَهُ ما وقعَ ، وبلطفهِ في إزَالتهِ بما سبقَ رحمهُ اللهُ .

ومنها أنِّي كنتُ في مجلسِ درسه بالمدرسة القُطبيَّة تجاه منزلهِ ، وكانَ يحضرُ مجلسَهُ الجمّ الغفيرُ من الطَّلبةِ ، فجَرى ذكر بحثٍ لشيخهِ شيخِ الاسلام الولي أبي زرعة بن الزَّين العراقيِّ ، فاستحسنهُ الجماعةُ ، فأعجبَ ذلكَ شيخنا ، وقالَ : ما رأيتُ مثلَ شيخنا الشَّيخ ولي الدِّين ، ولا رأى الشيخُ ولي الدِّين مثلَ نفسه ، فقلتُ في نفسي — من غير أنْ أنطقَ بحرفٍ — : كيفَ يقولُ هذا ، وقد رأى الشيخ ولي الدِّين شيخَهُ شيخَ الاسلام السَّراجَ البلقيني[1] ، وهو أفقهُ من تلميذه الشيخِ ولي الدِّين ، ولم يخطرْ ببالي حينئذٍ من مشايخ الشيخ ولي الدِّين ، ولم يخطر

(١) هو أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل ثم البلقيني ، ولد في بلقينة بمصر سنة (٧٢٤هـ) ، وتعلم في القاهرة وأصبح عالماً وفقيهاً مشهوراً ، سافر الى الشام وولي القضاء فيها ، ثم رجع الى القاهرة واشتغل بالتدريس ، وتوفي سنة (٨٠٥هـ). ترجمته في الضوء اللامع ٦/٨٥ ، شذرات الذهب ٧/٥١ ، الاعلام ٥/٢٠٥ .

لي الشيخ جمالُ الدِّين الأسنوي[1] ، ولا ابن النَّقيب[2] وغيرهما من مشايخه ، فلم يتمَّ هذا الخاطرُ حتَّى أقبلَ عليَّ شيخنا شيخُ الاسلام من بينَ الجماعةِ كلِّهم ، وقالَ لي : الشيخ سراجُ الدِّين البلقيني كانَ فقيهاً ، ووالد الشيخ وليِّ الدِّين كانَ محدِّثاً ، فأخذَ عن الأوَّلِ الفقهَ ، وأخذَ عن الثاني الحديثَ ، فجمعَ بينهما ، ففي هذا الجَّمعِ لم يرَ مثلَ نفسهِ ، فعلمتُ أنَّهُ كاشفني بما جالَ في نفسي ، لتخصيصه إيَّاي من بينَ الجماعةِ بذلكَ علَى الوجهِ المذكور ، فخجلتُ واستحييتُ منهُ [٣١ظ] لعلمي باطِّلاعهِ على ما خطرَ لي ، فلمَّا انصرفتُ من ذلكَ المجلسِ مشيتُ معَ أحدِ أكابرِ أصحابهِ وتلامذتهِ شيخنا الامام العلاَّمة الشَّمس الجوجري[3] تغمَّدَهُ اللهُ برحمتهِ فذاكرتهُ

---

(١) هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي جمالالدين ، فقيه اصولي من علماء العربية ، ولد باسنا من أعمال مصر سنة (٧٠٤هـ) ، انتهت اليه رئاسة الشافعية ، توفي سنة (٧٧٢) في القاهرة • ترجمته في البدر الطالع ١/٣٥٢ ، الدرر الكامنة ٢/٢٥٤ ، الاعلام ٤/١١٩ •

(٢) ابن النقيب كنية لكثير من الاشخاص لا يمكن الفرقة بين اسمائهم لعدم ورود ما يدل على اسم هذا الشخص • ينظر الاعلام ٩/٢٠-٢١•

(٣) هو محمد بن عبدالمنعم بن محمد بن محمد بن عبدالمنعم بن أبي طاهر اسماعيل الشمس بن نبيه الدين الجوجري ، ولد بجوجر سنة (٨٢١هـ) ، وتحول منها الى القاهرة وتلقى تعليمه على اساتذتها ، وصار فقيها وناب في القضاء ، ثم تعفّفَ عن مناصب الدولة ، وتوفي سنة (٨٨٩هـ) في مصر •
ترجمته في الضوء اللامع ٨/١٢٣ - ١٢٦ ، البدر الطالع ٢/٢٠٠ ، الاعلام ٧/١٣٠ •

بذلكَ ، وذكرتُ لـهُ حكمةَ إقبالهِ عليَّ بذلكَ القولِ مـن بينهم ، فذكـرَ لـي أشياءَ كثيرةً مـن العجائبِ إتّفقتْ لهُ معَهُ أيضاً ، وأنَّهُ كانَ يذكرُ لهُ ما يصدرُ من بعضِ أقارب الشَّمس من الأذى في إبتـداء أمرهِ ، ممَّا لـم يطَّلعْ عليهِ أحدٌ من النَّاسِ ، ويسألَهُ عـن ذلـكَ .

ومنهـا أنَّ الطَّاعونَ كثـرَ وفشـا ، وأنا مقيـمٌ بالقاهرةِ في رحلتي اليها سنة أربـع وستين وثمنمائة ، فترددتُ فـي السَّـفرِ لوالدي وأهلي ، ومنعني مـن الجزمِ بهِ خشيةَ أنْ يكونَ ذلكَ من الفرارِ (١) ، لأنَّهُ لـم يكُـنْ فـي وقتِ سَفَري المعتـاد ، فعزمتُ على استشارةِ شيخنا شيخ الاسلام ، فرأيتُ تلكَ اللَّيلةَ فـي منامي انِّي خلفَ جدارٍ ، وأمامَهُ جماعات يرمون السِّهامِ على النَّاسِ ، والجِّدارُ حائـلٌ بيني وبينهم ، ثُمَّ رأيتُ كتـاباً فتناولتهُ ، فاذا مكتوبٌ عليـهِ بذلُ الماعون في رفعِ الطَّاعون ، ولم تطرقْ هـذه التَّسميةُ سمعِي قبـلَ ذلكَ ، فلمَّـا أصبحتُ أتيتُ الى مجلسِ الدَّرس ، فلمَّا هممتُ أنْ أبـدأ شيخنا المشارَ اليـهِ بالكلامِ في ذلكَ ، بدأني هو وقالَ لي : لِـمَ لا تُسافرَ لوالدِك ؟ سافر اليـهِ فانَّهُ فـي أمرٍ عظيمٍ عليكَ .

---

(١) يقصد بذلـك حـديث الرسـول صلى الله عليه وسـلم الذي رواه عبدالرحمن بن عوف : (اذا وقع الطاعون بارضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فـراراً منه ، واذا وقع بارض ولستم بهـا فـلا تدخلوا عليـه) . المعجم الكبير ١/٩٠ .

فقلتُ لهُ : ما جلستُ هذا المجلسَ إلاّ للاستشارةِ في ذلكَ ، فما حالُ هذا السَّفرِ بالنسبةِ الى الفرارِ المنهي عنهُ ؟ فقالَ لي : أنتَ لا تقصدُ الفرارَ ، وإنّما تقصدُ تطمينَ خاطرِ والدكِ والأهل ، ثم قالَ : [٣٢و] وأيضاً فقد بلغني أنَّ الطَّاعونَ إنتشرَ في تلكَ الجهاتِ ، والفرارُ إنّما يتحققُ في الخروجِ من موضعٍ هو فيه الى موضعٍ ليسَ هو فيه • فانشرحَ الخاطرُ للسَّفرِ ، ثم قصصتُ عليهِ الرؤيا السَّابقة ، فبشَّرني بالسَّلامةِ من الطَّاعون ، ثُمَّ سألني عن الكتابِ المذكورِ : هلَ تعرفهُ ؟ فقلتُ : لا ولم تطرقْ سمعي هذهِ التَّسميةُ قط • فقالَ : هو كتابٌ ألَّفهُ الحافظُ بن حجر[1] ، وأنا قد إختصرتُهُ • وذكرَ لي بعضَ ما اشتملَ عليهِ ممّا يتحصَّنُ بهِ من الطَّاعونِ ، ثُمَّ ودَّعتهُ وسافرتُ في مركبِ البلادِ ، فطُعِنَ جَميعُ من في المركبِ ، ومات غالبهم ، ولم يسلم منهم من الطَّعن غيري ، فلمَّا وصلتُ للوالدِ عانقني وبكى ، ولم يكن ذلكَ من عادته معي ، ووجدتهُ ــ كما أخبرَ شيخنا ــ في أمرٍ عظيمٍ ، لغيبتي عنهُ في مثلِ ذلكَ الوقتِ ، وحماني اللهُ من الطَّاعونِ الى وقتي هذا ، ثُمَّ أسكنني طيبةَ المحفوظةَ منهُ ، فللهُ الحمدُ والمنَّةُ •

---

(١) هو أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ولد فيها سنة (٧٧٣هـ) ، ولع بالادب ثم أقبل على الحديث ، وأصبح حافظ الاسلام في عصره ، ولي القضاء في مصر ، وتوفي سنة (٨٥٢هـ) في القاهرة • ترجمته في الضوء اللامع ٣٦/٢ ، البدر الطالع ٨٧/١ ، الاعلام ١٧٣/١ •

ومنها انّي كنتُ أيّام اشتغالي بالعلمِ بالمدرسةِ[1] المؤيدية[2] داخلاً باب زويلة[3]، فصلّيتُ العشاءَ خلفَ إمامها قربَ خلوتي بمؤخرها، فاعتقدتُ عندَ التكبير لقيام الرّابعةِ أنّهُ فرغَ منها، وأنّهُ جلس للتشهد الأخير، فجلستُ أتشهد، فلم أتذكرْ إلاّ عند تكبيرهِ للركوع، فترددتُ في أنْ أقومَ فأركع مع الامام وتسقطُ عنّي القراءةُ كالسّاهي عن القُدوة[4] إذا رفعَ رأسَهُ من السجود، فتذكر القُدوة عندَ ركوعِ الامامِ، أو أقرأَ الفاتحةَ، وأسعَى خلفَ الامامِ، كمن سَهى عن قراءةِ الفاتحة، حتّى ركعَ الامامُ، [٣٢ظ] فلمّا لم يترجّحْ عندي في ذلكَ شيءٌ، نويتُ المفارقةَ وأتممتُ الصّلاةَ مُنفرداً، فلمّا حضرَ درسُ شيخنا المشارَ اليهِ من الغد، أردتُ أنْ أسألَهُ عن ذلكَ فبادرني وقالَ: وقعتْ مسألةٌ سُئلنا عنها بالأمسِ، ثم ذكرَ صورةَ واقعتي بعينها، ثم ذكرَ ما أجابَ بهِ، وأنَّ بعضَ أهلِ العصرِ خالفهُ، وذكرَ جوابَهُ، فوجدتُ كلاً منهما قد تمسّكَ بأحدِ الاحتمالين المتقدمين، فقلتُ لهُ: يا سيدي، هذهِ واقعتي الليلة،

(١) مدرسة بناها السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة (٨١٩هـ) تقع قرب جامع المؤيد، أو فيه. ينظر القاهرة تاريخها وآثارها ص٥٧، ١٦٨.

(٢) في (م): (المؤيدة)، وهو تحريف.

(٣) أحد أبواب سور القاهرة، القاهرة تاريخها وآثارها ص١٣، ١٧٧.

(٤) القِدْوة أو القُدْوة: لما يُقتدى بهِ، او لما تسننتَ به. لسان العرب مادة (قدا).

وقد ترددتُ فيها ، فنويتُ المفارقةَ ، وأتممت صلاتي ، فأعجبهُ ذلكَ ، وهذهِ المسألةُ بخصوصها ليست منقولةً في كلامِ الأصحابِ ، وقد أوضحتُ الراجحَ فيها في كتابي إكمال المواهب[1] الذي ذيّلتُ بهِ على رسالتي في مسألةِ المسبوق المسماة بمواهب الكريم الفتّاح في المسبوقِ المشتغل بالاستفتاحِ[2] ، فراجعهُ .

ومنها انّهُ وقعَ لي قربَ سفري الى الحجاز الشريف ما يقتضي الامتناع عن النّاسِ ، فقالَ لي يوماً : يا فلانُ ، الشّخصُ إذا أقبلَ على اللهِ عزّ وجلّ يقبلُ النّاسُ عليهِ أولاً ثم ينحرفونَ عنهُ ويؤذونهُ ، لأنّ سُنّةَ اللهِ تعالى في عبادهِ قد جرت بابتلائهم واختبارهم تطهيراً لهم من السّكونِ الى الخلقِ ، وتخليصاً لهم من الالتجاء لغيرِ الحقِّ ، قالَ تعالى : (آلم أحسبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ)[3] . ثم حكى أنّ شيخَهُ السّيد الشريف الطباطبي كانَ بخلوتهِ الّتي بجامعِ عمرو بن العاص بمصر العتيقة ، فتسلّطَ عليهِ شخصٌ من أُمراءِ الأتراكِ يُقالُ [٣٣و] لهُ قرقماش[4]

(١) كتاب للمصنف ذُكِرَ في هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٢) كتاب للمصنف ذُكِرَ في هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآيتان : ١ ، ٢ .

(٤) هو قرقماش الشعباني برقوق ثم الناصري ، ويعرف بـ (قرقماش اهرام ضاغ) يعني : جبل الاهرام لكبره ، اصله من كتابية الظاهر ، ثم ملكه ابنه فاعتقه ، وعمله خاصكيّاً ، وتدرج في المناصب ، وخلع

الشَّعباني ، وأخرجه منها ، قالَ : فأصبحَ السَّيدُ يوماً فجاءَهُ شخصٌ ، وقالَ لهُ : رأيتكَ الليلةَ في المنامِ جالساً بينَ يدَيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، وهو ينشدُكَ هذينِ البيتينِ :

يَا بَنِي الزَّهراءِ والنُّورِ الَّذي
ظَنَّ مُوسى أنَّها نارُ قبس

لا أُوالي الدَّهرَ من عاداكُم
أَنَّهُ آخرُ سَطرٍ مِنْ عَبس

وذلكَ قولهُ تعالى : (أُولئكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الفَجَرَةُ)[1] ، قالَ : ثُمَّ أخذَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم عذبةَ سوطٍ في يده فعقدها ثلاث عقدات ، قالَ شيخنا شيخ الاسلام الشَّرفَ المناوي : فكانَ منْ تقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ ضربت رأس قرقماش فلم يُضرَبْ إلاَّ بثلاثِ ضرباتٍ ، فكانَ ذلكَ السَّوطُ من قبيلِ (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)[2] ، ثم قالَ لي شيخنا شيخ الاسلام : يا فلان ، إذا أَقامَ الفقيرُ بخلوةٍ فأُخرِجَ منها فجلسَ في موضعٍ ، قيَّض اللهُ لهُ عمارتهُ ، ولو كانَ مزبلة ، فعلمتُ أنَّهُ يعنيني

عليه بالمحمودية الكبرى فباشرها بحزم زائد وبطش بالناس • بحيث هابه كل واحد ، وقد حوكم وضربت عنقه في أيام جقمق • ترجمته في الضوء اللامع ٦/٢١٩ •

(١) سورة عبس الآية : ٤٢ •

(٢) سورة الفجر الآية : ١٣ •

بجملة كلامه الأوَّل ، ولم أعلمْ أنَّهُ يعنيني بالجملة الأخيرة ، ولا [عرفتُ][1] حكمةَ عطفها على ما قبلها إلاَّ بعدَ مُضي نحو سبع عشرة سنة ، فاني فارقتُهُ عقبَ ذكر سنة سبعين وثماني مائة ، وجئتُ الى الحجاز الشريف ، وأقمتُ به ، فلمَّا سكنتُ بالمدينة النبويَّة أقمتُ فيها بخلوةٍ في مؤخرة المسجد النَّبوي بجانب المنارة الغربية الشمالية ، فرأيتُ ما وصفَ شيخنا من إقبال النَّاس ، ثُمَّ رأيتُ ما أشارَ اليه من الانحراف ، وأعظمُ الأسباب في ذلكَ إجابة المستفتين عن المسائل العلمية ، فسعى بعضهم [٣٣ظ] في إخراجي من تلكَ الخلوة عندَ شخص وليَ مشيخةَ الحرم بمصر ، وكانَ لا يعرفني فاستكتبهُ كتاباً يتضمن الأمرُ باخلائها وأنْ يُوضَعَ زيتُ المسجد بها ، فرأيتُ ليلةَ ورود هذا الكتاب والدي السَّيدَ العلامةَ جمال الدين عبدالله جالساً بالمصلَّى النَّبوي من الرَّوضة الشَّريفة ، وأنا خلفهُ بها ، وهو في غاية الحزن والكآبة ، فقلتُ له : يا سيدي ، ما سببُ هذا الحُزن ؟ فقالَ : البِسَسْ[2] في مؤخرة المسجد خربشوني . فقلتُ : يا سيدي خربشة البِسَسْ من الأمور السَّهلة ، فزالَ عنهُ ما كان يجدهُ من الحزن ، وأشرقَ وجههُ ، ومن العجب انّي كنتُ خلفَ المصلَّى النَّبوي بالمحل الذي رأيتُ أنِّي مع والدي يومَ ورود الكتاب المذكور ، فجاءني شخصٌ وأخبرني بورود ذَلكَ الكتاب ، وما تضمَّنهُ في أمر

---

(١) (عرفتُ) : زيادة من (ب) ، وبها يكمل المعنى .

(٢) (البِسَس) : يبدو انّها كلمة عامية مصرية ، تعني (القطط) .

الخلوةِ ، فشقَّ عليَّ ذلكَ ، ثُمَّ تذكَّرتُ الرؤيا ، فقلتُ : هذا ما أخبرَ بهِ الوالدُ من خربشةِ البسْسْ ، وقد إستسهلتُها فسرى عنِّي ، ثم أردتُ موضعاً يكونُ بجانبِ المسجدِ النَّبوي أُقيمُ بهِ ليحصلَ بالاقامةِ فيهِ المعنى الذي يُرادُ من تلكَ الخلوةِ من القربِ ، فلم أجدْ غيرَ دارٍ ببابِ الرحمةِ ، أحد أبواب المسجد النَّبوي مشهورة بدارِ تميم[1] الدَّاري رضيَ اللهُ عنهُ كما رأيتهُ في وثائقها ، فاكتريتُها ونقلتُ كُتُبي اليها ، وكانتْ متشعثةً خراباً ، فأقمتُ بها مدةً ، ولم يخطُرْ ببالي قَطُّ أنْ أملكَها ، ولا أنْ أعمُرَ داراً ، ولا أضعَ لبنةً على لبنةٍ ، بل لم يخطرْ ببالي ملك دارٍ بالمدينةِ أبداً ، ثم لمَّا قَدِمَ شيخ الحرم الى المدينةِ الشَّريفةِ ، وبلغهُ تلكَ المقاصد الفاسدة في أمرِ الخلوةِ ، أمرَ بردِّ مفتاحِها إليَّ ، وقد كانتْ قصَّتُها سبباً [٣٤و] في إنشادي للقصيدةِ التي إمتدحتُ بها سيدَنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله[2] وصحبه وسلَّم، واستدفعتُ من كرمهِ ضيمَ الأعداء واستنصرتُ بهِ عليهم إذْ لَمْ يرعوا في حرمتهِ معَ ما بَدا من بعضِهم منَ الوقاحةِ والقباحةِ ، وأوَّلها[3] :

يُضَامُ بِحبكم يا عربُ رامَه
نزيلٌ أَنتمُ صرتم مُرامَه

---

(١) ينظر ذلك كتاب المصنف وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ١/٥٢٤ .
(٢) (وعلى آله وصحبه) : ساقطة من (ب) .
(٣) ذكر المصنف اثنين وعشرين بيتاً وذكر القصة في كتابه وفاء الوفا ٢/٤٣٠ .

ويعـدو مـــن أَعاديـه عليـــه
غداةَ صَـــارَ قصدهمُ اهتِضامه

وأنتـم عرْبُـهُ تنمَـــى إليـــكم
ومـن أبوابِـــكم حَـــازَ احترامَـه

ومنهـــا[1] :

ولَـــمْ يرعوْا جوارَكِ يـا مَلاذي
ولا نَسَبِـي إليْـــكَ ولا ذمَامَـه

في أبياتٍ أُخرى تزيدُ على الستين ، وقَـــد رأيتُ عقبَ ذلكَ في منامِي مـا يؤذنُ بالنَّصرِ العظيم ، ثمَّ رأيتُ في اليقظة بحمد الله تعـالى ، وهو أمرٌ مشهورٌ غيرُ خافٍ ، ثم دفَـعَ اللهُ عنِّي جميـعَ كيدِهم ، وتوالى نصرهُ لـيَ حتَّى كانَ من أمرِ حريقِ المسجدِ النَّبوي ما كانَ عقبَ سفري الى مكـةَ فـي شهرِ رمضان سنة ستٍّ وثمانينَ وثماني مائة ، فكانَ من تقديرهِ عزَّ وجلَّ أنْ سافرتُ لزيارةِ والدتي بصعيدِ مصر آخرَ العـامِ المذكورِ ، فأدركتُ من حياتها عشرةَ أيَّامٍ ، ثم توفيت ببلدنا سمهود غروبَ الشَّمسِ اليومَ العاشرَ ، ثُـمَّ رجعتُ الى مصرَ للسفرِ منهـا صحبةَ الحجاجِ ، فألهمَ

---

(١) (ومنها) : ساقطة من نسخة (ب) .

اللهُ تعالى سلطانها الأشرف قايتباي[1] بلّغه اللهُ من خيري الدارين آمالهُ ، وسدّدَ أقوالَهُ وأفعالَهُ ، فدفع إليَّ عندَ سفري مبلغاً ، فعدتُ به الى المدينة النّبويةَ آخرَ سنة سبعٍ ، فوجدتُ الدارَ التي كنتُ أقمتُ بِهاَ [٣٤ظ] عندَ الخروج من تلكَ الخلوةِ قد عرضها أصحابُها للبيع ، وهي متشعثة خراب ، وكانَ المبلغُ نحو ثمنها فشريتُها بهِ ، ثم مَنَّ اللهُ بأسباب عمارتها فعمَّرتها ، وهي الآن منزلي بباب الرحمة ، ولمَّا تيسر لي أسبابُ عمارتها فهمتُ حينئذٍ ما سبقَ عن شيخنا شيخ الاسلام ممَّا ذكرهُ من الجملة الأخيرة المتقدمة ، وأنَّهُ كاشفني بذلكَ ، وعندي عنهُ أشياءُ غير ذلكَ من هذا القبيلِ ، حذفتُها خشيةَ الاطالةِ ٠

وكانَ رحمهُ اللهُ إذا اعتدى عليه أحدٌ حلّتْ بذلكَ المعتدي النقمةُ من اللهِ عزَّ وجلَّ ٠ وحكيَ لي في سببِ ذلكَ أنَّ شيخنا الوليَ المجذوب سيدي محمد[2] بن أحمد

---

(١) هو أبو نصر قايتباي المحمود الاشرفي ثم الظاهري سيف الدين سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة ، كان من المماليك اشتراهُ الاشرف برسباي صغيراً من الخواجة محمود ، وصار الى الظاهر جقمق بالشراء ، فاعتقهُ واستخدمه في جيشه وصار اتابك العساكر ، ولما خلع المماليك تمر بغا بايعوا قايتباي سنة (٨٧٢هـ) وبقى الى أن مات سنة (٩٠١هـ) ينظر ابن اياس ٢/ ٩٠ ـ ٣٠٣ ٠ الاعلام ٦/ ٢٤ ٠

(٢) هو محمد بن أحمد السميعي ـ نسبة الى قرية من قرى ابو تيج يقال لها قرية بني سميع ـ البوتجي ، يعرف بالفرغل ، رجلٌ مجذوبٌ له شهرة في الصعيد وغيره ، له كرامات ، قدم القاهرة أيام الظاهر جقمق شافعاً في ابن قرين العزال ، فاجابه واكرمه ٠ ترجمته في الضوء اللامع ٧/ ١٣٠ ٠

الفرغلي[1] قَدِمَ الصَّعيدِ الى القاهرةِ أيَّامَ الملك الظاهرِ جقمق[2] قَبْلَ أنْ يلي شيخنا شيخ الاسلام وظيفةَ القَضاء ، قالَ : فتوجهتُ اليهِ وزرتُهُ ، فقال لي : ولَّيتُكَ قاضي المنحل ، وأنا قدامَكَ بهذا المنجل لا يتقدمُ لكَ أحدٌ إلاّ قطعتُ رأسَهُ بهذا المنجل ، قالَ : فلم يمضِ إلاّ مدةٌ يسيرةٌ وتوليتُ القضاء ، فقصَدنا جماعةٌ بالسُّوءِ ، فكلمَّا تقدَّمَ أحدٌ منهم بسوءٍ أخذهُ اللهُ ، وقد إتَّفقَ لي مَعَ شيخنا الفرغلي[3] غرائب ليسَ هذا محلَّ ذكرها ٠

وكانَ شيخنا شيخ الاسلام كثيراً ما يقولُ : أخبرنا الفقراء أنَّ هذا الأمر ـ يعني العلمَ ـ يكونُ فينا وفي جماعتنا ، أو جماعةِ جماعتِنا ، وكانَ بعضُ النَّاسِ ينكرُ ذلكَ ، لتوفر العلَماء في زمنهِ ، فلم يمضِ إلاّ مدةٌ قليلةٌ ، ولم يبقَ الآنَ بمصر من يعوّلُ عليهِ إلاّ جماعتهُ وجماعةُ جماعته ، وما توفِيَ حتَّى إنتهت اليهِ رئاسةُ العلمِ رحمهُ اللهُ ٠

---

(١) في (ب) : (القرغلي) وهو تصحيف ٠

(٢) هو جقمق العلائي الظاهري سيف الدين ، من ملوك دول الشراكسة بمصر والشام والحجاز ، خلع المماليك ولد الملك الظاهر برقوق بعد موت أبيه وولي (جقمق) مكانه السلطنة ، فكان ملكاً عظيماً جليلاً ديناً متواضعاً كريماً هدأت في عهده البلاد ، توفي سنة (٨٥٧هـ) ٠ ترجمته في ابن اياس ٢/٢٤ ، شذرات الذهب ٧/٢٩١ ، الضوء اللامع ٣/٧١ ، الاعلام ٢/١٢٨ ٠

(٣) في (ب) : (لاقرغلي) وهو تصحيف ٠

وأمَّا شيخنا شيخ الاسلام الإمام العلامة محقق العصر الجلال المحلي رحمهُ اللهُ [٣٥و] تعالى فقد إتَّفق لي معهُ المكاشفةُ الصَّريحةُ أيضاً حتَّى انِّي آتيه كثيراً بمنزلهِ بحدرة الكماحيين خارج باب(١) الحرق من القاهرةِ المعزيَّة ، فقلَّما طرقتُ بابَهُ إلاّ أجابني من داخلِ بيته شرف أدخل ، فأدخلُ ، فأجدهُ في موضعٍ لا يمكنُ أنْ يكونَ قد رآني منهُ ، وكنتُ آتيه في أوقاتٍ مختلفة ، وقَدِمَ عليَّ بعضُ اخوتي من البلاد فكاشفني بذلكَ عندَ قدومه ، وكنتُ كلَّما أردتُ السَّفرَ منَ القاهرةِ لزيارةِ أهلي آتيه وأُودِّعهُ فلا يبكي ، حتَّى كانَ في سفري آخرَ شعبان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، فوادعتهُ فبكى فلم أرَهُ بعدَ ذلكَ ، فإنَّهُ توفي عندَ عودي من البلادِ ليلة المحرَّم سنة أربعٍ وستين .

وكذا إتَّفقَ لي مع شيخنا شيخ الاسلام الشَّرف المناوي ، كنتُ أُوادعهُ عند سفري في كُلِّ سنةٍ فلا يبكي حتَّى وادعتهُ في سنةِ سبعين ، فبكى فلم أرَهُ بعدَ ذلكَ لسفرِي من بلادِنا الى الحجازِ الشَّريفِ بحراً ، ومجاورتي بهِ ، فتوفِيَ ليلة الثَّاني عشر من جمادى الآخرةِ ، سنة إحدى وسبعين .

---

(١) أحد أبواب سور القاهرة .

وأمَّا شيخنا شيخ الاسلام الامام العلامة سعدالدين[1] الحنفي ، قاضي الحنفيَّة بالدِّيارِ المصريَّة ، فقد أخبرني مراراً بما يقتضي أنَّهُ يستكملُ من العمرِ ثمانيةً وتسعين عاماً ، وكانَ يسندُ ذلكَ الى منامٍ رآهُ ، وأنَّهُ إرتقى درجاً عدتها كذلكَ ، فكانَ كما أخبرَ ، فانَّ مولدَهُ سابعُ عشر رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، ووفاته ثامن ربيع الآخر سنة سبع وستين وثمانمائة ٠

وأمَّا شيخنا الوالدُ الامام العلامة السيِّد الشَّريف جمال الدِّين عبدالله الحَسَني ، فرأيْتُ منهُ عجائب حتَّى انِّي كنتُ أرى أنَّهُ يطَّلعُ علَى ما يصدرُ منِّي [٣٥ظ] حالَ غيبتي عنهُ ، فأخافهُ كحضورهِ ، لأنِّي ما غبتُ عنهُ قطُّ أيَّامَ رحلتهِ بي الى مصر ، قبل السِّتين وبعدها ، فاشتغلتُ بعلمٍ أو خيرٍ ثُمَّ جئتُهُ إلاّ ولقيَني بوجهٍ عبوسٍ منقبضٍ ، وأنالُ منهُ من الاعراضِ على حسبِ الحالةِ التي كنتُ عليها في غيبتي عنهُ ، وممَّا استُقري من حالهِ انَّهُ لم يعاده أحدٌ فيفلح أبداً ٠

وأمَّا شيخنا الامامُ الهمامُ العلاَّمةُ القدوةُ وليُّ اللهِ العارفُ بهِ جنيد زمانهِ تقشُّفاً وزهداً الشيخُ

(1) هو ابو السعادات بن محمد بن عبدالله بن سعد ، النابلسي الاصل المقدسي نزيل القاهرة ، الحنفي كان اماماً علاّمة شيخ مذهب النعمان ٠ توفي سنة (٨٦٧هـ) ، وقد عمر مائة سنة ٠ ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٦/٧ ٠

(2) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٥ ــ ٦ ٠

شهابُ الديـن أبو المناقب أحمـد الابشيطي[1] ، نزيـل المدينة النَّبويَّة ، فرأيتُ منهُ مـا لا أحصيه لكثرته من العجائب في هـذا البابِ ، فمن ذلكَ انّي صحبتهُ أولاً بمكـةَ عـام إثنين وسبعين ، كانَ مجاوراً بهـا ، فبلغني أنَّهُ سُرِقَ لـهُ دراهمُ مـن خلوتهِ ، وأنَّهُ ذكر أنَّ بعضَ الجنِّ أخذها ، فأحببتُ أنْ أسمعَ ذلكَ منـهُ ، فجلستُ اليـه بالمسجدِ الحرام قبـلَ إقامةِ الصَّلاةِ ، فقلْتُ لـهُ : بلغني أنَّهُ قـد سُرِقَ لـكم دريهماتَ . فقـالَ : نعم مـن الخلوةِ . فأُقيمت الصَّلاة قبلَ أنْ يكملَ ليَ القصَّةَ ، فمضى معظمُ الصَّلاة وأنا أتوسوس بأنْ أعيد لهُ السُّؤال عن ذلكَ إذا سلَّمتُ من الصلاةِ لئلا أنسى ذلكَ فيفوتني سماعهُ منـهُ ، ويتكررُ ذلكَ في نفسي ، فلمَّا سلَّمتُ قلتُ لهُ : يا سيدي ، من هذا الذي تجرَّأَ وأخذَ ذلكَ من خلوتكم ؟ فقالَ : واحدٌ وهو يعترفُ بأخذِ ذلكَ . فقلتُ : من هو هذا ؟ فاني سمعتُ عنكم أنَّهُ منَ الجنِّ ؟ فقالَ : نعم وهو من الذين يقولون لكَ بطولِ الصَّلاة أوَّل مـا تسلِّم أسألهُ . فقبَّلْتُ يدَهُ ، وقلتُ : قد كانَ ذلكَ منهم يا سيدي .

---

(1) هو أحمد بن اسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة شهاب الدين الابشيطي ، من فقهاء الشافعية العارفين بالحديث ، ولد في ابشط من قرى المحلة بمصر سنة (٨٠٢هـ) ، وتعلم بالازهر ودرس فيه ، ثم ذهب الى مكة وتوفي بالمدينة المنورة سنة (٨٨٣هـ) له مصنفات عديدة . ترجمته في الضوء اللامع ١/٢٣٥ ، شذرات الذهب ٧/٣٣٦ ، الاعلام ١/٩٤ .

ومن ذلكَ انّي صحبته [٣٦و] بمكـة والمدينة مـن التَّاريخ المتقـدم الى سـنة خمسٍ وسـبعين ، وكانت الفتوحات[١] تردُ عليه كثيراً من النَّاسِ فيفرّقها على أصحابهِ وغيرهم ، فما دفعَ لي في هذهِ المدةِ درهماً ولا ديناراً ، لأنّي كنتُ مكفيَّ المؤنة بما جئتُ به من عندَ أهلي ، مع أنّي لم أُعلمهُ بشيءٍ من حالي ، فلمَّا رجعتُ مـن الحجِّ الى المدينةِ الشَّريفة سنة خمسٍ وسبعين ، وكانت والدتي معي في ذلكَ العام ، وقد قلَّ المصروف ، فزرتُ النَّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وآلـه وسلَّم ، وطلبتُ منهُ المددَ ، ثم توجهتُ الى الشيخِ برباط[٢] الأصفهاني ، لأُسلِّمَ عليهِ ، فوجدتُ باب الرَّباط مقفـلاً ، فأردتُ أنْ أطرقَهُ ثم تأدَّبتُ ، وقلتُ : ببركة الشيخِ يتيسرُ من يفتحِ ، فلم يتمَّ هذا الخاطِرُ إلاّ وقد فتح الشيخ البـابَ ، وليس على رأسـه عمامة ، ثـم قالَ لـي : ادخل ، يا استاذ ، وكانَ يخاطبني بذلكَ دائماً ، فدخلتُ وقبَّلتُ يدَهُ ، وعلمتُ أنَّهُ خرجَ قصداً لفتحِ البابِ من أجلي ، فانَّهُ تركَ باب خلوته مفتوحاً ورجـعَ معي اليهـا ، ثـم أعطاني خمسةَ عشرَ ديناراً ، ثم دعـا لـي بدعواتٍ مناسبةٍ في أمرِ الرِّزقِ ، وتيسيرهِ ، والغنـا

---

(١) يقصد بالفتوحات الحقوق الشرعية أمثال الزكوات أو الصدقـات وغيرهـا .

(٢) في هذا المكان كانت تقع دار عثمان رضي الله عنه العظمى التي عنـد موضع الجنائز ، فتصدق بها على ولده ، فهي بايديهم صدقة ، والتى محلهـا اليـوم رباط الاصفهاني ، وتربـة اسد الدين شـركوه عم صلاح الدين الايوبي ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ٥٢٨/١ .

عن النَّاس ، ولم أخبِرْهُ بشيءٍ من حالي ولا غيره ، ثم في أثناءِ السنة إحتجتُ الى شراءِ أَمَةٍ لتؤنس الوالدةَ وتخدمها ، فعرضَ عليَّ بعضُ الأصحابِ أَمَةً فرأيتُ أنِّي أحتاجُ في ثمنها الى عشرةِ دنانير ، فعزمتُ علَى إقتراضها ، ولم أُشارِكْ في ذلكَ أحداً ، فلمَّا حضرتُ الدَّرسَ عندَ لشيخ ، وأردتُ االانصرافَ ناداني وأجلسني علَى بابِ خلوته ، وقد إنصرفَ جماعةُ الدرسِ ، فدخلَ خلوتَهُ ثم خرجَ إليَّ بصُرةٍ ، فوضعها في يدي ، وقالَ : إنْ صلحت يكون ذلكَ في ثمنها وإلاّ فتنتفعُ بهِ ، فعلمتُ أنَّهُ كاشفني ، فأعلمتهُ بالقصةِ ؛ [٣٦ظ] ثم توجهت ففتحتُ تلكَ الصُّرةَ ، فوجدتها عشرة دنانير من غير زيادةٍ ولا نقص ، فشريتُ تلكَ الأَمَة ، وصرتُ أتأملُ في قولهِ : إنْ صلحت الى آخرهِ ، فقدَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بمجيءِ صاحبِ الأمة في اليومِ الثاني نادماً يسألُ الاقامةَ ، وقد تغيَّرَ حالهُ ، فأقلتهُ ورددتُها عليهِ ، وانتفعتُ بذلك المبلغَ كما قالَ الشيخُ ، واستشرتَهُ في أنْ أتزوَّجَ بامرأةٍ تؤنس الوالدة ، وتقوم عنها بأمرِ المعيشةِ ، فوافقَ علَى ذلكَ فحصلَ الاستغناء عن شراء الأَمَة .

ومن ذلكَ انِّي كنتُ لمَّا أحضرُ درسَهُ أجدُ من بعضِ الجماعةِ يبساً في البحثِ ، وعدم الجريان فيهِ علَى الأوضاعِ ، وكانَ الشيخُ يسلكُ معهم طريق المسامحةِ ، ورأيتُ من بعضهم ما يشبهُ الحسدَ ، ولم يسهل لي تركَ مجلس الشَّيخ ، فوقعَ في النَّفسِ أنْ

لو كانَ الشيخُ يفردُ لي وقتاً أقرأُ عليهِ فيهِ وعيَّنتُ في نفسي كتاباً ، فقلتُ في نفسي : هذا لا يحسمُ تلكَ العلةَ ، بعضَ النَّاسِ لا يخفى عليهِ ذلكَ ويأتي ويحضر ، فلو كانتِ القراءةُ بخلوةِ الشَيخِ بحيثُ لا يحضرُ معي أحدٌ ، وأختلي بالشَّيخ فيحصل لي منهُ ما لا يحصل معَ الجماعةِ ، فأفوزُ منهُ بما أتوقعهُ ، ثم زجرتُ النَّفسَ عن هذا الخاطِرِ ، ولم يخطرْ ببالي أنْ أذكرَ لهُ ذلكَ بلساني ، ثم جئتُهُ زائراً عقبَ ذلكَ ، فقالَ لي : يا استاذ أُريدُ أنْ أقرأَ عليكَ الكتابَ الفُلاني داخل هذه الخلوة من غير أن يحضرَ معكَ أحدٌ .

فقلتُ : أستغفرُ اللهَ يا سيدي قد وقعَ في نفسي قراءةَ ذلكَ الكتابِ عليكم كذلكَ ورأيتُ أنَّ ذلكَ منِّي سوءُ أدبٍ ، ثم قبَّلْتُ يدَهُ ، فعيَّنَ للقراءةِ وقت ما بين الظّهرِ والعصرِ ، فجئتُهُ في ذلكَ الوقتَ [٣٧و] فأدخلني في خلوتهِ وشرعتُ في القراءةِ عليهِ ، فجاءَ بعضُ أعيانِ المدينةِ الى موضعي يريدني ، فقيلَ لهُ ذهبَ الى الشيخِ ، فجاءَ الى بابِ الخلوةِ ، فسمعَ القراءةَ ، فاستأذنَ فسكتَ الشيخُ فقطعتُ القراءةَ ، لعلمي بأنَّهُ قد تحققَ سماعي لاستئذانهِ ، وكانَ الشيخُ قد تركَ بابَ الخلوةِ مفتوحاً ، فدخلَ والكتابُ في يدي ، فسلَّمَ وجلسَ ، ثم قالَ : أُريدُ أنْ أسمع قراءةَ فلانٍ لهذا الكتابِ عليكم ، فقلتُ : لا بأسَ بذلكَ ، فأتممتُ قراءةَ ذلكَ المجلس ، ثم انصرفنا ، فلمَّا كانَ في اليومِ الثاني حضرتُ فوجدتُ الشيخَ ينتظرني ، فأدخلني ثم أغلقَ البابَ علينا ، فحضرَ ذلكَ

الرجلُ ، فصارَ يكررُ الاستئذانَ فقطعتُ القراءةَ حياءً منهُ ، فقامَ الشيخُ الى البابِ ، وقالَ لهُ : إذهب فواللهِ ما أفتحُ لكَ ، ورجعَ إليَّ ، وقالَ : إقرأْ فقرأتُ وأنا في غايةِ الخجلِ من ذلكَ الرجلِ ، وقلتُ للشيخِ : يا سيدي أخشى أنْ ينسبني ، لأنّي سألتكم في ذلكَ ، فقالَ : إقرأ ما عليكَ ، ثم صارَ في كُلِّ يومٍ يدخلني ويغلقُ البابَ علينا ، فحصلَ لي بذلكَ ما لا يعلمهُ إلاّ اللهُ تعالى من الخيرِ ، وشاهدتُ من أحوالهِ وتصرّفه واطّلاعهِ حتّى علَى أمور الأموات ما لا يُوصَفُ ، ومنَ ذلكَ أنَّ أهلَ المدينةِ الشريفة كانوا إذا مرضَ لهم مريضٌ يأتونَ الى الشيخِ ويسألونهُ قراءة الفاتحة والدعاء لمريضهم ، فتارةً يفعلُ ذلكَ ، وتارةً يقرأُ الفاتحةَ ويدعو لمن جاءَ يطلبُ ، ولا يتعرّضُ للمريضِ . فاستقريتُ أحوالَ الشيخِ ، فكانَ فعلهُ الأول لمن يحصلُ لهُ الشفاءُ ، وفعلهُ الثّاني لمن يموتُ من مرضهِ .

ومن ذلك أنَّ شيخنا الشيخَ الإمام [٣٧ظ] العلامة المحققَ شمس الدين محمد الشرواني(١) قَدِمَ الى المدينة الشريفة صحبةَ الحاج المصري آخر عام إثنين وسبعين ،

(١) هو محمد بن مراهم الدين الشمس الشرواني ، ثم القاهري الشافعي، منسوب لمدينة بناها انو شروان محمود باد ، فاسقطوا (انو) تخفيفاً ، ولد سنة (٧٨٠هـ) ، ودرس على علماء عصره ، واصبح عالماً فقيهاً قدم القاهرة واشتهر بها كثيراً ، ثم سافر الى الشام ورجع الى القاهرة ، وتوفي سنة (٨٧٣هـ) .
ترجمته في الضوء اللامع ٤٨/١٠ .

فتوجهت معه الى الشيخ بخلوته ، وكان قد رجع من مكة ، فسلَّم عليه ثم قال لي شيخنا الشرواني عند سفره صحبة الحاج الى مصر : قد عزمت على أن آخذ كتبي من مصر ثم أرجع الى هذه البلدة الشريفة ، فأقيم بها ، فأحب أن تطلب لي من الشيخ شهاب الدين الأبشيطي الدعاء بذلك . فلمَّا سافر جئت الى الشيخ وأعلمته بذلك ، فقال : كيف يرجع يا استاذ ؟ والله ما سافر إلاّ وهو في الترسيم . فجاءني الخبر بعد ذلك أنَّ الشيخ شمس الدين وصل الى مصر متوعكاً أواخر المحرم ، وتوفي مستهل صفر سنة ثلاث وسبعين .

ومن ذلك أنَّ بعض أكابر العلماء من المصريين حج ومعه إبنه ، وكان الابن فيما يقال غير مرضي الطريقة ، وكان قد بدأ بالمدينة فزار ثم توجه الى مكة ، فمرض إبنه بمكة ، فلمَّا رجعت مع الحاج الأوَّل دخلت على شيخنا برباط الأصفهاني فسلَّمت عليه ، ثم قلت : يا سيدي الشيخ فلان قد مرض إبنه . فقال : اللهمَّ أرح منه البلاد والعباد ، والله ما يصل مصر إلاّ وهو مفتت . فتعجبت من ذلك ، وما سمعت شيخنا يدعو على أحد قبله ، فلمَّا قدم ركب المحمل جاء الخبر بأنَّ ذلك الولد توفي ، دفن بالينبع ، فتعجبت من قول شيخنا : ما يصل مصر إلاّ وهو مفتت . فجاء الخبر بعد ذلك بأنَّهم نقلوه في البحر ، فغرقت به المركب ، فأخرج ودفن في جزيرة ، ثم نقل منها الى مصر ، فلم يصل إلاّ وهو مفتت كما قال شيخنا .

ومن ذلكَ انَّهُ أُشيِعَ قبلَ [٣٨و] حج السلطان الأشرف قايتباي سنة ثلاث وثمانين ، وهي سنة وفاة شيخنا أنَّ السلطان يحجُ تلكَ السنة ، فقالَ لي شيخنا : هو لا يحجُ في هذهِ السنة ، ولكن في التي بعدها ، وتكون سنة خضراء . فحجَّ السَّلطان بعدَ وفاة شيخنا ، فَقَدِمَ المدينة الشريفة في الموسم الأول من سنة أربعٍ وثمانين ، وكانَ عام ربيع ، فكنتُ أرى الأرضَ لمَّا توجهتُ للحجِّ كما قالَ شيخُنا خضراء ، وتصدَّقَ السُّلطانُ علَى النَّاسِ ، فكانتْ سنةً خضراء حساً ومعنىً خصوصاً عليَّ ، فانَّهُ بعثَ إليَ بمائةِ دينارٍ على يدِ إمامه شيخ الشيوخ الامام العلامة عين الأعيانَ ونادرة الزَّمان البرهان الكركي أدامَ اللهُ النفعَ بهِ ، وقد كانَ هو السبب في ذلكَ ، جزاهُ اللهُ تعالى عنِّي خيرَ الجزاء .

ولو تتبعتُ كرامات شيخنا وأحواله ، لزادت عن مجلدة ، فلنقتصر على ذلك .

الباب الثاني

في بيان منشأ معادات العلماء ، ومعادات أهل البيت الكرام ، ومحبة اللئام للئام ، والتحذير من موالات من عادى العلماء ، ومشروعيه هجره وتحقير أمره ، والأخذ بمعالي الهمم والاعراض عن سفاسفها .

اعلم وفقني اللهُ وإيّاكَ إنّا قد أشرنا الى شيءٍ من ذلكَ فيما مضى ، ولكن القصدَ هنا إيضاح ذلكَ كلّه وبيانهُ بياناً شافياً ، وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لا يحبُ إلاّ الطيّبَ ، ولا يقبل إلاّ ما كانَ طيّباً ، ويبغضُ الخبيثَ ، ولا يقبلُ ما كانَ خبيثاً ، فخلقَ داراً أخلصها [٣٨ظ] للطيبِ وحرّمها على غير الطيبين وجمع فيها كُلَّ طيّبٍ ، وهي الجنّةُ دارُ السُّعداءِ ، وداراً أخلصها للخبيث والخبائثِ ، ولا يدخلها إلاَّ الخبيثونَ ، وهي دارُ الأشقياءِ ، فجمعَ فيها كلَّ خبيثٍ ، وجعلَ أهلَ هذين الدّارينَ أوّلاً معاً في هذهِ الدار الدُّنيا ، فوقعَ الابتلاءُ والامتحان ، بسبب هذا الاجتماع والاختلاط ، وجعلها دارَ تكليفٍ ، فبعثَ اليهم الرُّسلَ ، لبيانِ ما كلّفهم بهِ من الأقوالِ والأفعال والأخلاقِ الطّيّبةَ الموصلة الى جنانه ، واجتنابِ ما يُضادُ ذلكَ من خبثِ المذكورات المبعد عنهُ ، وأمرهم بجهادِ الأعداء الّذينَ سبقت لهم منهُ الشقاوةُ ، فقامت الحروبُ بينهم وبينَ الرُّسلِ علىَ ساقٍ ، وكذا بين

أتباعهم خصوصاً ورثتهم في هذه الدّار ، فاذا كانَ يومَ المعـادِ ميَّزَ اللهُ الخبيثَ من الطَّيبِ ، فجعلَ الطَّيبَ وأهلَهُ في دارِهم التي هي الجنَّةُ لاَ يخالطهم غيرهم ، فيتنعمُ هـؤلاءِ بطيبهم ، ويتعـذَّبُ هـؤلاءِ بخبثهم ، لانكشاف الحقائقِ لهـم حينئـذٍ ، وجعـلَ تعـالى علَى السَّعادةِ والشَّقاوةِ عنواناً يُعرَفانِ بهِ .

فأمَّا السَّعيدُ ، فطيِّبٌ يحبُّ الطيِّبَ ، ولا يأتـي إلاّ طيبـاً ، ويكرهُ الخبيثَ ويبتعـدُ عنـهُ ، فيتفجَّرُ الطيبُ من قلبهِ علَى لسانهِ وجوارحهِ ، ولهـذا يقولُ لهُ خزنةُ الجنَّةِ ، كما أخبرَ تعالى : (سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدينَ)[1] ، الفـاء للسببيةِ ، أي بسببِ طيبكم إدخلوها ، وذلكَ لأحكام المناسبةِ في ذلكَ لما سبقَ من [٣٩و] جعلِ الطَّيبِ بحذافيرهِ فـي الجنَّةِ وإخلاصها للطيِّبينَ ، وتحريمها علَى غيرهم .

وأمَّـا الشَّـقي فخبيثٌ مخبثٌ مبغضٌ للطيِّـبِ وأهلـهِ ، ومحبٌ لاِتيـان الخبيثِ وملازمـةِ أهلـه ومحلِّهِ ، فـلا يأتي إلاّ خبيثـاً ، ولاَ يصـدرُ منـهُ إلاّ الخبيثُ ، فيتفجَّرُ الخبثُ من قلبهِ وجوارحهِ ، لاحكام المناسبةِ بينَـهُ وبينَ الجَّحيم ، لمـا سبقَ مـن جعـلِ الخبيثِ بحذافيره فيها ، وإخلاصها للخبيث والخبائث ، قالَ تعالَى: ([2] الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ ، والْخَبِيثُونَ

---

(1) سـورة الزمـر الآيـة : ٧٣ .
(2) سـورة النـور الآيـة : ٢٦ .

لِلْخَبِيثَاتِ ، والطَّيِّبَاتُ لِلْطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلْطَّيِّبَاتِ) ، وهي عامَّةٌ لِلذوات والأفعال والأقوال مِن الجنسين ، وإن فسَّرها بعضُهم ببعضِ ذلكَ ، فكُلُّ ما ناسبهُ مِنْ ذلكَ إذِ العبرةُ بعمومِ اللَّفظ ، وعمَّا قرَّرناهُ من أمرِ التَّناسب نشأ قولهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ـ كما في الصَّحيح ـ : (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا إئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ منها إخْتَلَفَ)[1]، أي من أجلِ المناسبةِ المحكمةِ بينَ الفريقينِ ، فيميلُ الطَّيِّبُ الى الطَّيِّبِ ويألفُهُ ، والخبيثُ الى الخبيثِ ويألفُهُ كما يشيرُ اليهِ ما نقلهُ الامام النَّووي وغيرهُ عن الامام الخطابي وغيرهِ من أنَّ ذلكَ من أجلِ[2] ما خلقَ اللهُ عليهِ الأرواحَ من السَّعادةِ والشَّقاوةِ ، فكانتِ الأرواحُ قسمين متقابلين ، فاذا تلاقت الأجساد في الدُّنيا إئتلفتْ ، واختلفتْ بحسبِ ما خُلقَتْ عليهِ ، فيميلُ الأخيارُ الى الأخيارِ ، والأشرارُ الى الأشرارِ ٠

ويشهدُ لذلكَ ما رواهُ العسكري[3] في الأمثالِ عن ابن مسعود مرفوعاً : (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تلتقي [٣٩ظ] فتُشَامُ كما تُشَامُ الخيلُ ، فما

---

(١) الحديث ورد في سنن محمد بن ادريس الشافعي ص١١٩ عن ابي هريرة ، صحيح البخاري ٤/١٦٢ عن عائشة ، صحيح مسلم ٨/٤١ عن أبي هريرة ، سنن أبي داود ٢/٥٥٩ ٠

(٢) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل (أجمل) وما ذكرناه أفضل ٠

(٣) هو ابو هلال العسكري صاحب كتاب جمهرة الامثال ٠

تعارفَ منها إئتلفَ ، وما تناكر منها إختلفَ)[1] • فلو أنَّ رجُلاً مؤمناً جاءَ الى مجلسٍ فيهِ مائةُ منافقٍ ، وليسَ فيهِ إلا مؤمنٌ واحدٌ ، لجاءَ حتَّى يجلس اليهِ ، ولو أنَّ منافقاً جاءَ الى مجلسٍ فيهِ مائةُ مؤمنٍ ، وليسَ فيهِ إلا منافِقٌ لجاءَ حتَّى يجلس اليهِ •

ويشهدُ لهُ ـ أيضاً ـ ما رواهُ أبو يعلي برجالِ الصَّحيحِ عن عمرة[2] بنت عبدالرحمن قالت : كانتْ إمرأةٌ بمكةَ مزَّاحة فنزلتْ على إمرأةٍ شبيهةٍ لها ـ أي بالمدينةِ ـ فبلغَ ذلكَ عائشةَ رضيَ اللّهُ عنها فقالتْ : صدقَ حُبِّي [سمعتُ][3] رسولَ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقولُ : (الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ) الحديث• وفي روايةٍ لأبي يعلي وغيرهِ ذكرَ السَّبب للحديث المذكور عن عائشة رضيَ اللّهُ عنها انَّ إمرأةً كانتْ بمكة تدخلُ على نساءِ قريش تضَّحكهنَّ ، فلمَّا هاجرنَ ووسعَ اللّهُ تعالى دخلتِ المدينةَ ، قالت عائشة : كانتْ تضحّكَ بالمدينة فدخلَتْ عليَّ ، فقلتُ لها : يا فلانةُ ، ما أقدمك ؟ قَالتْ : إليكنَّ ، قلتُ : فأينَ نزلتِ ؟ قالتْ : علَى فلانة إمرأة كانت تضحِّكُ

(1) جمهرة الامثال ١/١٨٣ ، وهو في مسند ابن حنبل ٢/٢٩٥ عن أبي هريرة •

(2) هي عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة بن عدس النجارية ، سيدة نساء التابعين فقيهة عالمة بالحديث ، صحبت عائشة واخذت الحديث عنها ، توفيت سنة (٩٨هـ) ترجمتها في تهذيب التهذيب ٢/٤٣٨ ، دول الاسلام للذهبي ١/٥٠ ، طبقات ابن سعد •

(3) (سمعت) : ساقطة من الاصل •

بالمدينة ، قالت عائشةُ : فدخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم فقالَ : فلانةُ المُضحِّكَةُ عندكم ؟ قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : نعم ، فقالَ : فعلى من نزلتْ(1) ؟ قالتْ : على فلانة المضحِّكة ، قالَ : الحمدُ للهِ (إنَّ الأرواحَ جنودٌ مجنَّدةٌ)(2) ، الحديث كما في الصَّحيحِ . ومنشأ ذلكَ إحكام التَّناسب ، ولذا قالَ إمامنا الشَّافعي رحمهُ اللهُ كما في مناقبه للبيهقي : (العلمُ جهلٌ عندَ أهل الجَّهلِ ، كما أنَّ الجَّهلَ جهلٌ عندَ أهل العِلم)(3) ثم أنشأ يقولُ :

[٤٠و] ومنزلةُ الفقيهِ من السَّفيهِ
كمنزلةِ السَّفيهِ مِنَ الفقيهِ

فهذا زاهدٌ في قربِ هذا
وهذا فيهِ أَزْهَدُ منهُ فيهِ

ومن أجلِ هذا ذكرَ لي شيخنا الامام العلاّمة المحقق الشَّمس الشرواني أنَّ تَمُرْلنك(4) كانَ يُحِبُّ شخصاً

---

(1) في (ب) : (بزلت) وهو تصحيف .

(2) الحديث ورد في صحيح البخاري ٤/١٦٢ ، سنن أبي داود ٢/٥٥٩ .

(3) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٥١ ، عن الربيع بن سليمان ، النص والبيتان .

(4) هو تمرلنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج ، وهو اللنك بلغتهم ، فعرف بتمراللنك ثم خُفِّفَ فقيل تمرلنك ، وكان ابتداء ملكه انه لما انقرضت دولة بني جنكيز خان ظهر في اعقاب بني حفظاي بين كش وسمرقند تيمور هذا وتغلب على ملكهم محمود بعد أن كان اتابكه وتزوج امه بعد مهلك أبيه واستبد عليه ، وتمكن من القضاء

من الأكابر المعتمدين[1] ببلادِ العجم ، ويتردد تمر إليهِ ، قالَ : فوجدَ ذلكَ الرجلُ في قلبهِ ميلاً ومحبّةً لتمر ، فتشوّشَ لذلكَ تشويشاً عظيماً ، وقالَ : ما هذهِ المناسبةُ التي إقتضتْ ميلي لتمر ؟ فخافَ علَى نفسهِ من ذلكَ ، فجاءَ اليهِ تمر فمنعهُ من الدّخول عليهِ ، فذكرَ لهُ ما خطرَ لهُ في أمرِ المناسبةِ في الميلِ اليهِ معَ ما اتّصفَ تمر بهِ ممّا هو معروفٌ من سيرتهِ وشرّهِ ، فقالَ لهُ تمر : بيني وبينكَ مناسبةٌ أُخرى من أجلِ أنّكَ تحبُّ آلَ النّبي صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم ، وأنا واللهِ أحبُّهم ، وكذلكَ العلماءُ ، وأنتَ رجلٌ كريم ، وأنا أُحبُّ الكريمَ ، فهذهِ المناسبةُ هي المقتضيةَ للميلِ ، لا ما فيَّ من الشّرِ ، فأعجبَ ذلكَ الرّجُلُ ما قالَ تمر ، فإنّهُ كانَ معروفاً بذلكَ واستدامَ صحبتهُ .

قلتُ : ومنشأُ ذلكَ إجتماعُ مادتي الطيب والخبث في الشّخصِ الواحد ، فيميلُ اليهِ بعضُ الطّيّبينَ لطيبهِ ، وعكسهُ فإنّهُ قد يكونُ في الشّخصِ الواحدِ مادتانِ الطّيبُ والخَبثُ فيصدرانِ منهُ ، ويميلُ لكلٍّ منهما ، ويقعُ الميلُ اليهِ لأجلهما من أصحابِ الوصفين ، وهذا الشّخصُ لهُ حالانِ :

على بقية الملوك ، ثم ملك العراق وحلب والشام وجنوب الانظول واسر بايزيد ، مات سنة ٨٠٧ قرب مدينة اترار .
ترجمته في الضوء اللامع ٣/٤٦ ــ ٥٠ .

(١) في (ب) : (المعتمدين) ساقطة ، وفي الاصل ، (م) : (المعتقدين) وهو تحريف .

الحالُ الأوَّلُ أنْ يريدَ اللهُ به خيراً فيُطهرَهُ من المادةِ الخبيثةِ قبلَ الموافاة حتَّى لا [٤٠ظ] يَحتاجُ الى دخولِ النَّارِ لتُطهرَهُ فيُلهمُهُ عزَّ وجلَّ التَّوبةَ النَّصوحَ وفعل الخيرات ، أو يُصابُ بالمصائبِ المكفرات وأنواعِ البليَّاتِ فيتطهرُ من مادةٍ خبيثةٍ مع كراهته لما نزلَ به ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)[1] فيكرهُ العبدُ ما يصيبهُ من البلايا معَ ما يترتبُ عليها من الثَّمراتِ والمزايا ، ولهذا كانَ الأبُ الشَّفيقُ يسوقُ لابنهِ الحجَّامَ والطَّبيبَ النَّاصحَ ليُعالجَهُ بالمراهم الجادة المؤلمة ، ولو أطاعَ الولدَ لمَا حصلَ الشِّفاء ، وقد رأى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم إمرأةً معها ولَدها ، فقالَ : أترونَ هذه طارحةً ولدَها في النَّارِ ؟ قالوا : لا يا رسولَ الله . فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : اللهُ أرحمُ بعبده المؤمنِ من هذهِ بولدها . وقالَ تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)[2] . فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ من أنواعِ البلاء في الحياةِ الدُّنيا ، وكذا بعدها من ضغطة القبر وعذابهِ وأهوالِ يوم[3] القيامة جميعه لما إقتضتهُ الحكمةُ من التطهيراتِ ورفعة الدَّرجات ، ألا ترى أنَّ البلاءَ يُخمدُ النَّفس ويذُلها ويدهشُها عن طلبِ حظوظها ، ولَم يكن في البلاءِ إلاّ وجودُ الذِّلةِ ، ومعَ الذِّلةِ تكونُ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٦ .

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٤٣ .

(٣) (يوم) : ساقطة من (م) .

النُّصرةُ ، قالَ تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُم أَذِلَّةٌ)(1) • وهـذا مِمَّا لا يفهمهُ إلاَّ أُولو البصائر ـ جَعَلَنا اللهُ وإيَّاكم منهم ـ ومن تحققَ بعلمِ ذلكَ إنفتحَ لـهُ بابُ الرِّضا والتَّسليم لربِّهِ عزَّ وجلَّ ، ولهذا قالَ بعضُ العارفين : لو كُشِفَ للمُبتلى عن سرٍّ سريان الحكمةِ في البلاءِ لم يرضَ إلاّ بالبلاءِ •

وعن أنس رضي اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ [٤١و] عن جبريل عليهُ السَّلام عـن رَبِّهِ عزَّ وجلَّ قالَ : (إنَّ من عبادي من لا يصلحهُ إلاّ السَّقَمُ ، ولو صححته لأفسدَهُ ذلكَ ، وإنَّ من عبادي مـن لا يصلحهُ إلاّ الصحةُ ، ولـو أسقمتهُ لأفسدَهُ ذلكَ ، إنِّي لأَبرُ عبادي لعلمي بقلوبهم إنِّي بهم عليمٌ خبير)(2) •

وعن جابر مرفوعاً : (ليودَّنَّ أَهْلُ العافيـةِ أَنَّ جلودهم قُطِّعت بالمقاريضِ لمَا يرونَ من فضلِ أهـلِ البلاءِ)(3) ، رواهما أبو عبدالرحمن السَّلمي فـي سُنن الصُّوفيَّةِ •

---

(1) سورة آل عمران الآيـة : ١٢٣ •

(2) جاء في جامع السعادات ٢٧٨/٣ ما ورد في بعض الاحاديث القدسية : (ان بعض عبـادي لا يصلحه إلاّ الفقر والمـرض ، فاعطيه ذلـك ، وبعضهم لا يصلحه إلاّ الغنى والصحة فاعطيتُه ذلك) •

(3) الحـديث ورد في صحيح الترمذي ٢٤٥/٩ عن جـابر ، ولفظُه : (يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أنّ جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض) ، المعجم الكبير للطبراني ١٦٩/٩ وفيه عن ابن مسعود •

والحال الثَّاني أنَّ [من][1] لا يريد بِهِ اللهُ خيراً فلا يُيَسِّر لَهُ موادَ التطهير ، فيلقاهُ يومَ القيامةِ بمادةٍ خبيثةٍ ومادةٍ طيبةٍ ، وحكمتهُ تعالى تأبى أنْ يجاورَهُ أحدٌ في دارِ كرامتهِ ، وهو مُتَّصِفٌ بخباثتهِ ، فإنْ كانَ قابلاً للتطهيرِ مِن غيرِ إدخالهِ النَّارَ طهَّرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بما شاءَ بسببِ شفاعةٍ أو غيرها ، ثم يدخلهُ الجنَّةَ ، وإلاّ أدخلهُ النَّارَ طهرةً لَهُ وتصفيةً ، ليميِّز الخبيثَ من الطَّيِّبِ ، فإذا خلصتْ سبيكةُ إيمانهِ من الخبثِ ، وانفصلَ عنهُ خبثهُ في دارِ الخبثِ منزلِ الخبيثينَ ، صلح حينئذٍ لجوارهِ ومساكنةِ الطَّيِّبينَ من عبادهِ • وإقامةُ هذا النوعِ من النَّاسِ في النَّارِ على حسبِ سُرْعةِ زوالِ تلكَ الخبائث منهم وبُطؤها ، فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجاً ، وأبطأهم أبطأهم جزاءً وفاقاً ، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيد)[2] •

ثم أنَّ مادةَ الخبثِ إذا غلبت في شخصٍ واستحكمت، فالميسر لَهُ عملُ أهلِ الخبثِ ، فكانَ مظهراً للأفعال الخبيثة التي هي عنوان الشَّقاوةَ ، وبضدِّهِ من غلبت واستحكمت فيهِ مادةُ الطهارةِ كما يشيرُ اليهِ قولهُ صلَّى عليهِ وآلهِ وسلَّم : [٤١ظ] (إعملوا فكلٌّ ميسرٌ لِما خُلِقَ لهُ)[3]، ولهذا (لمَّا مَرَّ بجنازةٍ فأَثنوا عليها

(١) (من) : زيادة من (ب) وبها تكمل العبارة •

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٦ •

(٣) الحديث في مسند الامام ابن حنبل ١/٦ ، وفي صحيح مسلم بشرح النووي (اعملوا فكل ميسر) وقد كمله النووي في الحاشية ١٦/١٩٦•

خيراً ، قالَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : وجبت وجبت ـ أي الجنَّةَ ـ ولمَّا مَرَّ بالأُخرى فأثنوا عليها شرّاً ، قالَ : وجبت وجبت ، أي النَّار)[1] • وفي روايةٍ لأنس فسُئلَ ـ يعني النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ـ عن ذلكَ فقالَ : (إنَّ للهِ ملائكةً في الأرضِ ينطقونَ علَى ألسنةِ بني آدم بما في المرءِ من الخيرِ والشَّرِّ) ، رواهُ الدَّيلمي وغيرهُ وأخرجهُ الحاكم في الجنائز من صحيحه ، وقالَ : صحيح على شرط مسلم ، ولم تزل سُنةُ اللهِ في عبادهِ جاريةً باطلاقِ الألسنةِ بالثَّناءِ والمدحِ للطَّيبين والأخيار ، وبالسب[2] والذَّمَ للخبيثين الأشرار ، ليميِّزَ الخبيثَ من الطَّيِّبِ أيضاً في هذهِ الدَّارِ •

فعن ابن عمر رضي اللهُ عنهما قالَ : بعثَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم معاذ بن جبل وأبا موسى الى اليمن ، قالَ : فخطبَ النَّاسَ معاذُ فحثَّهم على الاسلام والتفقه والقرآن ، وقالَ : (أخبركم بأهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ ، إذا ذُكِرَ الرَّجلُ بخيرٍ فهو من أهلِ الجَنَّةِ ، وإذا ذُكِرَ بشَرٍّ فهو من أهلِ النَّارِ)[3] ، رواهُ الطَّبراني في الأوسط ، ورجالهُ موثوقونَ ، ومثلهُ لا يُقَالُ من قبلِ الرَّأي ، فيكون مرفوعاً ، وحينئذٍ

---

(١) الحديث في رياض الصالحين للنووي ص٣٠٨ ، وفيه (وجبت) مفردة •

(٢) كذا في (ب) ، وفي الاصل و (م) : (الثناء) ولا يستقيم المعنى بهِ •

(٣) الحديث ورد في زوائد المعجمين ١/٢١ •

فاطلاقُ ألسنةِ الخلقِ التي هي أقلام الحقّ بشيءٍ في العاجلِ دليلٌ وعنوانٌ على ما يكونُ في الآجلِ ، ولذا جاءَ في الحديثِ الصحيح : (أرأيتَ الرجلَ يعملُ العملَ من الخيرِ ويحمده النَّاسُ عليه ، قالَ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : تلكَ عاجلُ بُشرى المؤمنِ)[1] ، قالَ العلماءُ : معناهُ أنَّ البُشرى المعجّلةَ بالخيرِ ، هي دليل البُشرى المؤخرة الى الآخرةِ بقولهِ تعالى : (بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ [٤٢و] تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)[2] • وهذهِ البُشرى المعجّلَةُ دليلٌ على محبَّةِ الله لعبده ، حيثُ حبَّبهُ الى خلقه ، فانطلقت ألسنتهم بالثَّناءِ عليهِ • ولذا جاءَ في روايةٍ فيحبهُ النَّاسُ عليه ، فالطَّيِّبُ الصادرُ عنهُ دليلٌ طيبه المقتضي لمحبَّتهِ ، كما أنَّ من صدرَ عنهُ الخبيثُ كان دلكلَ خبثهِ المقتضي لبغضهِ •

---

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في مسنده ٥/١٥٦ ، ١٥٧ •

(٢) سورة الحديد الآية : ١٢ •

ولهذا إختصَّ الطَّيبُونَ بمَحَبَّةِ المَولى عزَّ وجلَّ ، ثُمَّ بمحبَّةِ أهلِ السَّماءِ وأهلِ الأرضِ ، عَلى ما دلَّ عليه قولهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم في الحديثِ الصَّحيحِ : (إذا أحبَّ اللهُ عبداً دعا جبريل عليه السَّلامُ فقالَ : إنِّي أُحبُّ فُلاناً فأحبُّه ، قالَ : فيحبَّهُ جبريلُ ثُمَّ يُنادي في السَّماءِ فيقولُ : إنَّ اللهَ يَحبُّ فُلاناً فأحبُوه ، فيحبُّه أهلُ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القبُولُ في الأرْضِ • وإذا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جبريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فيقولُ : إنِّي أَبغضُ فُلاناً فابغُضهُ ، فيبغضهُ جبريلُ ، ثم يُنادِي في أَهْلِ السَّماءِ إنَّ اللهَ يَبغضُ فُلاناً فابغضوهُ ، فيبغضونهُ ، ثم يُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأرْضِ ، أي فيبغضهُ أهلُ الأرضِ)[1] • كما أنَّ معنَى قولهِ في الأوَّلِ ، ثم يُوضَعُ لَهُ القبولُ في الأرضِ ، أي الحُبَّ في قلوبِ النَّاسِ ورضاهُمْ عَنْهُ فتحبهُ القلُوبُ وترضى عَنهُ • وقَدْ جاءَ في روايةٍ فتُوضَعُ لَهُ المحبَّةُ ، وزادَ الطَّبراني في روايتهِ لَهُ : ثُمَّ قَرأَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدّاً)[2] ، أي فينظرُ لهم العبادُ بعينِ الحُبِّ والوُدِّ ، ويَنْشَأُ عَنْ ذَلكَ هَيْبَتُهُمْ واعتزازهُمْ : (وَللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

---

(١) قد أخرجه الامام ابن حنبل بطرق مختلفة منه ما ذكرهُ المصنف ، المسند ٢/٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣ ، ٤٨٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٤ •

(٢) سورة مريم الآية : ٩٦ •

وَلِلْمُؤْمِنِينَ)(١) • وفي رواية للبزّار : (مَا مِنْ عَبْدٍ إلاّ وَلَهُ صيتٌ في السَّماء ، فإنْ كَانَ حسناً وُضِعَ في الأرضِ ، وإنْ كانَ سَيِّئاً وُضِعَ في الأرضِ)(٢) • ويُؤخذُ من ذلكَ كلِّه [٤٢ظ] أنَّ محبَّةَ قلوبِ العبادِ علامةٌ على محبَّةِ اللهِ تعالى ، وأنَّ بغضَهم علامةٌ على بُغضِهِ •

فصل

اعلم وفَّقَني اللهُ وإيَّاكَ إنَّ مَنْ تمحَّضَتْ فيهِ مادَّةُ الخُبْثِ فَقَدْ طُبِعَ عَلَى الأخلاقِ السَّيِّئَةِ المَذمُومَةِ التي لا مَطمعَ في تبدلِها ، كَمَا إنَّ مَنْ تمحَّضتْ فيهِ مادةُ الطيبِ ، فقد طُبِعَ على الأخلاقِ الحسنةِ المحمودةِ التي لا مطمعَ في تبدلِها • وعن هذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (إذا حُدِّثْتَ أنَّ جبلاً زالَ عن مكانه فصدِّق ، وإذا حُدِّثتَ أنَّ رَجُلاً زالَ عن خلقهِ فلا تُصَدِّق)(٣) ، رواهُ الامامُ أحمدُ من طريقِ الزُّهري عن أبي الدرداءِ بسندٍ صحيحٍ ، إلاَّ أنَّ الزُّهرِي لم يُدرِكْ أَبا الدرداءِ ، لكنْ لهُ شواهِدَ تُقَوِّيهِ •

---

(١) سورة المنافقون الآية : ٨ •

(٢) ذكرهُ الامام ابن حنبل مع اختلاف في اللفظ • المسند ٢/٣٤١ •

(٣) مسند الامام ابن حنل ٦/٤٤٣ ، ونصه : (إذا سمعتم بجبل زالَ عن مكانهِ فصدقوا ، واذا سمعتم برجل تغيَّر عن خلقهِ فلا تصدقوا به ، فانه يصير الى ما جُبِلَ عليهِ) •

منها عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : (أنَّ مُغَيِّرَ الخُلُقِ كمُغيرِ الخَلْقِ إنَّكَ لا تستطيعُ أنْ تُغَيِّرَ خُلُقَهُ حتَّى تُغَيِّرَ خَلْقَهُ)[1] ، أخرجه العسكري في الأمثالِ .

ومنها عن عبدِ اللهِ بن ربيعة قالَ : (كُنَّا عندَ ابن مسعود ، فذكرَ القَومُ رجلاً فذكروا من خُلُقه ، فقالَ ابنُ مَسْعُود : أَرأيتُمْ لَوْ قَطَعْتُمْ رَأْسَهُ أكنتُم مُستطيعينَ أنْ تعيدوهُ ؟ قالوا : لا . قالَ : فَيَدَهُ ؟ قالوا : لا . قالَ : فرجلهُ ؟ قالوا : لا . قالَ : فإنَّكُمْ لا تستطيعونَ أنْ تُغَيِّرُوا خُلُقَهُ حتَّى تُغَيِّرُوا خَلْقَهُ)[2] ، رواهُ الطَّبراني في الكبيرِ ، وقد جرَّبْتُ مصداقَهُ في بعضِ أهلِ الزَّمانِ ، فكم أظهرَ الواحدُ منهم التَّوبةَ عن أخلاقه الذَّميمة بعدَ بذلِ الجهد في أسبابِ إزالتها ، ثم نقضَها ، ونكصَ على عقبيه راجعاً لما كانَ عليه مُحقِّقاً رفضَها ، لاقتضاء خُبْثهِم المستحكمِ [على][3] عظيمِ بغضهِم للعُلماء ، سيَّما من وُهِبَ مِنَ العُلَماء شَرَفُ النَّسَبِ لأهْلِ البَيتِ النَّبوي ، إذْ هُمْ [٤٣و] الطَّيِّبُونَ ، وقد تقرَّرَ أنَّ بينَ الطَّيِّبِ والخبيثِ كمالَ الانقطاعِ والبُعدِ ، ومنعَ الاجتماعِ مَعَ شِدَّةِ نفرةِ الخبيثِ مِنَ العالَمِ

---

(١) لم أعثر عليه في جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٩/١٩٩ وفيه : (لن تستطيعوا) مكان (لا تستطيعون) .

(٣) (على) : زيادة من (ب) ، وبها يستقيم الكلام .

بطريقِ الميزِ بينَ الطَّيِّبِ والخبيثِ النَّاهي عَنْ سلُوكِ طرائقِ الأَخْلاقِ الخَبيثَةَ الصَّارِمِ لودادِ أَهْلِها • ألا تَرى أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ كانَ يُدعى بالأمينِ عندَ قُريشٍ وأهلِ مكَّةَ ؟ فلمَّا أوحَى اللهُ تعالى إليه بالدِّينِ الحنيفي المُشْتَملِ على طريقِ الميزِ بينَ الطَّيِّبِ والخبيثِ ، وأَمَرَهُ بالتحذيرِ والانذارِ ، وكانَ أعظمُ الخبائثِ إتِّخاذَ آلهةٍ غيرَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأخذَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ يعيبُ آلهتَهُمْ ويُحذِّرَهُمْ قبيحَ أفعالِهِم ، ويحثُهُمْ على مكارمِ الأخلاقِ ، وينهاهُمْ عن ذميمِها ، فاشْتَدُّوا عليهِ وعابُوهُ بِما لَيْسَ فيهِ ، حتَّى أخرجوهُ من بينَ أظهُرِهم ، وكانَ الخبثُ إذ ذاكَ هو الغالبُ ، فلم يزلْ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ يدعُو الى اللهِ حتَّى أظْهرَ اللهُ دينَهُ ، وكَثُرَ الطَّيِّبُ وأهلُهُ ، وضعُفَ جانبُ الخبيثِ ، ثم أخبرَ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ بأنَّ الدِّينَ بدأَ غريباً ، وأنَّهُ سيعودُ كما بدأ • وهذا أوانُ العَوْدِ الذي أخبرَ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، لغلبةَ الخبثِ والخبائثِ في هذا الزَّمانِ ، وضعفَ النَّاصرِ من أهلِ الايمانِ ، وغلبةِ أهلِ الطُّغيانِ ، وكثرةِ أهلِ النِّفاقِ • ألا ترى أنَّ في يومِ أُحدٍ إنخزلَ ابنُ أُبَي رأس المنافقينَ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بنحوِ ثُلثِ النَّاسِ ، فظَهَرَ نفاقُهُمْ وانكشفَ لأهلِ الايمانِ حالُهم معَ وجودِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بينَ أظهرِهم ، وإشراقِ أنوارهِ عليهم ، ومشاهدةِ

آياته ومعجزاته وظهورها فيهم ، فما ذلكَ بزمانـنا لو إنكشفَ الحـالُ ؟ نسـألُ اللهَ السَّلامَةَ والعافـيَـةَ ، فـأَقْـرَبُ الطـّرُقِ في هـذا الزّمانِ البُعْـدُ [٤٣ظ] والتَّجنُبُ لأكثَـرِ أهلـه ، وهـجْران المُتَجاهرين [منهم][1] بالفجورِ على العُلَمـاءِ ، ورميهـم بالبُهتانِ وسلوكهم طرق الطّغيانِ وسُبُلِ العنادِ ، وسعيهم في الافسادِ بينهمْ وبينَ العِبادِ • وقَدْ عَظَّمَ اللهُ تعالى جرمَ مُتَعاطي ذلكَ مَعَ عامَّـةِ المُؤْمنينَ ، فَكَيْفَ بخواصِّهم ؟ فَقَـدْ قالَ تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ ما أكْتَسَبُوا فَقَدْ إحْتَمَلُوا بُهْتَانَاً وَإثْمَاً مُبِيْنَاً)[2] • وقالَ صلّى اللهُ عليه وآله وسَلَّمَ : (خيـارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إذا رأوا ذُكِـرَ اللهُ ، وشـرارُ عِبـادِ اللهِ المشاؤُنَ بالنَّميمـةِ ، المُفَرِّقُونَ بينَ الأَحِبـةِ ، الباغُـونَ البُرَأ الغُبَّ)[3] ، رواهُ الامامُ أحمد •

وعن العلاء بـن الحارث أنَّ رسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليـه وآلـه وسلَّم قالَ : (الهمَّازُونَ واللَّمازُونَ والمشَّـاؤُنَ بالنَّميمـةِ ، والباغُونَ البُرَأ الْغُبُ يحشرهُم اللهُ في وجـوهِ الكلابِ)[4] ، رواهُ أبو الشيخ

---

(١) (منهم) : زيادة من (ب) ، (م) •

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٥٨ •

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٤/٢٢٧ ، ٦/٤٥٩ •

(٤) ذكر الحديث في جامع السعادات ٢/٢٧٥ بحذف : (يحشرهم الله في وجوه الكلاب) •

ابن حبان في كتاب التويج . وفي بعض الأخبار : (إنَّ الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام أنَّ في بلدك ساعياً ـ أي يسعى بالنميمة ـ ولستُ أمطرك ، وهو في أرضك . فقال : يا ربِّ دلَّني عليه حتى أُخرجه . فقال : يا موسى أكره النميمة وأنمُّ)[1] .

فأعظمُ بخصلة تقضي مع ما ذكر الى إحتباس مطر السماء عن العباد . وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ ، والْبِرُّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبُ عِنْدَ الله صِدِّيقاً ، وإيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ! فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ ، وإنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى [٤٤و] يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً)[2] ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، والترمذي صححه واللفظ له .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (آيةُ المُنافقِ ثَلاثٌ : إذا حدَّث كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ خَلَفَ ، وإذا

---

(١) جامع السعادات ٢/٢٧٧ .

(٢) الحديث ورد في صحيح مسلم ٨/٢٩ ، مسند ابن حنبل ١/٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، سنن أبي داود ٢/٥٩٣ ، صحيح الترمذي ٨/١٤٧ .

عاهَدَ غَدَرَ)[1] ، رواهُ البُخاري ومسلم ، وزادَ في روايةٍ لَـهُ : (وإنْ صامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ)[2] ٠

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها قالَتْ : (مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ أَبْغَضُ إلى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الكَذِبِ مَا اَطْلَعَ عَلى أَحَدٍ مِنْ ذلِكَ بِشَيءٍ فَيَخْرجُ مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحْدَثَ تَوْبَةً)[3]،رواهُ أحمدُ والبزَّارُ واللفظُ لَهُ ، وابن حِبَّان في صحيحه ، ولفظهُ : (مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إلى رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَهُ الكِذْبَةَ ، فَمَا زالَ في نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحدثَ فيها تَوْبةً)[4] ، رواهُ الحَاكم ، وقالَ : صحيحُ الاِسنادِ ، ولفظهُ : (ما كانَ شَيءٌ أبغضَ الى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم من الكذبِ ، وما جرَّبَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم من أحدٍ وإنْ قَلَّ فيخرجُ لَهُ مِنْ نفسهِ حتَّى يحدثَ توبةً) ٠ وقد سبقَ أنَّ الكذبَ

(1) الحديث ورد في صحيح البخاري ١٥/١ ، سنن النسائي ١٠٢/٨ ، صحيح مسلم ٥٦/١ ٠

(2) صحيح مسلم ٥٦/١ ، وقال عن العلاء بن عبدالرحمن يحدث بهذا الاسناد ٠

(3) الحديث ذكره الامام ابن حنبل عن عائشة ١٥٢/٦ ٠

(4) الحديث رواه الترمذي في صحيحه بهذا اللفظ عن عائشة ١٤٨/٨٠

من علامات النِّفاق ، وقَدْ كانَ إمامنا الشَّافعي لعلمه بالفراسةِ ، وَهِيَ تَنْشأُ عمَّا قَدَّمناهُ مِنْ حكمةِ التَّناسُبِ يُحَذِّرُ مِمَّنْ إتَّصَفَ ببعضِ الصِّفاتِ الصُّوريةِ التي تقتضي الفراسَةُ التَّحذيرَ مِنَ المُتَّصف بِها ، ورُبَّما بالغَ في الزَّجْرِ عن ذلكَ بردِّ ما إطَّلعَ على أنَّهُ إشترَى لَهُ ممَّن إتَّصَفَ بذلكَ . فقد روي البيهقي عنهُ أشياءَ مِنْ ذلكَ بأسانيدَ خرَّجَها ، فروي عن الرَّبيعِ قالَ : (وجَّهَ الشَّافعي [٤٤ظ] رجُلاً ليشتري لهُ طِيباً ، فلمَّا جاءهُ قالَ : ـ يعني الشَّافعي ـ إشتريتهُ مِن أَشقر كَوْسَج ؟ فقالَ : نعم . قالَ : عُدْ فردَّهُ إليهِ)[1] .

وعن الربيعِ أيضاً قالَ : (إشتهَى الشَّافعي يَوْماً عنباً أبيضَ ، فأمرني فاشتريتُ لهُ منهُ بدرهم ، فلمَّا رَآهُ إستجادهُ ، فقالَ لي : يا أبا مُحَمَّدٍ ، ممَّنْ إشتريتَ هذا ؟ فسمَّيْتُ لَهُ البائعَ فنحَّى الطَّبَقَ من بينَ يديهِ وقالَ لي : أَردده عليهِ ، واشترْ لي من غيرهِ . فقلتُ لهُ : وما شأنهُ ؟ قالَ : ألَمْ أَنهكَ أَنْ تصحبَ أشقرَ أزرقَ ؟ فانَّهُ لا ينجبُ ، فكيفَ آكُلُ من شَيءٍ يُشتَرى ممَّنْ أَنهَى عَنْ صُحبَتهِ ؟ قالَ الرَّبيعُ : فرددْتُ العنبَ على البائعِ ، واعتذرتُ إليهِ بكلامٍ حسنٍ ، واشتريتُ لَهُ عنباً من غيرهِ)[2] .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٣/٢ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٣/٢ .

وعن حرملة[1] قالَ: (حضرتُ الشافعي واشترِي[2] لـهُ طيبٌ فأُتِيَ بـه، فوقعَ فيه كلامٌ بينَ يديهِ، فقالَ: ممن اشتريتَ هذا الطيبَ وما صفتهُ؟ قالَ: أشقرُ. قالَ: أردده، فما جاءني خيرٌ قط من أشقر)[3].

وعن حرملة أيضاً قالَ: (سمعتُ الشافعي يقولُ: إحذرِ الأعورَ، والأحولَ، والأعرجَ، والأحدبَ، والأشقرَ، والكوسَجَ، وكُلَّ من به عاهةٌ في بدنه، وكُلَّ ناقصِ الخلقِ فاحذره، فانَّهُ صاحبُ التواءٍ، ومعاملتهُ عسرةٌ. وقالَ مرة أُخرى: فانَهم أصحابُ خبثٍ)[4]. ثم ذكرَ البيهقي: (عن ابن أبي حاتم أنَّ هذا إذا كانَ ولادُهُمْ بهذهِ الحالة، فأمَّا من حدثَ فيه شيءٌ من هذهِ العللِ وكانَ في الأصلِ صحيحُ التركيبِ فلم تضُرْ مخالطتَهُ)[5].

---

(١) هو حرملة بن يحيى التجيبي مولاهم المصري، ولد في مصر سنة (١٦٦هـ) وصحب الشافعي، فكان حافظاً للحديث ثقة، توفي في مصر سنة (٢٤٣هـ).
ترجمته في وفيات الاعيان ١/١٢٨، ميزان الاعتدال ١/٢١٩، الاعلام ٢/١٨٥.

(٢) في (ب): (واشتريتُ لهُ طيباً)، وهو خطأ لمخالفته لنص البيهقي.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢.

وقالَ الحميدي(١) : (قالَ الشافعي : خرجنا(٢) الى اليمنِ في طلبِ كتبِ الفراسةِ حتّى كتبتُها وجمعتُها ، ثم لمَّا كانَ إنصرافي مررتُ في طريقي برجلٍ ، وهو مُحْتَبٍ بفناءِ داره [٤٥و] أزرقُ العينينِ ناتيءُ الجبهةِ سناط"(٣) ، فقلتُ لَهُ : هَلْ من منزلٍ ؟ قالَ : نعم ـ قالَ الشافعي : وهذا النعتُ أخبثُ ما يكونُ في الفراسةِ ـ فأنزلني فرأيته(٤) أكرمَ رجلٍ : بعثَ لي بعشاءٍ وطيبٍ وعلفٍ لدابَّتي وفرشٍ ولحافٍ ، قالَ : فجعلتُ أتقلَّبُ الليلَ أجمعَ(٥) ما أصنعُ بهذهِ الكتبِ ؟ فلَمَّا أصبَحتُ قُلْتُ للغُلامِ : أسرجْ ، فأَسرجَ فركبتُ ، ومررتُ عليهِ ، وقلتُ لهُ : إذا قدمتَ مكةَ ومررتَ بذي طوىً فَسَلْ عَنْ منزلِ محمد بن إدريس الشافعي • فقالَ لي الرجُلُ : أمولىً لأبيكَ أنا ؟ فقلتُ : لا • قالَ : فهل كانتْ لكَ عندي نعمةٌ" ؟ قلتُ : لا • قالَ : فأينَ ما تكلَّفْتُ لكَ البارحةَ ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال : إشتريتُ لكَ طعاماً بدرهمينِ ، وأَداماً وعطراً بثلاثةِ دراهم ، وعلفاً لدابتِكَ بدرهمينِ ،

---

(١) هو ابو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي الاسدي ، أحد الأئمة من أهل مكة المكرمة ، رحل منها مع الامام الشافعي الى مصر ولازمه طيلة حياته في مصر ، وبعد وفاة الشافعي عاد الى مكة وتوفي فيها سنة (٢١٩هـ) • ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/٢١٥ ، الاعلام ٤/٢١٩ •

(٢) في مناقب الشافعي : (خرجتُ) •

(٣) السناط : الشخص الذي ليس له لحية •

(٤) في مناقب الشافعي : (فرأيت) •

(٥) (اجمع) : ساقطة من (م) •

وكراءُ الفراشِ واللّحافِ درهمين • قالَ : فقلتُ يا غلامُ ، إعطهِ ، فهل بقيَ من شيءٍ ؟ قالَ : نعم كراءُ المنزلِ ، فإنّي وسّعتُ عليكَ وضيّقتُ علَى نفسي بتلكَ الكتبِ • فقلتُ لهُ بَعْدَ ذلكَ : فهلْ بقيَ من شيءٍ ؟ قالَ : إمضِ أخزاكَ اللهُ ، فما رأيتُ شراً منكَ)[1] •

قُلْتُ : لمّا إقتضت حكمةُ التّناسُبِ نفرةَ الأشرارِ من الأخيارِ عبّرَ هذا الشّريرُ في مثلِ الشّافعي رحمهُ اللهُ بهذهِ العبارةِ • ويشهدُ لما قالهُ الشّافعي ، الحديثُ الذي ذكرهُ الديلمي ولم يُسندهُ ولدهُ عن ابن عمر مرفوعاً : (إيّاكَ والأشقرَ والأزرقَ فإنّهُ من تحتِ قرنهِ الى قدمهِ مكرٌ وخديعةٌ وغدرٌ) •

وممّا يدخلُ في هذا البابِ حديثُ ابن عباس مرفوعاً : (إحذرُوا صفرَ الوجوه ، فإنّهُ إنْ لَمْ يكُنْ من علّةٍ أو سقمٍ ، فإنّهُ من غلٍّ في قلوبهم للمسلمينَ)[2] ، أخرجهُ الديلمي [٤٥ظ] في مسنده ، ولهُ بلا سندٍ عن أنس مرفوعاً : (إذا رأيتُم الرجُلَ أصفرَ الوجهِ من غيرِ مرضٍ ولا عبادةٍ فذلكَ من غشَّ الاسلامَ في قلبهِ)[3] •

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٤ •

(٢) المغير على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص١١ •

(٣) المغير على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص١٣ •

وذكر ابن القيم[١] في الطب النَّبوي[٢] بغيرِ إسنادٍ أيضاً ، لكن أسنده أبو نعيم في الطبِّ من حديثِ حماد بن المبارك عن السندي بن شاهك عن الأوزاعي عن رجلٍ عن أنس رفعه مثله سواء ، فإذا كان هذا التحذير ممن إشتمل على شيءٍ مما ذُكر من الأوصاف الصُّوريَّة فقط[٣] فما ذاك بمن ظهر في أفعاله ما يؤثر من أفعال المنافقين وأخلاقهم ، بالجملة فجماعُ أخلاق المنافقين والعلامات التي تميَّز بها أهلُ النِّفاق ، وقد إجتمعتْ فيمن رأيناً من مُبغضي العلماء وأهل البيت النَّبوي ، فكيف لا يتعيَّنُ بغضهم وطردهم ورفضهم ؟ إذْ من الأعمال التي إجتمعتْ على حسنها الفطرُ السليمةُ والشَّرائعُ القديمةُ ، وزكَّتها العقولُ الصَّحيحةُ وأشار بسلوكِ طريقها كلُّ ذي نصيحة التَّواضعُ وخفضُ الجَّناحِ لأهلِ الايمانِ ، والعزُّ والغلظةُ والتَّكبُّرُ علَى أهْلِ البَغي والطِّغيان سيما إذا كان الباغي وقحاً لا يتستَّرُ[٤]،وبجورهِ وبغيه يجهرُ ، لا ينفعُ فيه التلطيفُ ، ولا الصفوُ والمسامحةُ والعطفُ ، بل يزيدهُ ذلك عناداً وسعياً في إطفاءِ نورِ العلمِ وإجتهاداً .

---

(١) هو شمس الدين محمد بن ابي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ، (ت ٧٥١هـ) .

(٢) ذكر ابن القيم مجموعة احاديث شريفة في الطب النبوي في كتابه الطب النبوي ص٨ـ٩ .

(٣) (فقط) : ساقطة من (ب) .

(٤) (لا يتستر) : ساقطة من (ب) .

هـذا : (والحبُ فـي اللهِ ، والبغضُ في اللهِ مـن الايمانِ)[1] ، وفي الحـديث : (لا يجـدُ العبدُ صريح الايمانِ حتّى يحبَّ للهِ ويبغضَ للهِ)[2] ، رواهُ أحمـدُ والطّبراني • وفي روايتـهِ : (أوثقُ عُـرَى الايمـانِ الحبُ في اللهِ ، والبغضُ في اللهِ) ، وفي روايـةٍ : (فاذا أحبَّ في اللهَ ، وأبغضَ [٤٦و] للهِ فقد إستحقَّ الولايةَ للهِ)[3] •

وعن أَنس مرفوعاً : (الحبُ فـي اللهِ فريضـةٌ ، والبغضُ في اللهِ فريضةٌ)[4] ، رواهُ أبو عبدالرحمـن السلمي •

وعن مجاهد قالَ : قالَ لي ابن عمر : (أحبَّ في اللهِ وأبغضْ في اللهِ ، وعادِ في اللهِ فانّكَ لا تنالُ ولايةَ اللهِ إلاَّ بذلكَ ولا يجدُ رَجُلٌ طَعمَ الايمانِ ، وإنْ كثرتَ صَلاتهُ وصيامهُ حتّى يكونَ كذلكَ)[5] •

---

(١) هذا كلام البخاري انظر ١/٨ •

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٣/٤٣٠ مع اختلاف في الالفاظ •

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٣/٤٣٠ •

(٤) في كشف الغمة للشعراني ٢/٢٢٩ : (افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله) •

(٥) لقد أورد القسم الاول من الحديث صاحب كتاب جامع السعادات ٣/١٨٣ •

قلتُ : فكيفَ بمن ضمَّ الى إرْتكابِ ما يستحقُّ بهِ العداوةَ في اللهِ تعالى بغضهُ للعلماءِ ؟ وكيفَ يُصحبُ مثلُ هذا مع ما جاءَ في الحديثِ من قولهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : (المرءُ على دينِ خليلهِ ، فلينظرْ أحدُكم من يُخاللْ)[1] ، رواهُ أبو داود والترمذي ، وحسَّنهُ ، والطيالسي ، والبيهقي فذكرهُ في الموضوعات خطأً وللهِ درُّ القائلِ[2] :

عَنِ المرءِ لا تسألْ وَسَلْ عَنْ قرينهِ
فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقَارِنِ مُقْتَدي

وهذا يرجعُ الى شيءٍ مما قرَّرناهُ في الفصلِ قبلهُ من الحكمةِ المقتضيةِ للتناسبِ ، فلذا قالَ بعضهُمْ : (من سفهِ الأَحلامِ مودَّةُ اللئامِ) . وأسندَ البيهقي عن يونس بن عبدالأعلى قالَ الشافعي رحمهُ اللهُ : (عاشرْ كرامَ النَّاسِ تعشْ كريماً ، ولا تعاشرِ اللئامَ فتُنسبَ الى اللؤمِ)[3] ، وقيلَ مخالطةُ الأشرارِ خطرٌ ، ومن صحبهم فقد بالغَ في الغررِ ، وإنَّما مثلهُ كمثلِ راكبِ البحرِ إنْ سلمَ بدنهُ من التَّلفِ لم يسلمْ قلبهُ من الحذرِ ، والنَّاسُ ثلاثةُ أصنافٍ : صنفٌ

---

(١) الحديث في صحيح الترمذي ٩/١٢٣ ، وسنن أبي داود ٢/٥٥٩ ، وفيهما : (الرجل على دين خليله ... الخ)

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي ، ذكرهُ صاحب العقد الفريد ٢/٢٣٠ ، وصاحب عيون الاخبار ٣/٧٩ ، وصاحب بهجة المجالس ص٧٠٣ ، ادب الدنيا والدين ص٦٣ .

(٣) مناقب الشافعي ٢/١٩٣ .

كالغذاءِ لا يُستغنى عنهم ، وصنفٌ كالدَّواءِ يُحتاجُ إليهم في الأحايينِ ، وصنفٌ كالداءِ يجبُ الاحتماء منهم ٠

وعن المزني[1] أنَّهُ قالَ : (سمعتُ الشَّافعي [٤٦ظ] رحمهُ اللّهُ يقولُ : من لا يحبُّ العلمَ فلا خير فيهِ ، فلا يكن بينكَ وبينهُ معرفةٌ ولا صداقةٌ)[2] ٠

وعن الربيعِ بن سليمان قالَ : (سمعتُ الشَّافعي يقولُ : صحبةُ من لا يخافُ العارَ عارٌ يوم القيامةِ)[3] ٠ قالَ : (وسمعتهُ يقولُ : إنِّي إذا أبغضتُ الرَّجُلَ ، أبغضتُ شقي الذي يليهِ)[4] ٠

وعن ابن عفير قالَ : سمعتُ الشافعي يقولُ : (من علامةِ الصديقِ أن يكونَ لصديقِ صديقهِ صديقاً)[5] ٠

---

(١) هو ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المزني ، ونسبه الى قبيلة مزينة ، ولد في مصر سنة ١٧٥هـ) ودرس فيها ، ولما قدم الشافعي كان من اصحابه ، وقال الشافعي في حقه : المزني ناصر مذهبي، وقال : لو ناظر الشيطان لغلبه ، توفي في مصر سنة (٢٦٤هـ)٠ ترجمته في وفيات الاعيان ١/ ٧١ ، الاعلام ١/٣٢٧ ٠

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٤٤ ٠

(٣) مناقب الشافعي ٢/١٩٣ ٠

(٤) مناقب الشافعي ٢/١٩٥ ٠

(٥) مناقب الشافعي ٢/١٩٦ ٠

قلتُ : يوخذُ من طريقِ المفهومِ إنَّ من علامةِ العدوِّ أنْ يكونَ لصديقِ صديقكَ عدواً ، فمن بابِ أَوْلى إذا كانَ لصديقكَ عدواً . ومنهُ قولُ الامامِ الجليل عبدُالله [1] بن الحسن بن الحسن رضوانُ اللهِ عليهم فيما سيأتي عنهُ أواخر العاشر من القسم[2] الثاني : كفَى بالمبغض لَنا بغضاً أَنسبهُ الى من يبغضنا ، وقد قدمناهُ في أَوائلِ الفصلِ الثاني من البابِ الأَوَّلِ عندَ ذكرِ التَّحذيرِ من موالاةِ مَنْ عادَى العلماءَ ، لأنَّهُ بذلكَ متعرِّضٌ لموالاةِ من عادَى اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومن كانَ كذلكَ فهو مستحقٌّ لدوامِ الهجرانِ حتَّى تظهرَ توبتُهُ وإنابتُهُ .

فصـــل

فانْ قيلَ قد وردَ النَّهيُ عن هجرانِ المسلمِ ، ففي الصَّحيحينِ وغيرهما عن أبي أيوب رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ قالَ : (لاَ يَحلُ لِمُسْلمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فوق ثلاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا ، وخيرهما الذي يبدأُ بالسَّلامِ)[3] . قُلْنا : قَدْ

---

(1) مرت ترجمته في صفحة ٨٠ من هذا القسم .

(2) ينظر القسم الثاني ٨٠و .

(3) الحديث ورد في موطأ مالك ٢/٩٠٧ ، مسند ابن حنبل ١/١٧٦ ، ١٨٣ ، ٣/١١٠ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، صحيح مسلم ٨/٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، صحيح الترمذي ٨/١٨٠ ، سنن أبي داود ٢/٥٧٦ ، سنن ابن ماجة ١/١٨ .

قالَ العلماءُ : إنَّ هذا في الهجرانِ لغيرِ مصلحةٍ دينيَّةٍ ، فإنْ كانَتْ مصلحةً دينيَّةً ، بأنْ كانَ المهجورُ مذمومَ الحالِ لفسقٍ ، أو بدعةٍ ، أو نحوهما ، أو كانَ فيهِ صلاحٌ لدينِ الهاجرِ ، أو المهجورِ ، أو قُصدَ بهِ زجرهُ عن قبيحٍ [٤٧و] فعلهُ ، أو إصلاحهُ لم يُحَرَّمْ . قالَ النَّووي في [زيادةِ][1] الرَّوضَةِ : هذا في الهجرانِ[2] لغيرِ عذرٍ شرعيٍّ ، فإنْ كانَ عذرٌ ككونِ المهجورِ : (مذمومَ الحالِ ، لبدعةٍ ، أو فسقٍ ونحوهما ، أوْ كانَ فيهِ صلاحٌ لدينِ الهاجرِ أوْ المهجورِ ، أوْ يُحرَمُ)[3] . وعلى ذلكَ يُحْمَلُ ما ثَبُتَ من هجرانِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم لكعب[4] بن مالك وصاحبيه ونهي الصحابةَ عن كلامهم ، وكذا ما جرى من هجرانِ السَّلفِ بعضهُم بعضاً ، إنتهى .

وقالَ العراقي[5] في شرحِ التقريبِ : هذا التحريمُ محلهُ في هجرانٍ ينشأُ عن غضبٍ لأمرٍ جائزٍ لا تعلُّقَ لَهُ بالدِّينِ ، فأمَّا الهجرانُ لمصلحةٍ دينيَّةٍ مِنْ

---

(١) (زيادة) : ساقطة من الاصل ، وهي في (م) ، (ب) .

(٢) في (م) : (الهجر) ، وما أثبتناه أحسن .

(٣) النص من روضة الطالبين للنووي ٦٤/١١ .

(٤) ينظر صحيح البخاري باب ما يجوز من الهجران لمن عصى ٢٦/٨ .

(٥) العراقي هو احمد بن عبدالرحيم ابو زرعة وليالدين ابن العراقي مرت ترجمته . (وشرح التقريب) هو (شرح ترتيب المسانيد وتقريب الاسانيد) .

معصيةٍ ، أو بدعةٍ ، فلا منعَ منهُ ، وقد أمرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ بهجرانِ كعبِ[1] بنِ مالك ، وهلال[2] بن أُمية ، ومرارة[3] بن الربيع رَضيَ اللهُ عنهم • قالَ بن عبدالبرِّ : وفي حديث كعبٍ دليلٌ علَى أنَّهُ جائزٌ أنْ يهجرَ المرءُ أخاهُ إذا بدتْ لهُ منهُ بدعةٌ ، أو فاحشةٌ حتَّى أنْ يكونَ هجرانُهُ تأديبياً لهُ وزجراً عنها •

وقالَ أبو العباس[4] القرطبي : فأمَّا الهجرانُ لأجلِ المعاصي والبدعِ ، فواجبٌ إستصحابهُ الى أنْ يتوبَ من ذلكَ ، ولا يُخْلَفُ في هذا • وقالَ ابنُ عبدالبرِّ — أيضاً — : أجمعَ العلماءُ علَى أنَّهُ لا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ إلاَّ أنْ يخافَ من مكالمتهِ وصلتهِ ما يفسدُ عليهِ دينَهُ ، أوْ يولِّدُ بهِ علَى نفسهِ مضرَّةً في دينهِ أو دنياهُ ، فإنْ كانَ كَذلكَ

---

(1) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن لقين بن سواد بن غنم بن سلمة من الخزرج • المحبر لمحمد بن حبيب ص٢٨٤ — ٢٨٥ •

(2) هو هلال بن امية بن عامر بن قيس بن عبدالاعلم بن كعب بن واقف من الاوس ، المحبر ص٢٨٤ •

(3) هو مرارة بن الربيع بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك من الاوس • المحبر ص٢٨٤ •

(4) هو ابو العباس احمد بن عمر بن ابراهيم الانصاري القرطبي ، ولد بقرطبة سنة (٥٧٨هـ) ، هاجر الى مصر وسكن الاسكندرية ، ودرّس الحديث فيها توفي بالاسكندرية سنة (٦٥٦هـ) •

ترجمته في البداية والنهاية ٢١٣/١٣ ، نفح الطيب ٦٤٣/٢ ، الاعلام ١٧٩/١ •

رُخِّصَ لَهُ في مجانبته ، ورُبَّ صرمِ حبلٍ خيرٌ من مخالطةٍ مؤذيةٍ إنتهى ٠

وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه لما يجوزُ من[1] الهجرانِ لمن عصَى ، ثم أوردَ قولَ كعبِ بن مالك الأنصاري في قصةِ تخلّفه مع صاحبيه عن غزوةِ تبوك : (نهَى النَّبيُّ [٤٧ظ] صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم عن كلامنا ، وذكرَ خمسينَ ليلةً)[2] ، وهو طرفٌ من حديثه الطويلِ في هذه القصة ، ولفظهُ : (ونَهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ المسلمينَ عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بينَ من تخلَّفَ عنه ، قالَ فاجتنبَنا النَّاسُ ، أو قالَ : تغيَّروا لَنا حتَّى تنكَّرتْ لي في نفسي الأرضُ ، فما هي بالأرضِ التي أعرفُ ، فلبثنا علَى ذلكَ خمسينَ ليلةً)[3] ، الحديثُ كما في الصَّحيحينِ وغيرهما ٠ قالَ المهلَّبُ : غرضُ البخاري من هذا البابِ بيانُ الهجرانِ الجائزِ ، وأنَّهُ يتنوَّعُ بقدرِ الجُرمِ ، فمن كانَ من أهلِ العصيانِ يستحقُّ الهجرانَ بتركِ المكالمةِ ٠

---

(١) صحيح البخاري باب ما يجوز الهجران لمن عصى ٨/٢٦ ٠

(٢) صحيح البخاري غزوة تبوك ٦/٢ ، ٣ ٠

(٣) صحيح البخاري ٦/٦ ٠

وقالَ الطَّبري : قصَّةُ[1] كعبِ بنِ مالك أصلٌ في هجرانِ أهلِ المعاصي ، وقد إستشكلَ كونَ هجرِ الفاسقِ والمُبدعِ مشروعاً ، ويُشرَعُ هجران الكافرِ ، وهو أشدُّ جرماً منهما ، لكونِهما من أهلِ التوحيدِ في الجُملةِ .

وأجابَ ابنُ بطال[2] بأنَّ للهِ تعالى أحكاماً فيها مصالحٌ للعبادِ وهو أعلمُ بشأنِها ، وعليهم التَّسليمُ لأمرِهِ فيها ، فيحتجُّ الى أنَّهُ تعبُّدٌ لا يُعقَلُ معناهُ . وأجابَ غيرُهُ بأنَّ الهجرانَ قلبيٌّ ولسانيٌّ ، فهجرُ الكافرِ بالقلبِ ، وكذا بتركِ التوددِ والتعاونِ والتَّناصرِ ، لا سيما إذا كانَ جريئاً ، وإنَّما لم يُشرَّعَ هجرانهُ بالكلامِ لعدمِ إرتداعهِ بهِ عن كفرهِ ، بخلافِ العاصي المسلمِ فإنَّهُ ينزجرُ بذلكَ غالباً . وفي الصَّحيحِ ـ أيضاً ـ قولُ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها : (عليَّ نذرٌ ألاَّ أُكَلِّمَ ابنَ الزبيرِ أَبداً)[3] . قالَ ابنُ عبدالبر[4] : التقديرُ : عليَّ نذرٌ إن كلمتهُ إنتهى .

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ٣/١٠٣ ـ ١١١ .

(٢) هو ابو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال ، من علماء الحديث اندلسي من أهل قرطبة ، له شرح صحيح البخاري ، توفي سنة (٤٤٩هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٣/٢٨٣ ، الاعلام ٥/٠٩٦ .

(٣) صحيح البخاري ٨/٢٥ ، وفيه : (للهِ علي نذرٌ ألاّ اكلّمَ ابن الزبير ابداً) .

(٤) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (ابن التين) ، وهو خطأ .

وهو موافقٌ للروايةِ الأخرى : (لله عليَّ [٤٨و] نذرٌ إن كلمتهُ)(١) ، فالنذرُ معلَّقٌ على كلامه ، لأنَّها نذرتْ تركَ كلامه ، وجعلت الترك قربةً تلتزمُ بالنذرِ ، وقصتُها في ذلكَ أنَّها رأتْ أنَّ ابن الزُّبير قد إرتكبَ أمراً عظيماً ، حيثُ قالَ : (أمَا والله لتنتهينَّ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها عن بيعِ رباعِها أو لأحجرنَّ عليها)(٢) . وكانتْ لا تمسكُ شيئاً ممَّا جاءَها من رزقِ الله ، بل تتصدَّقُ به ، فرأتْ أنَّ في قولهِ ذلكَ جرأةً عليها وتنقيصاً لقدرِها ، بنسبتِها الى إرتكابِ التبذيرِ الموجبِ لمنعِها من التَّصرُّف مَعَ كونِها أُمَّ المؤمنينَ وخالتَهُ أُختَ أُمهِ ، ولم يكُنْ أحدٌ عندها في منزلتهِ ، فرأتْ أنَّ ذلكَ منهُ نوع عقوقٍ ، فجعلتْ مجازاتهُ تَركَ مكالمتهِ ، كما نهَى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ المسلمينَ عن كلامِهم كعبَ بن مالك وصاحبيهِ عقوبةً لهم على تخلُّفهم عن غزوةِ تبوك بغيرِ عذرٍ ، ولَم يمنعْ مِن كلامٍ من تخلَّفَ مِن المنافقينَ مواخذةً للثلاثةِ ، لعظيمِ منزلتهِم ، وازدراءً بالمنافقينَ لحقارتهم ، وقد صدرَ من كثيرٍ من السَّلفِ إختيارُ تركِ مكالمةِ بعضِهم بعضاً مع علمهم بالنهي عن المهاجرةِ

---

(١) صحيح البخاري ٨/٢٥ .

(٢) صحيح البخاري ٨/٢٥ وفيه : (ان عبدالله بن الزبير قال في بيع او عطاء اعطته عائشة : والله لتنتهينَّ عائشة أو لاحجرنَّ عليها) .

لمصالح رأوهَا • فقــد قالَ الكمال(1) الدميري : رأيْتُ بخطِّ ابن الصَّلاح(2) أنَّ سعدَ بن أبي وقاص هاجرَ عمّارَ ابن ياسر حتَّى ماتَ ، وأنَّ عائشــةَ كانَتْ مُهاجرةً لحفصةَ رَضْيَ اللهُ عنهما، وعثمانُ هَجَرَ عبدالرَّحمن ابن عوف الى أنْ ماتَ رَضِيَ اللهُ عنهُما ، وطاوُوس(3) هاجرَ وهبَ بن منبــه الى انْ ماتــا ، وكذلكَ الحسنُ وابن سيرين(4) ، وهجرَ سعيد(5) بــن المسيَّب أباهُ فلم

(1) هو ابو البقــاء محمد بن موســى بن عيســى بن علي الــدميري ، كمال الدين ، اسرته من اهل دميرة في مصر ، ولد في القاهرة سنة (742هـ) ، ونشأ يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم ، وكانت له حلقة بالازهر ، توفي سنة (808هـ) •
ترجمته في مفتاح السعادة 186/1 ، كشف الظنون 696 ، الاعــلام 340/7 •

(2) هو الامــام المحــدث الحــافظ أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمــن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، توفي سنة (643هـ) •

(3) هو ابو عبدالرحمن طاووس بن كيسان الخولاني بالولاء ، ولد في اليمن سنة (33هـ) ، وكان من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية للحديث وتقشفاً في العيش ، توفي سنة (106هـ) في مكة بالمزدلفة •
ترجمته في حلية الاولياء 3/4 ، تهــذيب التهذيب 8/5 ، الاعــلام 322/3 •

(4) هو ابو بكر محمد بن سيرين البصري الانصاري بالولاء ، ولــد في البصرة سنة (33هـ) ، نشأ بزازاً في اذنــه صمم ، وتفقــه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفي في البصرة ســنة (110هـ) • ترجمته في تهذيب التهذيب 214/9 ، حليــة الاوليــاء 263/2 ، تاريخ بغداد 331/5 ، الاعلام 25/7 •

(5) هو ابو محمد سعيد بن المسيب بن حَزْن بن ابي وهب المخزومي القرشي : سيد التابعين واحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بــين الحديث والفقه والزهر والورع ، وكان كأبيه يعيش بتجارة الزيت ، ولا يقبل العطاء ، توفي في المدينة سنة (94هـ) • ترجمته في حليــة الاولياء 161/2 ، صفة الصفوة 44/2 ، الاعلام 155/3 •

يكلمْــهُ الى أنْ مــاتَ ، وكانَ أبــوهُ زيَّاتاً ، وكــانَ الثَّوري يتعلَّمُ مــن ابن أبي ليلى ، ثم هجرهُ ، ومــاتَ ابنُ أبي ليلى ، ولم يشــهدِ الثَّوري [٤٨ظ] جنازتَهُ إنتهى .

ولمَّا امتنعَ اللَّيثُ[١] بن سعد من قبــولِ القضــاءِ حينَ ولاَّهُ أبو جعفر المنصور ، فاستشارهُ في رَجُــلٍ يولِّيه ، فأشارَ بعثمان بن الحكم الجذامي ، فلمَّا بلَغهُ ذلــكَ عاهــدَ اللهَ أنْ لا يكلــمَ اللَّيث أبــداً ، ذكــرهُ البيهقي .

وفي الفروعِ للعلاَّمةِ ابن مفلح[٢] مــن الحنابلة أنَّ الامامَ أحمد بن حنبل هجرَ أولادَهُ ، وعمَّــهُ ، وابــن عمهِ لما أخذُوا جائزةَ السلطانِ ، قالَ القاضــي : وهــو يقتضي جواز الهجرِ بأخــذِ الشبهَةِ ، وإنَّما أجازهَ ، لأنَّ الصحابةَ رَضِــيَ اللهُ عَنهم هجرُوا بِمَا في معناهُ ، كهجرِ ابن مسعود من ضحكَ في جنازةٍ ، وحذيفة بشدِّ الخيــطِ للخمي ، وعمر رَضِــيَ اللهُ عنــهُ أمرَ بهجــرِ

---

(١) هو ابو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي بالــولاء ، امام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، ولد في قلقشندة سنة (٩٤هـ)، قال الامام الشافعي فيه : الليث افقه من مالك ، توفي في القــاهرة سنة (١٧٥هـ) ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٠ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٨٢ ، تاريخ بغداد ١٣/ ٣ .

(٢) هو ابو عبدالله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، شمس الدين المقدسي ، اعلم أهل عصره بمذهب ابن حنبل ، ولد في بيت المقدس سنة (٧٠٨هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٧٦٣هـ) ، من تصانيفه كتاب الفروع في الفقه ، ترجمته في الدرر الكامنة ٤/ ٢٦١ ، الاعلام ٧/ ٣٢٧.

ضُبَيع بسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنّازعات ، وقالَ الخلاّل : كانَ أحمد يُوسعُ على من أخذَ جائزةَ السلطان لحاجته ، فلمّا أخذوها مع الاستغناء هجرهم ثم كلّمهم ، وهو عندي على غير قطع المصارمة ، لأنّهم وإنْ استغنوا فلهم حجةٌ قويةٌ انتهى .

وفي مسند الدارمي عن خراش بن جبير قالَ : (رأيتُ في المسجد فتىً يحذفُ ، فقالَ لهُ شيخٌ : لا تحذفْ فإنّي سمعتُ النّبيَّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم ينهى[1] عن الحذف ، فغفلَ الفتى وظنَّ أنَّ الشّيخَ لا يفطنُ لهُ ، فحذفَ ، فقالَ[2] الشيخُ : أُحدّثُكَ أَنّي سمعتُ النّبيَّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ ينهى عن الحذف ثم تحذفُ ، والله لا أَشهدُ لكَ جنازةً ولا أَعودكَ في مرضٍ ، ولا أكلمكَ أبداً)[3] . ثم روى الدارمي أنَّ عبدَالله بن مغفل رَضيَ اللهُ عنهُ : (رأى رجلاً من أصحابه يحذفُ فقالَ : لا تحذفْ فإنَّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ كانَ ينهى عن الحذف ، وكانَ يكرههُ ، وانّهُ لا يُنكا به عدوٌّ ، [٤٩و] ولا يُصادُ به صيدٌ ، ولكنّهُ قد يفقأُ العينَ ويكسرُ السّنَّ . ثُمَّ رآهُ[4] بَعْدَ ذلكَ يَحذفُ ، فقالَ[5] : ألم أُخبرْكَ أنَّ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه

---

(١) كذا في النسخ المخطوطة وفي سنن الدارمي : (نهى) .
(٢) في سنن الدارمي : (قال له الشيخ) .
(٣) سنن الدارمي ١/٩٦ .
(٤) كذا في الأصل ، وفي ب ، م : نراُ ، وهو تحريف .
(٥) في سنن الدارمي : (فقال له) .

وآلـــهِ وسلَّمَ كانَ ينهَى ، ثم أراكَ تَحـذفُ ؟ واللهِ لا أُكلِّمكَ أبداً)(١) .

وقَـد أخرجهُ الشيخانِ بنحوهِ ، وروى الدارمي أيضاً (أنَّ ابن سيرين حدَّثَ رجلاً بحديثٍ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، فقالَ الرجلُ : قالَ فلانٌ كذا وكذا . فقالَ ابن سيرين : أُحدِّثُكَ عَـنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وتقـولُ : قالَ فلانٌ ، لا أكلِّمُكَ أبداً)(٢) .

وأخرجَ البيهقي عن عطا بن يسار : (إنَّ معاويـةَ بن أبي سفيان باعَ سقايةً من ذهبٍ ، أو ورقٍ بأكثرِ من وزنـها ، فقالَ لهُ أبو الدرداء : سمعتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ نَهَى عن مثلِ هـذا إلاَّ مثلاً بمثلٍ . فقالَ لهُ معاويةُ : ما أرى بأساً . فقـالَ أبو الدرداء : مَنْ يعذرني مِنْ معاويـة ، أُخبرهُ عـن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسلَّمَ ، ويخبرني عن رأيهِ ، لا أُساكنكَ بأرضٍ أنتَ بـهـا)(٣) . قالَ البيهقي : قـالَ الشافِعي : فرأى أبـو الدرداء الحجـةَ

(١) سنن الدارمي ١/٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) سنن الدارمي ١/٩٧ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٨٠ ، وفيه : (ثم قدم أبو الدرداء على عمر فذكر له ذلك ، فكتب عمر رضي الله عنه الى معاوية الا يبيع ذلك الا مثلاً بمثل ووزناً بوزن) ، وهو بكامله في سنن الشافعي ص٢٤٠ .

تقومُ بخبرهِ ، ولمَّا لم يرَ معاويةُ ، فارقَ أبو الدرداء الأرضَ التي هو بها إعظاماً ، لأنَّهُ تركَ خبراً عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ٠

قالَ الشافعي : وأُخبِرْنَا أنَّ أبا سعيدٍ الخُدري لقيَ رجلاً فأخبرهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فخالفهُ ، فقالَ أبو سعيد : واللهِ لا آواني وإيَّاكَ سقفُ بيتٍ أبداً ٠ قالَ الشافعي : فرأَي أنْ أَضيفَ على الخبرِ أنْ لا يُقبلَ خبرهُ ٠ قلتُ : فهذا كلهُ هجرانٌ للهِ ولرسولهِ ، معَ أنَّ الهجرانَ يزولُ [٤٩ظ] عندَ مالك والشافعي والجمهور بمجرَّدِ السَّلامِ ، كما يشيرُ اليهِ قولهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (وخيرهما الذي يبدأ بالسَّلام)[١] ٠ ولذا قالَ النَّووي وغيرهُ من العلماءِ : إنَّ المبدعَ ومن اقترفَ ذنباً عظيماً ولم يتبْ منهُ ، لا يُسلَّمُ عليهم[٢] ، ولا يرَدُّ عليهم السَّلامُ ، وقالَ في شرحِ المهذبِ : (إنَّ في السَّلامِ على المبتدعِ والفاسقِ المجاهرِ بفسقهِ ، ومن إرتكبَ ذنباً عظيماً ، ولَمْ يتبْ منهُ وجهانِ حكاهما الرَّافعي أحدهما يُستَحبُّ ، لأنَّهُ مسلمٌ ، وأصحها لا يُستَحبُّ ، بل يُستَحبُّ أنْ لا يُسلَّمَ عليهِ ، وهذا مذهبُ ابن عمران والبُخاري صاحبَ الصحيح ، واحتجَّ البخاري في صحيحهِ بحديثِ

---

(١) الحديث في موطأ مالك ٢/٩٠٧ ، مسند الامام ابن حنبل ١/١٧٦ ، ١٨٣ ، صحيح مسلم ٨/٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، صحيح الترمذي ٨/١٨٠ ٠

(٢) ينظر شرح المهذب للنووي ٤/٤٦٨ ٠

كعب بن مالك[1] ، أي المتقدم في قصَّة تخلُّفه ، ثم قالَ البخاري وقالَ عبدُالله بن عمر : (لَا تُسلِّمُوا على شربةِ الخمرِ)[2] ، قالَ البخاري وغيره : ولا يُرَدُّ السَّلامُ على هؤلاءِ ، ودليله حديثُ كعبٍ فإنْ إضطرَّ الى السَّلامِ علَى الظَّلمة ، بأنْ دخلَ عليهم وخافَ ترتبَ مفسدةٍ في دينٍ ، أوْ دُنيا إنْ لم يُسلِّمْ عليهم سلَّمَ عليهم . قالَ ابنُ العربي : (وينوي حينئذٍ أنَّ السَّلامَ من أسماءِ الله تعالى ، ومعناهُ : اللهُ رقيبٌ عليكَ)[3] . انتهى كلامُ شرحِ المهذبِ .

وفي باب تركِ السَّلامِ على أهلِ الأهواءِ من مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ، عن عمَّارِ بن ياسر قالَ : (قدمتُ علَى أهلي وقدْ تَشقَّقَتْ يداي فَخَلَّقُوني بزعفران ، فغدوتُ علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عليه فَلَمْ يَرُدَّ عليَّ ، وقالَ : إذْهَبْ فاغْسِلْ عَنْكَ هذا)[4] . وقالَ المهلَّبُ : تركُ السَّلام علَى أهلِ المعاصي سُنَّةٌ ماضيةٌ ، وبهِ قالَ كثيرٌ من أهل العلمِ [٥٠و] في أهلِ البدعِ[5] .

(١) صحيح البخاري ٨/ ٧٠ .
(٢) صحيح البخاري ٨/ ٧٠ .
(٣) شرح المهذب ٤/ ٤٦٨ .
(٤) سنن أبي داود ٢/ ٣٩٨ ، وتكملة الحديث : (فذهبت فغسلته ، ثم جئتُ فسلمت عليه فردَّ عليَّ فرحب بي ، وقال : إنَّ الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمخ بالزعفران ولا الجنب) .
(٥) ينظر شرح المهذب ٤/ ٤٦٨ .

قلتُ : وهو محمولٌ على المتجاهرِ ببدعته كما قَيَّدَ به الفاسق في شرحِ المهذبِ كما أوضحناهُ في كتابِ طبٍّ الكلامِ بفوائدِ السَّلامِ ، وألحقَ بعض الحنفيةِ بذلكَ مـن تعاطى حوارمَ المروةِ ، قـالَ بـنُ دقيق[1] العيد : ويكونُ ذلكَ على سبيلِ التأديبِ لهم ، والتبري منهم ، أي لا لقصد مجرَّد الايذاءِ ، ولذا قالَ العلماءُ : إنَّهُ يجـوزُ أنْ نقـولَ للفاسقِ : أنْتَ فاسـقٌ ، أو مفسدٌ ، إذا كانَ يفسـدُ بينَ النَّاسِ ، وكـذا يقولهُ لغيرهِ في حضورهِ ، أو غيبتهِ ، بشرطِ قصد النصيحةِ لـهُ ولغيرهِ ببيانِ حالهِ ، أو قصد الزَّجرِ والرَّدعِ عن صنيعهِ ، ولا يقصدُ الوقيعـةَ والتعبيرَ ، ويُشترطُ هذا أيضاً في جميعِ المواضعِ التي تُبَاحُ فيها الغيبةُ ، بأنْ يتعيَّنَ طريقاً الى الوصولِ لغرضٍ صحيحٍ شرعيٍّ على ما بُسِطَ في محلهِ •

وعن معاوية بـن حيـدة قالَ : (خطبهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسَلَّمَ فقـالَ : حتَّى متَـى ترعونَ عـن ذكـرِ الفاجـرِ ؟ هتكوهُ حتَّى يُحـذرَهُ

---

(١) هو ابو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيـق العيـد ، ولد في مصر سنة (٦٢٥هـ) ، اكمل تعليمه في الاسكندرية ودمشق والقاهرة ، واصبح من كبار العلماء ، ولي القضاء في الديار المصرية واستمر الى أن تُوفيَ في مصر سـنة (٧٠٢هـ) • ترجمته في الدرر الكامنة ٤/٩١ ، مفتاح السعادة ٢/٢١٩، الطالع السعيد ص٣١٧ ، شذرات الذهب ٦/٥ ، الاعلام ٧/٨٧٣ •

النَّاسُ)[1] ، رواهُ الطَّبراني فـي الثلاثـةِ وإسـنادُ الأوسطِ والصَّغيرِ حسنٌ رجالُهُ موثوقونَ • وقـدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسَلَّمَ لأَبي ذرٍّ الغفاري رَضِيَ اللهُ عنهُ ، فِي قصَّتهِ المشهورةِ فِي الصَّحيحِ : (إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليةٌ)[2] • وقد بوَّبَ البُخاري لما يجوزُ من إغتيابِ أهلِ الفسادِ ، وأوردَ فيهِ حديثَ عائشة رَضِيَ اللهُ عنهـا : (انَّ رجـلاً إستأذنَ علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ فلمَّا رآهُ قالَ : بِئسَ أَخُو الْعَشَـيرةِ ، وبِئسَ ابنُ العشيرة • فلمَّا جلسَ تطلَّقَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ في وجههِ وانبسطَ • فلمَّا إنطلقَ الرجلُ قالتْ [٥٠ظ] لَهُ عائشة : يـا رسولَ اللهِ ، حينَ رأيتَ الرجلَ قلتَ لَهُ : كـذا وكذا ، ثُمَّ تطلَّقتَ فـي وجهه وانبسطتَ إليهِ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : يا عائشةُ متَى عهدتيني فحَّاشاً ؟ انَّ شرَّ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً يـومَ القيـامةِ مـن تركهُ النَّاسُ إتقـاءَ

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١/٢١٥ ، وفيه الحديث عن معمر بن بهز ابن حكيم عن ابيه عن جده •

(٢) الحديث في صحيح البخاري ١/١٤ ، ولفظهُ عن المعرور بن سويد قال : (لقيت ابا ذرّ بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة" ، فسألته عن ذلك ، فقال : اني سابَبتُ رجلاً فعيرته بأمهِ ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابا ذر عيرته بأمه إنّك امرؤٌ فيك جاهلية)•

شَرِّهِ)[1] ، فتبيَّنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ أوَّلاً أمرَ هذا الرَّجُلِ ، وتعريفَ النَّاسِ بحالهِ مِن بابِ النَّصيحةِ ، والشَّفقةِ علَى الأمةِ ، لئلا يَغترُّوا بِما سيقعُ لهُ من البشاشةِ ، فيحسنونَ قبيحَ حالهِ ، وقد جُبِلَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ على الكرمِ وحسنِ الخلُقِ يَجْبَهُهُ بالمكروهِ ، وتألفهُ بما أبداهُ من طلاقةِ وجههِ ، لتقتدي بهِ الأمةَ في إتقاءِ شرٍّ من هذا سبيلهُ ، وفي مداراتهِ للسلامَةِ من شرِّهِ وغائلته ، وفي تأليفهِ إنْ كانَ مِن أهلهِ مَع تبينِ حالهِ ، فكُلٌّ من إطَّلعَ من حالِ شخصٍ علَى شيءٍ ، وخشَى أنَّ غيرَهُ يغترُّ بجميلِ ظاهرهِ ، فعليهِ أنْ يطلعَ ذلكَ الغيرَ على ما يُحذَرُ من ذلكَ قاصداً نصيحتهُ ٠

وقالَ القرطبيُّ[2] في هذا الحديثِ : جوازُ غيبةِ المُعلنِ بالفسقِ والفحشِ ونحوِ ذلكَ مَع جوازِ مداراتهم إتقاءَ شرِّهم ما لم يُؤَدِ ذلكَ الى المداهنَةِ في دينِ اللهِ تعالى ، إنتهى ٠ وقالَ غيرُهُ : ما وقعَ منهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّمَ في حقِّ ذلكَ الرَّجُلِ مخضُ النَّصيحةِ ، ليَحذرَهُ السَّامِعُ ، وإنَّما لم

---

(1) الحديث في صحيح البخاري ٨/١٥ ، وفي صحيح الترمذي ٨/١٦٢ ، موطأ مالك ٢/٩٠٣ ، صحيح مسلم ٨/٢١ ، سنن ابي داود ٢/٥٥١، مسند ابن حنبل ٦/٣٨ ، ٨٠ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ٠ في كتب الحديث جميعها اختلاف في اللفظ ما عدا صحيح البخاري فانه موافق لرواية المصنف ٠

(2) سبقت ترجمته ٠

يواجهُ صلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسَلَّمَ القولَ فيـه بذلـكَ لحسنِ خُلُقه ، وَلو واجهَـهُ فـي ذلـكَ كانَ حسناً ، لـكن حصلَ القصدُ بدون مواجهة ، والمداراةُ مندوبٌ إليها بخلافِ المداهنة فانَّها محرَّمةٌ ، وليست المداراةُ مطلوبةً في كلِّ مقامٍ ، وَكلِّ حـالٍ ، بل حيثُ يكونُ لجلبِ نفعٍ [٥١و] ودفـعِ ضررٍ ، فرُبَّما كانَ المستعملُ لمـا بطُنَ مداراةً فـي غيرِ موضعـها مداهناً حيثُ لم يظهرْ منـهُ ما يـدلُّ على عدم الرضا بذلكَ[(١)] الحالِ ، ولذا قالَ ابنُ بطال[(٢)] : ظنَّ بعضُهم أنَّ المدارة هـي المداهنـةُ ، فغلطَ ، لأنَّ المداراةَ مندوبٌ إليهـا والمداهنةَ محرمةٌ ، والفرقُ إنَّ المداهنةَ من الدَّهانِ ، وهو الذي يظهرُ على الشيءِ ويسترُ باطنَهُ ، وفسَّرها العلماءُ : بأنَّهـا مُعاشَرةُ الفاسقِ ، وإظهـارُ الرضا بمَا هـو فيـهِ من غيرِ إنكارٍ عليـه ، والمداراةُ : هي الرَفقُ بالجاهلِ فـي التعليمِ ، وبالفاسقِ فـي النَّهي عن فعله ، وتركِ الاغلاظ عليه حيثُ لا يظهر مـا هـو عليه بلطفِ القولِ والفعلِ ، أيَ : في المحـلِّ الصَّالح لَـهُ اللَّطفُ ، سيما إذا دعت الحاجةُ الى تأليفه ، أوْ كانَ لا ينجحُ فيه إلاَّ مثـلُ ذلكَ ونحوه ، قالَ ابـنُ بطَّال : والرجلُ المذكورُ في حديثِ عائشةَ هو عيينةُ[(٣)] بـن حصين الفزاري ، وكـانَ يُقَـالُ لَـهُ (الأحمقَ

---

(١) لو قال (بتلك الحال) لكان اصح لأن الحال مؤنثة .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو عيينة بن حصن بن حذيفة الغزاري . ينظر المحبر ص٢٤٩ ، ٣٨٠ .

المطاعُ)[1] ، ورجا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم باقباله عليه تألفَــهُ ليسلمَ قومــهُ ، لأنَّــهُ كــانَ رئيسَهُم ، وكــذا فسَّرَهُ ابــنُ عيــاض ، ثم القرطبي والنَّووي جازمين[2] بذلكَ ، ونقــله ابــنُ البين عــن الداودي إحتمالاً لا جزماً .

قالَ الحافظُ ابن حجر : وقد أخرجهُ عبدالغني[3] بن سعيد في المبهماتِ من طريقِ عبدالحكم عن مالك انَّــهُ بلغــهُ عــن عائشــة رَضِيَ اللهُ عَنهــا أنَّها قالَتْ : (إستأذنَ عيينةُ بن حصين على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ فقالَ : بئسَ ابــنُ العشيرةِ الحديث) ، وأخرجهُ ابــنُ بشكوال[4] في المُبهَمات مِنْ طَريقِ الأوزاعي عن يحيى بــن أبي كثير أنَّ عيينــةَ إستأذنَ ، فذكرهُ مرسلاً ، وأخرج عبدالغني أيضاً من طريقِ أبي عامر الخزاعي عن أبي يزيد المدني عــن عائشــة قالَتْ :

---

(1) المحبر ص٣٨٠ .

(2) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٤٤ .

(3) هو ابو محمد عبدالغني بن سعيد الازدي ، شيخ حفاظ الحديث في مصر في عصره ، ولد في القاهرة سنة (٣٣٢هـ) ، كان عالما بالانساب، توفي في القاهرة سنة (٤٠٩هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٣٠٥ ، الاعــلام ٤/١٥٩ .

(4) هو ابو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن سشكوال الخزرجي الانصاري الاندلسي ، ولد في قرطبة سنة (٤٩٤هـ) درس فيها واصبح مؤرخاً وقاضياً حيث ولي القضاء في بعض جهات اشبيلية ، توفي في قرطبة سنة (٥٧٨هـ) .
ترجمته في الديباج المذهب ص١١٤ ، وفيــات الاعيــان ١/١٧٢ ، الاعــلام ٢/٣٥٩ .

(جاءَ مخرمةُ بن نوفل يستأذنُ ، فلمَّا سمعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ [٥١ظ] عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ صوتَهُ قال : بئسَ أخو العشيرة الحديث) .

قالَ الحافظُ ابنُ حجر عقبهُ : فيُحمَلُ ذلكَ علَى التعددِ ، وقد حكَى المنذري[1] في مختصرهِ القولينِ ، فقالَ : هو عيينةُ وقيلَ مخرمةُ ، وقالَ عياضُ[2] : (جرياً على كونهِ عيينة ، ولم يكن عيينة واللهُ أعلمُ أسلمَ حينئذٍ ، أو كانَ أسلمَ ولم يكن إسلامهُ ناصحاً ، وقد كانتْ منهُ في حياةِ النَّبيِّ صلَّى للهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ وبعدَهُ أمورٌ تدلُّ على ضعفِ إيمانهِ ، فيكونَ هذا الوصفُ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ منْ علاماتِ النبُّوة ، وإلانهُ القولِ بعدَ أنْ دخلَ على سبيلِ التألفِ لَهُ)[3] إنتهى .

---

(١) هو ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري ، عالم بالحديث والعربية ، وكان حافظاً ومؤرخاً ، من كتبه مختصر صحيح مسلم ، ومختصر سنن أبي داود ، توفي في مصر سنة (٦٥٦هـ) . البداية والنهاية ٢١٢/١٣ ، فوات الوفيات ٢٩٦/١ ، الاعلام ١٥٥/٤ .

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ، ولد في سبتة سنة (٤٧٦هـ) ، كان محدثاً واماماً وعالماً بكلام العرب وانسابهم ، ولي القضاء في سبتة ثم في غرناطة ، وتوفي في مراكش سنة (٥٤٤هـ) .
ترجمته في وفيات الاعيان ٣٩٢/١ ، مفتاح السعادة ١٩/٢ ، الاعلام ٢٨٢/٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٤/١٦ .

وقد جاء في روايةِ عبدالحارث بن اسامة ، فقال صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ : إنَّهُ منافقٌ أُداريه عن نفاقه ، وأخشى أنْ يُفْسِدَ عليَّ غيرَهُ • وقدْ كان عُيينةَ إرتدَّ في زمنِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، وحاربَ ثم رجعَ وأسلمَ[1] وحضرَ بعضَ[2] الفتوحَ في زمنِ عمر رَضِيَ اللهُ عنهُ ، ولهُ معَ عمر قصةٌ فيها ما يدلُّ على جفائهِ ، وحديثُ (إنَّهُ أحمقُ مُطاع)[3] أخرجهُ سعيد بن منصور منقطعاً ، ووصله الطبراني من حديث جرير •

وقالَ القرطبي ــ عقيب قولهِ فيما سبقَ ما لم يؤدِّ ذلكَ الى المداهنة في دينِ الله ــ والفَرقُ بينَ المداراةِ والمداهنةِ إنَّ المداراةَ بذلُ الدُّنيا لصلاحِ الدُّنيا والدِّين ، أو هما معاً ، وهي مباحةٌ ورُبَّما استُحِبَّتْ ، والمداهنةُ : تركُ الدِّين لصلاحِ الدُّنيا ، والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ بذلَ لهُ من دُنياهُ حسنَ عشرته[4] ، والرِفقَ في مكالمته ومَعَ ذلكَ فلَمْ يمدحْهُ بقولٍ ، فلمْ يناقضْ قولَهُ فيه فعلَهُ ، فإنَّ قولَهُ فيه قولُ حَقٍّ ، وفعلَهُ معهُ حسنُ عشرةٍ ، إنتهى • وقولهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ : (إتقاءَ شرِّهِ) أي قبيح كلامهِ ، أوْ فعالهِ ، لأنَّهُ [٥٢و] كانَ

---

(١) كذا في الاصل ، و (م) ، وفي (ب) : (فأسلم) •

(٢) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : (بعد) ، وهو تحريف •

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢/٣٤٥ ، وفيه : (هذا احمق متبع) •

(٤) في الاصل : (عشيرته) ، وهو تحريف •

من جفاةِ الأعرابِ الّذينَ ينفعُ في إتقاءِ ذلكَ منهم مثلُ ذلكَ ، فيوخذُ منه انَّ من لا تنجعُ[1] فيهِ المداراةُ لا تُستَعمَلُ معَهُ ، لأنّها لا تقي شَرَّهُ ، سيما إذا فُهِمَ من حالهِ أنّها تزيدُهُ إغراءً وطَمَعاً كَما هُوَ مستقرٌّ من أحوالِ بعضِ ذوي اللؤمِ ، فما كُلُّ جانٍ يُعْذَرُ ولا كُلُّ ذنبٍ يُغْفَرُ ، وللهِ درُّ أبي الطّيب[2] حيثُ يقولُ[3] :

إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ
وإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللّئيمَ تَمَرَّدا

وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَى
مُضرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَا

واللاّئِقُ بالعلماءِ وغيرِهِم من أهلِ البيتِ الكرامِ في مثلِ هذا النَّوعِ مِنَ النّاسِ الاعراضُ عنهم وتجنّبُهم . قالَ اللهُ تعالى : (ثُمَّ ذَرْهُمْ في

---

(1) في (ب) : (تنفع) ، وما اثبتناه احسن .

(2) هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي الشاعر المشهور ، ولد في الكوفة سنة (٣٠٣هـ) ، وتنقل بالبادية لمعرفة اللغة والادب وسافر الى الشام وفلسطين ومصر ، وقتل في العراق سنة (٤٥٤هـ) . ترجمته في ابن خلكان ١/٣٦ ، لسان الميزان ١/١٥٩ ، تاريخ بغداد ٤/١٠٢ .

(3) البيتان في شرح ديوان المتنبي ص٥٣٣ .

خُوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[1] ، وقد جرَّبْتُ هذا النَّوع مِنَ النَّاسِ ، حيثُ لم أحترسْ منهم بكمالِ التَّوقِّي والاجتنابِ تكرَّرَ لي الأذى منهم ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)[2] ، رواهُ البخاري ومسلم . قالَ النَّووي في شرحِ مسلم في هذا الحديث : (إنَّهُ ينبغي لمَنْ نالهُ الضَّررُ من جهةٍ أنْ يجتنبَها لئلا يقعَ فيها ثانيةً)[3] ، إنتهى .

وقالَ أبو عبيدة[4] : معناهُ لا ينبغي للمؤمنِ إذا نُكِبَ من وجهةٍ أنْ يعودَ إليه ، وهذا ما فهمهُ أكثرُ العلَماءِ من الحديثِ ، ومنهم الزُّهري ، قيلَ والمرادُ بالمؤمنِ في هذا الحديث : الكاملُ الذي قدْ وقَّفتهُ[5] معرفتهُ على غوامضِ الأمورِ حتَّى صارَ حازماً يحذرُ ممَّا سيقعُ فلا يُؤتَى من ناحيةِ الغفلةِ ، وأمَّا المؤمنُ المغفلُ فقد يُلْدَغُ مراراً .

---

(1) سورة الانعام الآية : ٩١ .

(2) الحديث في صحيح مسلم ٨/٢٢٧ ، مسند ابن حنبل ٢/١١٥ ، سنن أبي داود ٢/٥٦٥ ، سنن ابن ماجة ٢/١٣١٨ .

(3) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/١٢٥ .

(4) هو ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي ، ولد في البصرة سنة (١١٠هـ) ، وتوفي فيها سنة (٢٠٩هـ) .
ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/٢٥٢ ، مفتاح السعادة ١/٩٣ ، الاعلام ٨/١٩١ .

(5) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (أوقفته) .

قالَ ابن بطّال : فيه أدبٌ شريفٌ أَدَّبَ بِهِ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ أُمَّتَهُ ونبَّهَهُم كيفَ يحذرونَ [٥٢ظ] ممَّا يخافونَ سوءَ عاقبتهِ ، وفي معناهُ حديثُ : (المؤمنُ كيِّسٌ حَذِرٌ)[١] ، أخرجهُ صاحبُ مسند الفردوس .

وقولهُ : (لا يُلْدَغُ المؤمنُ الحديثُ) ممَّا لَمْ يُسبَقْ إليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ ، وأوَّلُ ما قالَهُ لأبي غرة الجمحي[٢] ، وكانَ شاعراً[٣] فأُسِرَ ببدرٍ فشكَى للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ عائلةً وفقراً ، فمنَّ صلى الله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وأطلقهُ بغيرِ فداءٍ ، وأخذَ عليهِ أنْ لاَ يُظاهِنَ عليهِ أحداً ، ولا يهجوهُ ، فلمَّا كانَ عندَ مسيرِ كفَّارِ قريشٍ لغزوةِ أُحُد قالَ لهُ صفوانُ[٤] بنُ أُميةَ : إنَّكَ إمْرُءٌ شاعِرٌ ، فأعنَّا بلسانكَ ولم يزلْ بهِ حتَّى خرجَ معهم ، فلمَّا أخذهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ حينَ خرجَ لحمراءِ الأَسد مرهباً لعدوِّهِ مرجعَهُ مِنْ أُحُد ، قالَ : يا رسولَ اللهِ أَقلني ، وذكرَ فقرَهُ

---

(١) المغير على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص٩٨ ، عن أنس .

(٢) في (ب) : (أبي عروة) ، وهو خطأ .

(٣) جمهرة الامثال للعسكري ٣٨٧/٢ ، ذُكرت القصة والحديث عن أبي هريرة ، وذكرها النووي بشكل موجز في شرح صحيح مسلم ١٢٥/٨ .

(٤) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي ، كان مع المشركين في غزوة بدر ، واسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد اليرموك ، ومات بمكة سنة (٤١هـ) ، ترجمته في المحبر ص١٤٠ ، تهذيب التهذيب ٤٢٤/٤ ، الاعلام ٢٩٦/٣ .

وعيالَه . فقالَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ : (لا يُلدَغُ المؤمنُ من جحرٍ مرتينِ) اضربْ عنقَه يا عاصمُ بن ثابت ، فضربَ عنقَه . وفي روايةٍ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (لا تمسحْ عارضيكَ بمكةَ تقولُ : خدعتُ محمداً مرتينِ)[1] اضربْ عنقَه يا زبيرُ ، فضربَ عنقَه . فيؤخذُ منه تقويةُ ما سبقَ عن الأكثرِ في معنى الحديث إلاَّ ما قالَ بعضهُم : من أنَّ معناه أنَّ المؤمنَ لا يُعاقَبُ على ذنبٍ في الدُّنيا ، ثم يُعاقَبُ عليه في الآخرةِ ، ويُؤخَذُ منهُ أيضاً أنَّ الغادرَ لا ينبغي أنْ يُستعملَ معَهُ الحلمُ ، بل يُنتقَمُ منهُ ، فالحلمُ ليسَ محموداً مطلقاً ، وفيهِ تحذيرٌ من التَّغفُّلِ ، وإشارةٌ الى إستعمالِ الفطنةِ ، ولذا جاءَ في حديثٍ : (إحترسُوا من النَّاسِ بسوءِ الظنِّ)[2] ، أخرجهُ الطَّبراني في الأوسط ، وأخرجهما في فوائده بسند فيه ضعيف [٥٣و] أيضاً ، قد صحَّ من قولِ مطرف التَّابعي الكبيرِ . ولعلَّ المرادَ منهُ أنْ يحترسَ من النَّاسِ إحتراسَ مَن أساءَ الظنَّ بهم ليسلمَ منهم ، وقد أخرجَ تمامُ[3] في فوائده أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً : (مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بالنَّاسِ

---

(١) جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري ٢/٣٨٨ .

(٢) **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٣/١ ، وفيه عن مطرف .**

(٣) هو ابو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر البجلي الرازي ، من حفاظ الحديث ، كان محدث دمشق في عصره ، له كتاب الفوائد ، يتكون من ثلاثين جزءاً في الحديث ، توفي سنة (٤١٤هـ) .
ترجمته في شذرات الذهب ٣/٢٠٠ ، كشف الظنون ١٢٩٦ .

كَثُرَتْ نَدامَتُهُ) · ولأبي الشيخ والدَّيْلَمي عَنْ عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ مِنْ قولِهِ : (الحزمُ سوءُ الظَّنِّ)[1] · ونظمَ بعضُهم هذا فقالَ[2] :

لا يَكُنْ ظَنُّكَ إلاَّ سَيِّئاً
إنَّ سوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقوَى الفِطَنْ

مَا رَمَى الأَنفُسَ فِي مَكْرُوهِهِ
أَسَفاً أَقوَى مِنَ الظَّنِّ الحسَنْ

وكلهُ محمولٌ على ما أشرنا إليهِ ، مَعَ أنَّ إساءَةَ الظَّنِّ بأهلِ الشَّرِّ والفجورِ جائزةٌ · فقد قالَ الكمالُ الدميري في شرحِ المنهاج : الظَّنُّ في الشَّرعِ ينقسمُ الى : واجبٍ ، ومندوبٍ ، وحرامٍ ، ومباحٍ · فالواجبُ : حسنُ الظَّنِّ باللهِ عزَّ وجلَّ ، والحرامُ : سوءُ الظَّنِّ بهِ سبحانهُ ، قالَ تعالى : (وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ)[3] ، وبكلٍّ من ظاهرهِ العدالةُ من المسلمينَ ، وعلى هذا يُحمَلُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (إيَّاكُمْ والظَّنَّ فأنَّ الظَّنَّ

---

(1) الحديث في عقود الجمان في عدم صحبة ابناء الزمان ورقة ٢ظ ·

(2) البيتان في كتاب الف ليلة وليلة ٣١٣/١ ، عقود الجمان في عدم صحبة ابناء الزمان ٢ظ ·

(3) سورة فصلت الآية : ٢٣ ·

أَكْذَبُ الْحَدِيثِ)[1] ، أي الظَّنَّ بالمسلمِ مِن غيرِ سببٍ ، والمندوبُ حسنُ الظَّنِّ بِمَنْ ظاهرهُ العدالةُ من المسلمينَ ، والجائزُ كقولِ الصدِّيقِ لعائشة رضي اللهُ عنهما : إنَّما هو أَخواكِ وأُختاكِ ، فاستجازَ الظنَّ لمَّا وقعَ في قلبه انَّ ما في بطنِ[2] إمرأته أُنثَى ، ومن هـذا القسمِ الظَّنُّ بمن إشتهر بينَ النَّاسِ بمخالطةِ الرِّيبِ والمجاهرِ بالخبائثِ ، فلا يُحرَمُ ظَنُّ السوءِ[3] بِهِ ، لأَنَّهُ قد دلَّ على نفسهِ ، فمن سترَ على نفسهِ لَمَ يُظَنَّ بِهِ إلاَّ خيراً ، ومَنْ دخلَ مداخلَ السوءِ إتُّهِمَ ، ومن هتكَ نفسهُ [٥٣ظ] ظَننَّا بهِ السُّوءِ إنتهى .

وروى التَّرمذي بأثرِ حديثِ : (إيَّاكُمْ والظَّنَّ فانَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ)[4] . عن سفيان أنَّهُ قالَ : (الظَّنُّ ظَنَّانِ : فَظَنٌّ إثْمٌ ، وظَنٌّ لَيْسَ باثْمٍ ، فأمَّا الظَّنُّ الَّذي هُوَ إثْمٌ ، فالَّذي يَظُنُّ ظَنَّاً وَيَتَكَلَّمُ به ، وأمَّا الظَّنُّ الذي لَيْسَ باِثْمٍ ، فالَّذي يَظُنُّ ولا يَتَكَلَّمُ بِهِ)[5] إنتهى .

---

(١) الحديث ورد في موطأ مالك ٢/٩٠٨ ، صحيح الترمذي ٨/١٥٦ ، سنن ابي داود ٢/٥٧٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٢٠ .

(٢) كذا في (ب) ، وفي الاصل ، (م) : (ان ذا يظن) ، وليس له معنى .

(٣) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (سوء الظن) .

(٤) صحيح الترمذي ٨/١٥٦ .

(٥) صحيح الترمذي ٨/١٥٦ .

قُلْتُ : وليُحمَلُ ما ذكرَهُ في الظَّنِّ الجائزِ على ما إذا تعاطَى المَظْنُونَ بهِ ما يقتضي إساءةَ الظَّنِّ به . ولهذا قالَ القرطبي في الحديث المذكورِ : الظَّنُّ هُنَا هو[1] التُّهْمَةُ ، ومحملُ التَّحذيرِ والنَّهي إنَّما هو تُهمةٌ لا سببَ لَها يوجبُها ، كمن يُتَّهمُ بالفاحشةِ ولم يظهرْ عليه ما يقتضي ذلكَ ، إنتهى . وصوَّبَ النَّووي قولَ الخطَّابي[2] انّ المرادَ : (وإيَّاكُمْ وسوءَ الظَّنِّ) ، وتحقيقهُ دونَ مبادىء الظُّنُونِ الَّتي لا تُملَكُ ، قالَ : (فالمحرَّمُ مِنَ الظَّنِّ ما يُصرُّ صاحبُهُ عليهِ ، ويستمرُّ في قلبهِ دونَ ما يعرضُ في القلبِ ولا يَستقِرُّ)[3] ، إنتهى .

وقولهُ : (ما يصرُّ صاحبهُ عليهِ)[4] ، يعني مِنَ الظَّنِّ الذي ما يستندُ الى ما يقتضي جوازهُ ، فأمَّا من ظهرَ خبثهُ وسوءُ طويته ، فا نَّا نظنُّ بهِ ما هو أهلُهُ ، فيُحذَرُ منهُ بكمالِ الحذرِ ، وبالجملةِ فهذا زمانُ العزلةِ والبُعْدِ عَنِ النَّاسِ لفسادِ حالِهم وعظيمِ مفسدةِ الخلطةِ بهم . وقَد روَى بعضُهم عَنْ أبي ذَرٍّ الغفاري رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (كانَ

---

(١) (هو) : ساقطة من (ب) .

(٢) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي ، من نسل زيد بن الخطاب ، محدث أهل بست وفقيههم ، ولد سنة ٣١٩ ، وتوفي سنة (٣٨٨هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/١٦٦ ، انباه الرواة ١/١٢٥ ، الاعلام ٢/٣٠٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١١٩ .

(٤) أي قول الخطابي .

النَّاسُ ورقاً لا شوكَ فيهِ ، فصارُوا اليومَ شوكاً لا ورقَ فيهِ)[1] .

قُلْتُ : فهذا زمانُ أبي ذرٍّ ، فما ذاكَ بزمانِنا وبأشرارهِ ، وقد روَى سبط[2] بن الجوزي في فضلِ أهلِ البيتِ النَّبويِّ بسنده الى سفيان الثَّوري قالَ : قلتُ لجعفرٍ [٥٤و] ـ يعني الصَّادقَ بن محمد الباقر ـ : يا بنَ رسولِ الله ، إعتزلتَ النَّاسَ ؟ فقالَ : (يا سفيانُ ، فَسَدَ الزَّمانُ وتغيَّرَ الاخوانَ ، فرأيتُ الانفرادَ أسكنَ للفؤادِ ، ثم قالَ :

ذَهَبَ الوفاءُ ذهابَ أَمسِ الذَّاهبِ
فالنَّاسُ بَيْنَ مُخاتِلٍ ومُوَاربِ

يَفْشُونَ بَيْنَهُمُ المُوَدَّةِ والصَّفا
وقلُوبهُمْ مَحْشُوَّةٍ بِعَقَاربِ)[3]

---

(١) الكلام لأبي الدرداء كما ذكر ذلك الزمخشري في ربيع الابرار ١٨٥/٢ .

(٢) هو سبط شمس الدين ، ابو المظفر يوسف بن قز أو غلو حفيد عبدالرحمن بن علي الجوزي من جهة أمه ، كان أبوه مملوكاً تركياً للوزير ابن هبيرة ، ولد في بغداد سنة (٥٨٢هـ) ، وتعلم فيها ، وأصبح كاتباً ومدرساً درّس في دمشق ، توفي سنة (٦٤٤هـ) ، انظر دائرة المعارف الاسلامية ١٢٦/١ .

(٣) الكلام والبيتان ذكرهما ابن الجوزي بنفس السند في كتابه تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة ص١٩٥ ، والبيتان منسوبان للامام علي في ديوانه ص٩ .

وقالَ أبو بكرٍ بن المرزبانِ[1] في كِتابةِ (فضلُ الكلابِ على كثيرٍ ممَّنْ لبسَ الثيابَ) : أَخبرنا أبو العباسَ المبرِّد[2] قالَ : حدَّثني بعضُ مشايخنا قالَ : كُنْتُ عندَ بشرٍ[3] بن الحارث يوماً ، فرأيتُهُ مغموماً يتكلَّمُ حتَّى غربتِ الشمسُ ثم قرعَ رأسَهُ وقالَ[4]:

ذَهَبَ الرِّجَالُ المقتدَى بفعالهِمْ
والمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ

وَبَقَيْتُ في خَلَفٍ يزينُ بعضُهُم
بَعْضاً لِيَدْفَعَ معورٌ عَنْ معورِ

---

(١) هو ابو الحسن علي بن احمد بن المرزبان البغدادي ، كان فقيهاً من جلة علماء الشافعية درّس في بغداد ، وتوفي سنة (٣٦٦هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ١١/٣٢٥ ، شذرات الذهب ٣/٥٦ ، كشف الظنون ص١٢٧٩ .

(٢) هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبدالاكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد ، ولد في البصرة سنة (١٢٠هـ) ، وكان اماماً بالعربية، وأحد رجال الأدب والأخبار في زمانه ، توفي في بغداد سنة (٢٨٦هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٤٩٥ ، تاريخ بغداد ٣/٣٨٠ ، لسان الميزان ٥/٣٠ .

(٣) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المعروف بالحافي ، مرت ترجمته.

(٤) البيتان لأبي الاسود الدؤلي في ديوانه ص٣٨ ، ووردا في حلية الاولياء ٨/٣٤٤ ، معجم الادباء ٢/٣٨ ، الكشكول لبهاء الدين العاملي ١/١٩٤ .

قالَ ابن المرزبان : وأنشدني زيد بن علي[1] :

إحْــذَرْ مُــوَدَّةَ مَــاذِقٍ
خَلَــطَ المَــرارَةَ بِالْحَــلاوَهْ

يَحْصِــي الْذُّنُــوبَ عَلَيْــكَ
أَيَّــامَ الصَّــدَاقَةِ لِلْعَدَاوَهْ

قُلْتُ : وقريبٌ منهُ قولُ بعضِهم في صديقهِ[2] :

وَصَــاحِبٍ خِلْتُــهُ خَلِيــلاً
وَمَــا جَــرَى غَــدْرُهُ بِبَالِي

لــم يَحْصَ إلاَّ القَبيــحَ منِّــي
كَأَنَّــهُ كَاتِــبُ الشِّــمالِ

وهــو عكسُ صديقِ محيي الدِّين بــن ســراقة[3] الذي يقولُ فيهِ[4] :

وَصَــاحِبٍ كالــزّلالِ اقــرا
صَفَاوةَ الشَّــكِ باليَقِــينْ

(1) البيتان في عيون الاخبار ١٠٧/٣ ، لم يذكر اسم الشاعر ، وفيه (مكان) خلطَ ، (شابَ) .

(2) البيتان لمحمد بن سراقة الشاطبي . كما ذكر صاحب كتاب نفح الطيب ٣٥٣/١ .

(3) هو محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم ابو بكر محيي الدين الانصاري الشاطبي المعروفة بابن سراقة ، كان شيخاً لدار الحديث بالكاملية بالقاهرة ، توفي سنة (٦٦٢هـ) . ترجمته في البداية والنهاية ٢٤٣/١٣ ، النجوم الزاهرة ٢١٦/٧ ، شذرات الذهب ٣١٠/٥ .

(4) البيتان في نفح الطيب ٣٥٣/١ منسوبان لابن سراقة نفسه .

[٥٤ظ] لَمْ يَحْصَ إلاَّ الجميلَ منِّي
كَأَنَّـهُ كَاتِـبُ اليَمِـينْ

قُلْتُ : وأحوالُ أهلِ زمانِنا أعجبُ مِنَ الأوّلِ ، فليتهم يقتصرونَ على إحصاء ما صدرَ من الانسانِ ، بل يختلِقُونَ غيرَ ما كانَ فيهم ، كما قالَ بعضُهم[1] :

إنْ يَسْمَعُوا الخيرِ يَخْفُوهُ وإنْ سَمِعُوا
شَـرّاً أذاعُوا وإنْ لَـمْ يَسْمَعُوا كذبُوا

فالمناسبُ الانْقِبَاضُ وجمعُ الخاطرِ عن هؤلاءِ ، وتجنُّبُهم بحسبِ القدرةِ ، ورفعُ الهِمَّةِ عنهُم وعَنْ دُنياهم ليتحرَّزَ من رقِّهِمْ ، فاعزازُ العِلْمِ متعيِّنٌ ، وإنَّما يعزُّ أهلُهُ إذا أعزُّوهُ . وقد روَى ابن ماجة عن ابن عمر موقوفاً : (لَـوْ أَنَّ أهْـلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ وَوَضَعُوهُ عِنْـدَ أَهْـلِهِ لَسَـادُوا بِـهِ أَهْـلَ زَمَانِهِمِ)[2] . وروى البيهقي عن ابن مسعود : (لَـو أنَّ أهلَ العِلمِ صانُوا العِلمَ ووضعوهُ عنـدَ أهلهِ سادُوا به أهلَ أيمانهم ، أوْ قالَ : أهلَ زمانهم ، ولكن بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِـنْ دُنْيَاهُمْ ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَـا ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسَلَّمَ يقولُ : مَنْ جَعَـلَ الْهَمَّ

---

(١) البيت ذكر في كتاب المستطرف ١/٨٦ ، ولم يُذكر له قائل .

(٢) ذكر ابن ماجة الحديث عن ابن مسعود ، ولفظه : (لو أن أهل العلم صانوا العلم ، ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم) . سنن ابن ماجة ١/٩٥ .

واحداً همَّ آخرَتِهِ ، كَفَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ما أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنياهَ ، ومَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ مِنْ أحوالِ الدُّنيا لَمْ يُبالِ اللهُ في أَيِّ أَوديتِها هلكَ)[1] .

ولله درُّ الامام العلامة القاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني حيثُ يَقولُ فيما أنبأنا بِهِ الأخوان القاضي[2] أبو الفضل محمد ، وأُمُّ محمد كمالية أبناء العلامة نجم الدِّين محمد بن أبي بكر الأنصاري ، وغيرهما عن البرهان بن صديق الدمشقي عن أحمد بن أبي طالب الديرمقرني عن أبي جعفر بن علي الهمداني عن الحافظ أبي طاهر السلفي عن الامام أبي [٥٥و] القاسم محمود الزَّمخشري ، قالَ : أنشدنا أحمد بن

(١) الحديث تكملة للحديث السابق ذكره ابن ماجة في سننه ١/٩٥ ، وفيه اختلاف في اللفظ عما ذكره المصنف ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٩ .

(٢) في معيد النعم ومبيد النقم ص٦٩ قال : (أنشدنا الحافظ ابو العباس بن المظفر الاشعري بقراءتي عليه ، قال : أنشدنا الحسن بن علي أبي بكر محمد بن الخلال بقراءتي عليه ، قال : أنشدنا جعفر الهمداني سماعاً ، قال : أنشدنا أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن يحيى العثماني الديباجي الامام ، قال : كتب اليّ العلامة أبو القاسم محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري من مكة ، وأجازني حينئذٍ ، وكتب التّي احمد بن علي الحنبلي وزينب بنت الكمال وفاطمة بنت أبي عمر عن محمد بن عبدالهادي عن الحافظ أبي طاهر السّلفي عن الزمخشري قال أنشدنا أحمد بن محمد بن اسحاق الخوارزمي ، قال : أنشدنا أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي ، قال : أنشد الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن قال : أنشدنا القاضي ابو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني لنفسه) :

محمد بن إسحاق الخوارزمي ، قالَ : أنشدنا أبو سعيد المحسن بن محمد الجُشَمِي قالَ : أنْشدَنا الحاكمْ أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن ، قالَ : أنشدنا القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني لنفسهِ [1] :

يقولُونَ لِي : فِيكَ انقباضٌ وإنَّما
رأوا رَجُلاً عَنْ مَوْقفِ الذُلِّ أَحْجَما

أَرَى النَّاسَ مَنْ داناهُم هَانَ عِندَهُم
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عزةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا

وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِي يَسْتَفِزُّني
وَلاَ كُلُّ مَنْ لاقيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

وَإنِّي إذَا مَا خَانَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبتْ
أُقلِّبُ كَفِّي اثرَهُ مُتَندِّمَا

وَلَمْ أَقْضِ حقَّ العِلمِ إنْ كانَ كُلَّما
بَدَا طَمَعٌ صيَّرتهُ لِيَ سُلَّمَا

إذَا قِيلَ : هذا مَنْهَلٌ قلتُ : قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

(١) القصيدة ذكرها العلامة السبكي في كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص٦٩ ـ ٧٠ .

وَلَمْ أَبْتَذِلْ في خدمةِ الْعِلمِ مُهْجَتي
لأَخْدُمَ مَنْ لاقيْتُ لكِنْ لأُخدَما

أأشقَى بِهِ غَرْسَاً وأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إذاً فاتِّبَاعُ الجَّهْلِ قَدْ كانَ أَحْزَمَا

وَلَوْ أَنَّ أهْلَ العِلمِ صَانُوهُ صَانهم
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فـي النِّفُوسِ لعُظِّمَا

وَلَكِنْ أَذَلُوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا
مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

قالَ العلامةُ ابنُ التَّقي السَّبْكِي عقبَ إيرادهِ لهذهِ الأبياتِ في كتابهِ (مُعِيدُ النِّعم ومُبيد النِّقم) : لقد صدقَ هذا القائلُ لو عظَّمُوا العلمَ لعظَّمهم ، قالَ : وأَنا أَقرأُ قولَهُ (لعَظَّما) بفتحِ العينِ ، فانَّ العلمَ إذا عُظِّمَ عَظَّمَ ، وهو في نفسه عظيمٌ ، ولهذا أقولُ : ولكن أهانُوهُ فهانُوا ، ولكنَّ الروايةَ فهانَ ولعُظِّمَا بضمِّ العينِ ، والأَحسَنُ ما أشرْتُ إليهِ ، قالَ : وقد نحى شيخُ الاسلامِ [٥٥ظ] تقي الدِّين بن دقيق العيد نحوَ هذهِ الأبياتِ فقالَ(١) :

يقولُونَ لي : هَلاَّ نهضتَ إلي العُلاَ
فَمَا لَذَّ عَيشُ الصَّابرِ المتقنِّعِ

---

(١) ينظر كلام السبكي والقصيدة في معيد النعم ومبيد النقم ص٧٠ ٠

وَهَـلاَّ شَـدَدْتَ العيسَ حَتَّى تُحلَّها
بِمِصْرَ إلى ظِلِّ الجَنَابِ المُرَفَّعِ

فَفِيهَا مِنَ الأعيانِ مَنْ فيض كَفِّهِ
إذا شَاءَ رَوَّى سَيْلُهُ كُلَّ بلقعِ

وَفِيهَا قُضَاةٌ لَيْسَ يخفَى عَلَيْهِمُ
تعيُّنُ كَونُ العِلمِ غيرَ مُضيَّعِ

وَفِيهَا شيوخُ الدِّينِ والفضلِ والأُولى
تَشِيرُ إليهم بِالعُلاَ كُلُّ إصْبعِ

وَفِيهَا وَفِيهَا والمُقَامةُ[1] ذِلَّةٌ
فَقُمْ وأسعَ وأقصدْ بابَ رزقِكَ وقْرَعِ

فَقُلْتُ : نعم أسْعَى إذا شئْتُ أنْ أُرَى
ذَلِيلاً مُهَاناً مُسْتَخِفّاً بِمَوْضِعِ[2]

وَأَسْعَى إذا مَا لَذَّ لي طُولُ موقفِي
عَلَى بابِ مَحْجُوبِ اللِّقَاءِ مُمَنَّعِ

وَأَسْعَى إذا كَانَ النِّفَاقُ طَرِيقَتِي
أَرُوحُ وَأَغْدُو فِي ثِيابِ التَّصَنُّعِ

---

(١) في معيد النعم ومبيد النقم : (والمهنة) مكان (والمقامة) .
(٢) في معيد النعم ومبيد النقم : (بموضعي) مكان (بموضعِ) .

وأَسْعَى إذا لَـــمْ تَبْـقَ فـيَّ بقيَّـةٌ
أُراعِـي بِهـا حَـقَّ التُّقَى وَالتَّـوَرُّعِ

فَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الصُّدورِ مَجَالِسٌ
تَشِبُّ لَهَا[1] نَارُ الغَضَى بينَ أَضْلُعِي

وَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ العُلُومِ وَأَهْلِهَـا
إذا بَحَثُوا فـي المُشْكِلاَتِ بِمَجْمَـعِ

مناظـرةٌ تَحْمِـي النُّفُوسَ فَتَنْتَهِـي
وَقَدْ شَرَعُوا فيهَا إلـى شَرٍّ مَشْرَعِ

مِنَ السَّفَهِ المُزْرِي بِمَنْصَبِ أَهْلِهِ
أو الصمتِ عَنْ حَقٍّ هُنَـاكَ مُضَيَّـعِ

فإِمَّـا تُوَفِّي مَسْلَكَ الدِّينِ والتُّقَى
وَإِمَّـا تَلَقِّـي غُصَّـةَ المُتَجَـرِّعِ

قُلْتُ : الحزمُ إجتنابُ مَا يفضِي الى كُلٍّ مِنْ هذينِ المسلكينِ ، وإلاَّ فتجرُّعُ الغُصَّةَ أسْهَلُ المراتبِ من توقي مسلكَ الدِّين والتُّقَى ، لأنَّ مصيبةَ النَّفسِ أسهلُ مِنْ مصيبـةِ الدِّين أعاذنا اللهُ منهما بمنّهِ ، وإنَّما أَوجبَ هذا غلبَةُ [٥٦و] الجهلِ والهوَى

---

(١) في معيد النعم ومبيد النقم : (بها) مكان (لها) .

على أهلِ المناصبِ ، ومن شعرِ شيخِ الاسلامِ تقي الدّين بن دقيق العيد أيضاً[1] :

أَهْلُ المَناصِبِ فـي الدُّنْيَـا ورفعتِها
أَهْلُ الفضـائِلِ مَرْذُولُونَ عِنْدَهُمْ

فَلَيْتَنَـا لَـوْ قـدرنـا أَنْ نعرّفَهُـم
مقدارَهُمْ عِنْدَنا أَوْ لَوْ دَروهُ هُمُ !

لَهُمْ مريحَـانِ مِنْ جَهْلٍ وفرطِ غنىً
وَعِنْدَنا المتعبـانِ : العِـلمُ والعَـدَمُ

وناقضهُ الفتحُ الثّقفي وأجادَ فقالَ[2] :

إنّ المراتِـبَ فـي الدُّنْيَـا ورفعتَهـا
عِنْدَ الّذي حازَ عِلْماً لَيْسَ عِنْدَهَمُ

---

(١) هذه الابيات الثلاثة ذكرها السبكي ضمن خمسة أبيات ترك منها المصنف الثاني والثالث وهما في معيد النعم ومبيد النقم ص١٥٤ .

قد أنزلونـا لأنّا غيرُ جنسهم ... منازلَ الوحش فيالاهمال عندهم
فما لهم في توخّي ضرنـا نظرُ ... ولا لهـم في ترقي قدنـا هِمَمُ

(٢) وهذه الأبيات أيضاً ذكرها السبكي في معيد النعم ص١٥٥ ضمن خمسة ابيات ترك المصنف منها البيت الثالث والرابع وهما :

هم الوحوش ونحن الانس حكمتنـا ... تقودهم حيث ما شـئنا وهم نعمُ
وليس شيء" سوى الاهمال يقطعنا ... عنهم فانّهم وجـدانهم عـدمُ

لا شَــكَّ أنَّ لَنــا قَــدَراً رأوهُ وَمَــا
لِقَدْرِهِمُ عِنْدَنا قَــدْرٌ ولاَ لَهُــمُ

لَنَــا المُرِيحَانِ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ عَدَمٍ
وَفِيهمُ المُتْعِبانِ : الجَهْــلُ والحَشَمَ

ولله درُّ القائِلِ :

وَكُلُّ ذي خَطَرٍ فــي النَّاسِ مُحْتَقَرٌ
عِنْدِي إذا لَمْ يَكُنْ لِي عِنْدَهُ خَطَرُ

وملاكُ هذا الأمرِ علوُّ الهمَّــةِ وعَــدمُ التدنُّسِ بالأطماعِ ، ولزومُ القَناعةِ ، فالحرُّ عبــدٌ إنْ طمــعَ ، والعبدُ حرٌّ إنْ قنعَ ، ولله درُّ القائِلِ[1] :

قَنِّعِ النَّفْسَ بِالقَليلِ وَإلاَّ
طَلَبتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يكفِيهَا

وعَنْ عَليٍّ رَضِــيَ اللهُ عَنْهُ فــي قوله تعــالى : (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)[2] قالَ : القَناعــةُ ، وعن سعيد[3] بن جبير قالَ : لا يحوجُهُ الى أحدٍ ، وقالَ

(١) البيت الثاني في أربعة أبيات منسوبة للامام علي ، ولفظُه في ديوانه ص٧١ :

(٢) سورة النحل الآية : ٩٧ .
(٣) هو ابو عبدالله سعيد بن جبير الاسدي بالولاء الكوفي التابعي ، كان عالماً وزاهداً ، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ) ، ترجمته في طبقات ابن سعد ١٧١/٦ ، حلية الاولياء ٢٧٢/٤ ، الاعلام ١٤٥/٣ .

بشرُ بن الحارث : لو لم يكُنْ في القنوعِ إلاّ التمتعُ بالعزِّ لكفى صاحبَه ، وكانَ من دعائِه صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (اللهمَّ قنّعني بما رزقتني وباركْ لي فيه) • وقالَ إمامُنا الشافعي فيما رواه البيهقي : (مَنْ غلبتْ عليه الشهوةُ[1] لِحُبِّ الدنيا لزمتهُ [٥٦ظ] العبوديَّةُ لأهلِها ، ومن رَضِيَ بالقُنُوعِ ، زالَ عنهُ الخضوعُ)[2] ، وما أحسنَ قولَهُ ! قدَّسَ اللهُ روحَهُ[3] :

أمتُّ مطامعي وأرحتُ نفسي
فإنَّ النفسَ ما طمعتْ تهونُ

وأحييتُ القنوعَ وكانَ ميْتاً
ففي إحيائِهِ عِرْضٌ مصونُ

إذا طمعٌ يحلُّ بقلبِ عبدٍ
علتْهُ مهانةٌ وعلاهُ هوْنُ

---

(١) في مناقب الشافعي : (شدة الشهوة) •

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٧٠ •

(٣) الابيات في ديوان الامام الشافعي ص١٧٤ •

وَمِمَّا يُروَى عَنْ جَعْفَرِ الصَّادقِ قَدَّسَ اللهُ روحَهُ قالَ(1) :

لا تَخْضَعَنَّ لمخلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
فإنَّ ذلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ في الدِّينِ

واسْتَغْنِ باللهِ عَنْ دُنيا الملوكِ كما
اسْتَغْنَى الملوكُ بدنياهم عن الدِّينِ

واسْتَرْزِقِ اللهَ مِمَّا في خَزَائِنِهِ
فإنَّ ذلِكَ بينَ الكَافِ والنُّونِ

ورويَ الحافظُ أبو بكرِ الخطيبِ عن شيخهِ الامام أبي الحسن النعيمي قالَ(2) :

إذا أظْمَأتْكَ أَكُفُّ اللِّئامِ
كَفَتْكَ القَنَاعَةُ شبعاً وريَّا

وَكُنْ رَجُلاً رِجله في الثَّرا
وَهَامَةُ همَّتهِ في الثُّرَيَّا

---

(1) عيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري ٣/١٨٨ ، لم يذكر القائل ، وفيه : (لا تضرعن) ، مكان (لا تخضض) ، و (رزقاً من خزائنه) مكان (مما في خزائنه) .

(2) لم اتمكن من معرفة هذه الابيات في المصادر التي اطلعت عيلها .

أَبيّاً لنَائِلِ ذي ثَرْوَةٍ
تَرَاهُ بِمَا في يَدَيْهِ أَبيّا

فَإِنَّ إراقَةَ ماءِ الحَياةِ
دُونَ إراقَةِ ماءِ المُحَيَّا

وقالَ الاستاذ أبو القاسم[1] القُشيْري رحمَهُ اللهُ تعالى :

إذا شِئْتَ أَنْ تَحْيَى حَياةً هَنِئَةً
فَنَقٍّ مِنَ الأَطْمَاعِ ثَوْبَكَ واقْنَعِ

وَإنْ شِئْتَ عَيْشاً لا يُفَارِقُ ذُلَّةً
فَعَلِّقْ بِمَخْلُوقٍ فُؤادَكَ وَاطْمَعِ

وَللهِ درُّ القائِلِ[2] :

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ أَيَّ عِزٍّ
وَلاَ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ القَنَاعَهْ

[٥٧و] فخُذْ منها لِنَفسكَ رَأْسَ مَالٍ
وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهْ

تَحُزْ حَالَينِ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ
وَتَظْفرْ بِالجِّنَانِ بِصَبْرِ سَاعَهْ

---

(١) لم اجد هذين البيتين في الرسالة القشيرية ، ولا في غيرها .
(٢) ذكر الهاشمي البيت الاول من الابيات في كتابه جواهر الادب ولم ينسبه لقائل معين ٢/٤٨٦ .

في آدابِ العلماءِ والمتعلمينَ منهم والآخذين عنهم

وقد لخصتهُ من كتابِ الجَّامعِ للخطيبِ أبي بكرٍ البغدادي ، ومن مقدمةِ شرحِ المُهَذَّبِ للامامِ النَّووي ، ومن تذكرةِ السَّامعِ والمتكلِّمِ في آدابِ العالمِ والمتعلِّمِ لصاحبهِ العلامةَ البدر بن جماعة ، ورُبَّما تبعتُ غالباً الثالثَ[1] في ترتيبهِ وتعبيرهِ ، معَ زيادةِ نفائسٍ ، فضمَّنتهُ سبعةَ فصولٍ :

الفصلُ الأوَّلُ[2] في آدابِ العالمِ في نفسهِ .

وفيهِ إثنا عشرَ نوعاً :

الأول : أن يقصُدَ العالمُ بعلمهِ وجهَ اللهِ تعالى ، ولا يقصدُ بهِ توصُّلاً الى غرضٍ دنيوي ، كتحصيلِ مالٍ ، أَوْ جاهٍ أَوْ شهرةٍ ، أَوْ سمعةٍ ، أَوْ تمييزٍ علَى الأَقرانِ ، ونحو ذلكَ ، ولا يشينُ علمَهُ بشيءٍ مِنَ الطَّمَعِ في رفقٍ[3] يحصلُ لهُ من مشتغلٍ عليهِ

---

(1) يبدو أن المصنف في هذا الباب اعتمدَ فيه على كتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، وأخذ منه اكثر ما في هذا الفصل ، وقد تابعه فيه وذكرت ما أخذه في بداية كل نوع من الانواع ، اما كتاب الجامع للخطيب البغدادي وشرح المهذب للنووي فكان يعتمد عليهما في مجال الاستشهاد .

(2) الفصل والعنوان من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥ .

(3) كذا في جميع النسخ ، ومن المحتمل ان تكون الكلمة (رزقٍ) .

بمالٍ ، أو خدمةٍ ، أو نحوِهما ، وإنْ قَلَّ وإنْ كانَ علَى صورةِ الهديةِ الَّتي لولا إشتغالهُ عليهِ لما أهداها إليهِ .

وكانَ منصور"[1] لا يستعينُ بأحدٍ يختلفُ إليهِ في حاجته [2] . وقالَ سفيانُ بن عيينة : (كُنتُ قد أوتيتُ فِهْمَ القرآنِ ، فلمَّا قبلتُ الصُّرَّةَ مِنْ أبي جعفرٍ سُلِبتهُ)[3] ، نسألُ اللهَ المسامحةَ ، وينبغي لَهُ أنْ يصحِّحَ نيَّتَهُ عِنْدَ الشُّروعِ في كلٍّ ما يُفيدهُ .

قالَ أبو مُزاحم الخاقاني : (قيلَ لأبي الأحوصِ حدِّثْنَا . فقالَ : ليستْ لي نيَّة" . فقالوا لَهُ : إنَّكَ تؤجَرُ . فقالَ :

يمنُونَنِي الخيرَ الكثيرَ ولَيْتَني
نجوْتُ كفافاً لا علَيَّ ولا لِيَا)[4]

[٥٧ظ] وقد قالَ لي شيخُنا شيخُ الاسلامِ الشَّرفُ المناوي تغمدهُ اللهُ برحمتهِ : إنَّهُ كلَّما خرج الى الدَّرسِ ، يقف بدهليزهِ حتَّى تحصلَ النيَّةُ ثم يحضرُ ، وقد صَحَّ عن إمامنا الشَّافعي رحمهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : (وددتُ أنَّ الخلقَ تعلَّمُوا هذا العِلمَ علَى أنْ لا يُنْسَبَ إليَّ حرف" منهُ)[5] . وقالَ رحمهُ اللهُ :

---

(١) هو منصور بن عمار ، وكنيته أبو السَّريّ ، وهو من أهل مرو كان زاهداً عابداً صوفياً له كرامات ، ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/٧١ ، حلية اولياء ٦/٣٢٥ ، الرسالة القشيرية ص١٨ .

(٢) الجامع ٢/١٤ .

(٣) الجامع ٢/١٣ .

(٤) الجامع ١/٢٤٥ ، محاضرات ادلاباء ٤/٧١٢ .

(٥) شرح المهذب ١/٤٦ ، مناقب الشافعي ٢/١٦٠ .

(ما ناظرتُ أحداً قطُّ على الغلبةِ ، ووددتُ إذا ناظرتُ أحداً أنْ يظهرَ الحقُّ على يديهِ)[1] . وقالَ : ما كلَّمْتُ أحداً قطُّ إلاَّ وددتُ أنْ يُوفَّقَ ويُسدَّدَ ويُعَانَ ويكونَ عليهِ رعايةٌ من اللهِ وحفظٌ)[2] . وعن أبي يوسف رحمهُ اللهُ قالَ : (يا قومُ أريدُوا بعلمكُم اللهَ ، فانِّي لم أجلسْ مجلساً قط أنوي فيه أنْ أعلوَهم إلاَّ لم أقُمْ حتَّى أفتضحَ)[3] .

الثاني[4] : دوامُ مراقبةِ اللهِ تعالى في السِّرِ والعلانيةِ ، والمحافظةُ علَى خوفهِ في جميعِ حركاتهِ وسكناتهِ وأقوالهِ وأفعاله ، فانَّهُ أمينٌ علَى مَا أُودِعَ منَ العلومِ ، وما مُنِحَ مَن الحواسِّ والفهومِ . قالَ تعالى : (لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[5] . وقالَ تعالى : (بِمَا اُسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)[6] . وقالَ الشَّافعي : (ليسَ العلمُ ما حُفظَ ، العلمُ مَا نَفَعَ)[7] . وعليهِ بدَوامِ السَّكينَةِ والوقارِ والخشُوعِ والورعِ والتواضعِ والخضوعِ .

---

(1) شرح التهذيب ١/٤٦ .
(2) شرح التهذيب ١/٤٧ .
(3) شرح التهذيب ١/٤٧ .
(4) النوع الثاني جميعه اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم للبدر بن جماعة ص١٥ ـ ١٦ .
(5) سورة الانفال الآية : ٢٧ .
(6) سورة المائدة الآية : ٤٤ .
(7) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٤٩ .

ومما كتب مالك[1] الى الرشيد رحمهما الله : (إذا علمت علماً فليرَ عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وحلمه ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « العلماء ورثة الأنبياء »)[2] . وقال عمر رضي الله عنه : (تعلموا العلم ، وتعلموا له السكينة والوقار)[3] .

وعن أبي هريرة مرفوعاً : [٥٨و] (تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة وتواضعوا لمن تعلمون منه)[4] ، رواه الطبراني في الأوسط . وعن السلف رحمهم الله : (حق على العالم أن يتواضع لله في سره وعلانيته ، ويحترس من نفسه ، ويقف بما أشكل عليه)[5] .

الثالث[6] : أن يصون العلم كما صانه علماء السلف ، ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف ، فلا يدنسه بالأطماع ، ولا يذله بذهابه ومشيه الى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة ، أو حاجة أكيدة ، ولا الى من يتعلمه منه منهم وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه .

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص١٥ .

(٢) شرح المهذب ٣٣/١ ، تذكرة السامع والمتكلم ص٥ .

(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٩، تذكرة السامع والمتكلم ص١٦ .

(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٣، ٦٩، زوائد المعجمين ١٨/١ .

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص١٦ .

(٦) **الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦ـ١٨ ، ومن** الجامع للخطيب البغدادي ٨/٢ـ٩ .

قالَ الزُهري : (هوانٌ بالعلمِ أنْ يحملَهُ العالمُ الى بيتِ المتعلِّمِ)[1] • وقالَ مالكُ بن أنس للمهدي وقد إستدعاهُ لولديه يسمعهما : (العلمُ أَوْلَى أنْ يوقرَ ويؤتَى)[2] • وفي روايةٍ : (العلمُ يُزارُ ولا يزورُ ، ويُؤتَى ولا يأتي)[3] •

وفي روايةٍ : (أدركتُ أهلَ العلمِ يُوتَونَ ولا يأتونَ) ، ويُروَى عنه أيضاً أنَّهُ قالَ : دخلتُ علَى هارون الرَّشيد ، فقالَ : يا أبا عبد الله ينبغي أنْ تختلفَ إلينا حتَّى يسمعَ صبيانُنَا منكَ الموطأ • قالَ : فقلتُ أعزَّ اللهُ أميرَ المؤمنينَ : إنَّ هذا العلم منكم خرجَ ، فانْ أنتم أعززتموهُ عَزَّ ، وإنْ أنتم أذللتموهُ ذلَّ ، والعلمُ يُؤتَى ولا يأتي • فقالَ : صدقتَ ، أُخرجُوا الى المَسجد حتَّى تَسمَعوا مَعَ النَّاسِ • ويُروَى إنَّ الرَّشيدَ سألهُ : هَلْ لَكَ دارٌ ؟ فقالَ : لا • فأعطاهُ ثلاثةَ[4] آلاف دينار ، وقالَ : إشترِ بها داراً • فأخذَها ولم يُنفقْهَا ، فلمَّا أرادَ الرَّشيدُ الشخُوصَ الى العراقِ قالَ لمالك : ينبغي لكَ أنْ تخرجَ معنا فانِّي عزمتُ أَنْ أحملَ النَّاسَ علَى

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي ٢/١٥ ،

(٢) الجامع ٢/١٥ •

(٣) الجامع ٢/١٥ وفيه (يؤتى ولا يأتي) •

(٤) في تذكرة السامع والمتكلم حاشية ص٢١١ ، وفيه الذي أعطاه الدنانير هو الخليفة المهدي ، وطلب منه القدوم الى بغداد ، فذكر الحديث : (المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون) والمال عندي على حاله •

الموَطا[1] كما حملَ عثمان النَّاسَ علَى القرآنِ • فقالَ لهُ : أمَّا حملُ النَّاس علَى الموَطا ، فليسَ الى [٥٨ظ] ذلكَ سبيلٌ ، لأنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلــهِ وسلَّمَ إفترقوا بعــدَهُ في الأمصارِ ، فحدَّثُوا فعندَ أَهلِ كلِّ مصرٍ علمٌ ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليــه وآلهِ وسلَّمَ : [إختلافُ أُمَّتِي رحمةٌ ، وأمَّا الخروجُ معكَ فلا سبيلَ إليه][2] • قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلــهِ وسلَّمَ : (المدينــةُ خيرٌ لهم لو كانُوا يعلمونَ)[3] • وقالَ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ : (المدينةُ يُنفَى خبيثُها كمــا ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ)[4] ، وهــذهِ دنانيركُم كمــا هــي إنْ شــئتم فخذوها ، وإنْ شــئتم فدعوها ، يعني : أنَّــكَ إنَّمــا حملتني علَى مُفــارقةِ المدينةِ بمــا اصطنعتَ لديَّ ، فلا أُوثرُ الدُّنيــا عَلَى الأُخرَى •

وأخرجَ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ عن مقاتلِ بن صالح صاحب الحميدي ، قالَ : (دخلْتُ علَى حمَّاد[5]

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٧ ، وفيه نسب هــذا الكلام للمنصور العباسي •

(٢) ما بين المعقوفين : زيادة من (م) ، (ب) ، وهي ســاقطة من الاصل بسبب انتقال النظر •

(٣) موطأ مالك ٢/٨٨٨ ، مسند ابن حنبل ٢/٣٠٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، ٤٠٣ ، ٤٣٩ •

(٤) موطأ مالك ٢/٨٨٧ ، مسند الامام ابن حنبل ٢/٢٣٧ ، ٢٤٧ ، وفي سنن النسائي مع اختلاف في الالفاظ ٧/١٣٥ •

(٥) هو حماد بن سلمة بن دينار البقري الربعي بالولاء ، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث فيها ، كان حافظاً ثقــة مأمونــاً ، توفي ســنة (١٦٧هـ) •

ابن سلمة ، فبينما أَنا عندَهُ ، إذْ دقَّ رسولُ محمد بن سليمان[1] ، فدخلَ فسلَّمَ ، وناولهُ كتابَهُ ، فقالَ : إقرأهُ ، فاذا فيهِ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم من محمد بن سليمان الى حمَّاد بن سلمة ، أمَّا بعدُ فصبَّحكَ اللهُ بما صبَّحَ بهِ أولياءَهُ وأهلَ طاعتهِ ، وقعتْ مسألةٌ فانَّا نسألُكَ عنها ، فقالَ لي : إقلبِ الكتابَ واكتبْ أمَّا بعدُ وأنْتَ فصبَّحكَ اللهُ بما صبَّحَ بهِ أولياءَهُ وأهلَ طاعتهِ ، إنَّا أدركنا العلماءَ وهم لا يأتونَ أحداً ، فانْ وقعتْ مسألةٌ فآتنا فاسألنا عمَّا بدا لكَ ، وإنْ أتيتَني فلا تأتني إلاَّ وحدَكَ ، ولا تأتني بخيلكَ ورجلكَ ، ولا أنصحكَ ولا أنصحُ نفسي والسَّلام ، فبينما أنا عندَهُ جالسُ إذْ دقَّ داقٌ البابِ ، فقالَ : يا صبيَّةُ أُخرجي فانظُري من هذا ؟ قالتْ : هذا محمد بن سليمان ، قالَ : قولي لَهُ : يدخلُ وحدَهُ ، فدخلَ فسلَّمَ وجلسَ بينَ يديهِ ، ثم إبتدأَ فقالَ : ما لي إذا نظرتُ إليكَ إمتلأْتُ رَعباً ؟ فقالَ حمَّاد : سمعتُ ثابتاً البناني[2] يقولُ : سمعْتُ [٥٩و] أنس بن مالك

ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/١١ ، ميزان الاعتدال ، حلية الاولياء ٦/٢٤٩ .

(١) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، أمير البصرة ، وليها في عهد الخليفة العباسي المهدي ، وعُزلَ سنة (١٦٤هـ) ، وارجعه الرشيد سنة (١٧٢هـ) ، وتوفي في البصرة سنة (١٧٣هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد ٥/٢٩١ ، المحبر ص٦١ ، ٣٠٥ .

(٢) هو ثابت بن اسلم البُناني كان حافظاً ومحدثاً ثقة كبير القدر توفي سنة (١٢٧هـ) .
ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/٢ ، ميزان الاعتدال ١/٣٦٢ .

يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يقولُ : (إنَّ العالِمَ إذا أرادَ بعلمه وجهَ اللهِ تعالى هابهُ كلُّ شيءٍ ، وإذا أرادَ أنْ يكثرَ بهِ الكنوزَ هابَ مِنْ كلِّ شيءٍ)[1] . فقالَ : ما تقولُ يرحمُكَ اللهُ ، وذكرَ مسألتَهُ وجوابَها ، ثم قالَ : وحاجةٌ إليكَ ، قالَ : هاتِ ما لم تكُنْ رزيَّةً في الدِّينِ ، قالَ : أربعينَ ألفَ درهمٍ ، تأخذُها تستعينُ بها على ما أنتَ عليه ، قالَ : أرددها على من ظلمتهُ بها ، قالَ : واللهِ ما أعطيكَ إلاَّ ما ورثته ، قالَ : لا حاجة لي فيها أزوها عنِّي زوَى اللهُ عنكَ أوزارَكَ ، قالَ : فغيرُ هذا ؟ قالَ : هاتِ ما لم تكُنْ رزيَّةً في دينٍ . قالَ : تأخذها فتقسمها . قالَ : فلعلِّي إنْ عدلْتُ في قسمتها أنْ يقولَ بعضُ من لم يُرزَقْ منها : إنَّهُ لم يعدلْ في قسْمَتها فيأْثمُ أزوَها عنِّي زوَى اللهُ عنْكَ أوزارَكَ)[2] .

وسيأتي في الفصلِ الخامسِ مَا اتَّفقَ لبعضِ أولادِ الخليفةِ المهدي معَ شريك ، وأخبارُ السَّلَف في هذا البابِ كثيرةٌ شهيرةٌ ، (فإنْ دعتْ حاجةٌ أوْ ضرورةٌ الى شيءٍ من ذلكَ أو إقتضتهُ مصلحةٌ دينيةٌ راجحةٌ على مفسدة بذله ، وحسُنتْ فيه نيَّةٌ صالحةٌ فلا بأسَ بهِ ، وعلَى هذا يُحمَلُ ما جاءَ عن بعضِ

(١) نقله البغدادي عن مسند الفردوس للديلمي انظر الحاشية في الجامع ص٩ .

(٢) النص نقله المصنف من الجامع ٢/٨-٩ .

السَّلَفِ من المشي الى الملوكِ وولاةِ الأمرِ ، كالزُّهري والشَّافعي وغيرهما ، لا أنَّهم قصدوا بذلك فضول الأَعراضِ الدُّنيويَّةِ ، وكذلكَ إذا كانَ المأْتي إليهِ من العلمِ والزُّهدِ في المنزلةِ العليَّةِ والمحلِ الرَّفيعِ ، فلا بأسَ في الترددِ إليهِ ، لافادته ، فقد كانَ سفيانُ الثَّوري يمشي الى إبراهيم[1] بن أدهم ، ويفيدهُ ، وكانَ أبو عُبَيد[2] يمشي الى علي[3] بن المديني يُسمعهُ غريبَ الحديثِ)[4] ٠

---

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم ، من أهل بلخ ، وهو من أبناء الملوك والمياسير ، خرج متصيداً فهتف به هاتف ، فترك الدنيا ، ورجع الى طريقة الزهد ، وصحب سفيان الثوري ، ودخل الشام ، وأخذ يعمل ويأكل من عمل يده ، توفي سنة (١٦١هـ) في الشام ٠ ترجمته في حلية الاوليا ٧/٣٦٧ ، شذرات الذهب ١/٢٥٥ ، الرسالة القشيرية ص٨ ٠

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي الازدي الخزاعي بالولاء ، اصله من هراة ولد فيها سنة (١٥٧هـ) وتعلم فيها ورحل الى بغداد فكان من كبار علماء الحديث والادب والفقه ، ولي القضاء بطرطوس ، وذهب الى الحج وتوفي في البيت الحرام سنة (٢٢٤هـ) ٠

ترجمته في تاريخ بغداد ١٢/٤٠٣ ، تهذيب التهذيب ٧/٣١٥ ، الاعلام ٦/١٠ ٠

(٣) هو ابو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر السعدي بالولاء ، المديني البصري ولد بالبصرة سنة (١٦١هـ) وتعلم فيها ، واصبح محدثاً ومؤرخاً وحافظاً ، توفي في سامراء سنة (٢٣٤هـ) ٠

ترجمته في البداية والنهاية ١٠/٢٢٧ ، شذرات الذهب ١/٣٤٢ ، النجوم الزاهرة ٢/١٤٧ ، الاعلام ٥/١١٨ ٠

(٤) النص الذي بين القوسين اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧ ـ ٨ ٠

الرابع[1] : أنْ يتخَّقَ بما حَثَ الشَّرعُ عليهِ مِنَ الزُّهدِ في الدُّنيا والتقللِ منها بقدرِ الامكانِ ، فانَّ ما [٥٩ظ] يحتاجُ إليهِ منها على الوجهِ المعتدلِ من القناعةِ لا يُعَدُّ من الدُّنيا ، وأقلُّ درجاتِ العالِمِ أنْ يستقذرَ التعلُّقَ بالدُّنيا ولا يبالي بفواتِها ، لأنَّهُ أعلمُ النَّاسِ بخسَّتِهَا وفتنتِهَا وسرعةِ زوالِها ، وكثرةِ عنائِها ، وقلَّةِ غنائِها .

وعن الشَّافعيِ رحمهُ اللهُ : (لو أُوصِيَ لأعقلِ النَّاسِ صُرِفَ الى الزُّهادِ)[2] . فمن أحَقُّ مِنَ العُلماءِ بزيادةِ العقلِ وكمالِه ؟ وقالَ يحيى[3] بن معاذ : لو كانتِ الدُّنيا تبراً يفنَى ، والآخرةُ خزفاً يبقَى ، لكانَ ينبغي للعاقلِ إيثارَ الخزفِ الباقِي علَى التبرِ الفاني ، فكيفَ والدُّنيا خزفٌ فانٍ والآخرةُ تبرٌ باقٍ ، وعليهِ بالسخاءِ والجودِ علَى حسبِ الموجودِ .

الخامسُ[4] : أنْ يتنزَّهَ عن دنيِ المكاسبِ ورذيلِها طبعاً ، وعن مكروهِها عادةً وشرعاً ، كالحجامةِ ، والدباغةِ ، والصرفِ ، والصيانةِ ، ويتجنَّبَ مواضعَ

---

(١) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٨ .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٨٣ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، من الزهاد المشهورين في وقته ، أصله من أهل الري ، وأقام ببلخ ، ومات في نيسابور سنة (٢٥٨هـ)، ترجمته في صفة الصفوة ٤/٧١، الرسالة القشيرية ص١٦.

(٤) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٩ـ٢٠.

التهم ، وإنْ بَعُدَتْ ، ولا يفعلُ شيئاً يتضمنُ نقصَ مروءةٍ ، أَوْ ما يُستَنكرُ ظاهراً ، وإنْ كانَ جائزاً باطناً ، فانَّهُ يعرضُ نفسَهُ للتهمةِ ، وعِرضَهُ للوقيعةِ ، ويوقعُ النَّاسَ في الظنون المكروهةِ وإثمِ[1] الوقيعةِ ، فانْ اتَّفقَ وقوعُ شيءٍ من ذلكَ منهُ لحاجةٍ أو نحوها أخبرَ من شاهدَهُ بحكمه وبعذرهِ ، ومقصودهِ كيلا يأْثمَ من رآهُ بسببهِ ، أوْ ينفرَ عنهُ فلا ينتفعُ بعلمه ، وليستفيدَ ذلكَ الجاهلُ به ، ولذلكَ قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ للرجلينِ لمَّا رأياهُ يتحدَّثُ معَ صفيَّةَ[2] : (فوليّا علَى رسلكما أنَّها صفيَّة)[3] ، ثم قالَ : إنَّ الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرَى الدمِ ، فخشيتُ أنْ يقذفَ في قلوبكما شيئاً ، وفي روايةٍ فتهلكا .

السَّادِسُ[4] : أنْ يحافظَ علَى القيام بشعائرِ الاسلامِ ، وظواهرِ الأحكامِ ، كاقامةِ الصَّلاةِ في مساجدِ الجماعاتِ ، وإفشاءِ السَّلامِ للخواصِّ والعوامِ [٦٠و] ، والأمرِ بالمعروفِ ، والنهي عن المنكرِ ،

---

(١) في تذكرة السامع والمتكلم : (تأثيم) مكان (واثم) .

(٢) هي ام المؤمنين صفية بنت حييّ بن اخطب من الخزرج ، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف ، وبعد غزوة خيبر قُتل زوجها كنانة ابن الربيع النضري ، اسلمت فتزوجها صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت في المدينة سنة (٥٠هـ) .
ينظر حلية الاولياء ٢/٥٤ ، صفة الصفوة ٢/٢٧ ، طبقات ابن سعد ٨/٨٥ .

(٣) شرح المهذب ١/٤٨ .

(٤) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٠-٢١ .

والصَّبرِ على الأذَى بسببِ ذلكَ ، صادعاً بالحقّ عندَ السَّلاطينَ ، باذِلاً نفسَهُ للهِ لا يخافُ فيه لومةَ لائمٍ ، ذاكراً قولَهُ تعالى : (وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)[1] • وما كانَ سيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وغيرهُ من الأنبياءِ عليهِ من الصَّبرِ علَى الأذَى ، وما كانُوا يتحملونهُ في اللهِ تعالى حتَّى كانتْ لهم العقبى ، وكذلكَ القيامُ باظهارِ السُّننِ ، وإخمالِ البدعِ ، والقيامُ للهِ في أمورِ الدِّينِ وما فيهِ مصالحُ المسلمينَ على الطريقِ المشروعِ والمسلكِ المطبوعِ ، ولا يرضَى من أفعاله الظاهرةِ والباطنةِ بالجائزِ منها ، بل يأخذُ نفسَهُ بأحسنِها وأكملِها ، فانَّ العلماءَ هم القدوةُ ، وإليهم المرجعُ في الأحكامِ ، وهم حجَّةُ اللهِ تعالى علَى العوامِ ، وقد راقبهم[2] للأخذِ عنهم من لا ينظرونَ ، ويقتدي بهديهم من لا يعلمُونَ ، وإذا لم ينتفعِ العالِمُ بعلمه فغيرهُ أبعدُ عن الانتفاعِ بهِ ، كما سبقَ من قولِ الشَّافعي رحمهُ اللهُ : (ليسَ العلمُ ما حُفظَ ، العلمُ ما نفعَ)[3] • ولهذا عظمتْ زلةُ العالمِ لما يترتبُ عليها من المفاسدِ ، لاقتداءِ النَّاسِ بهِ •

السَّابعُ[4] : أنْ يحافظَ علَى المندوباتِ الشرعيةِ

(1) سورة لقمان الآية : ١٧ •

(2) في تذكرة السامع والمتكلم : (يراقبهم) ، والصحيح ما ذكره السمهودي •

(3) مناقب الشافعي ٢/١٤٩ •

(4) النوع السابع أخذهُ المصنفُ جميعه من تذكرة السامع والمتكلم ص٢١ ـ ٢٢ •

القوليَّةِ والفعليَّةِ ، ويبالغَ فيما يتضمَّنُ إجلالُ صاحبِ الشَّريعةِ النَّبويَّةِ ، وتعظيمهُ ، وأتباعهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فيلازمُ تلاوةَ القرآنِ وذكرَ اللهِ تعالى بالقلبِ واللِّسانِ ، وكذلك ما وردَ من الدعواتِ والأذكارِ في أناءِ الليلِ وأطرافِ النهارِ ، ومن نوافلِ العباداتِ من الصَّلاةِ والصِّيامِ وحجٍّ البيتِ الحرامِ ، والصَّلاةِ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلـهِ وسلَّمَ ، فانَّ محبَّتَهُ وإجلالَهُ وتعظيمَهُ واجبٌ ، والأدبَ عندَ [٦٠ظ] سماعِ إسمهِ ، وذكرِ سنتهِ مطلوبٌ وسُنةٌ .

كانَ مالكَ [بن أنس][1] رحمهُ اللهُ ، إذا ذُكرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ يتغيَّرُ لونهُ وينحني ، وكانَ جعفرُ الصَّادقَ بن محمد الباقر [رحمهُ اللهُ تعالى][2] إذا ذُكرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلـه وسلَّمَ عندَهُ إصفرَّ لونُهُ ، وكانَ ابنَ القاسم[3] إذا ذُكرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ يَجفُّ لسانهُ في فيهِ هيبةً لرسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وينبغي لهُ إذا تلا القرآنَ أنْ يتفكَّرَ

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من : (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من : (ب) .

(٣) هو ابو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري ، ويعرف بابن القاسم ، تفقه على مذهب الامام مالك ، وقد جمع بين الزهد والعلم ، توفي سنة (١٩١هـ) في مصر .
ترجمته في وفيات الاعيان ٢٧٦/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥٣/٦ ، حسن المحاضرة ١٢١/١ ، الاعلام ٩٧/٤ .

فـي معانيـهِ وأوامرهِ ونواهيهِ ووعـدَهُ ووعيـدهُ ، والوقوفُ عندَ حدودهِ ، وليحـذر مـن نسيانه بـعـدَ حفظهِ ، فقد وردَ فـي الأخبارِ النَّبويَّةِ ما يزجرُ عـن ذلِكَ .

والأوْلى أنْ يكونَ لهُ منهُ في كلِّ يومٍ وردٌ راتبٌ لا يخلُّ بـه ، فانْ غـلبَ عليـهِ فيومٌ ويومٌ ، فانْ عجـزَ ففي لَيلتي الثلاثاءَ والجمعـةَ لاعتيـادِ بطالـةِ الاشتغالِ فيهما ، وقراءةُ القرآنِ في كلِّ سبعةِ أيـَّامٍ وردٌ حَسنٌ . وردَ في الحديثِ ، وعملَ بـه أحمد بـن حنبلِ ، ويُقالُ من قـرأَ القرآنَ فـي سبعةِ أيَّامٍ لـم ينسَـهُ قـطُّ[1] . وينبغي أنْ يستعملَ الرخصَ فـي مواضعـها عـنْدَ الحاجةِ إليها ، ووجود سببـها ليُقتدى به فيها : (فانَّ اللهُ تعـالى يُحبُّ أنْ تُؤتَى رخصُهُ كمَا يُحِـبُّ أنْ تُؤتَى عزائِمهُ)[2] .

الثامنُ[3] : معاملةُ النَّاسِ بمكارمِ الأخلاقِ ، مـن طلاقةِ الوجهِ وإفشاءِ السَّلامِ ، وإطعـامِ الطَّعـامِ ، وكظمِ الغيظِ ، وكفِّ الأذى عـن النَّاسِ ، واحتـمالهِ منهـم ، والايثـارِ ، وتركِ الاستئثارِ ، والانصـافِ ، وتركِ الاستنصافِ ، وشكرِ التَّفضلِ ، والسعي فـي قضـاءِ الحاجاتِ ، وبـذلِ الجَّـاهِ في الشَّـفاعاتِ ،

---

(١) الى هنا انتهى الذي أخذه المصنف في النوع السابع من تذكرة السامع والمتكلم .

(٢) الحديث في مسند الامام ابن حنبل ٢/١٠٨ .

(٣) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٣ .

والتلطُّفِ بالفقراءِ ، والتَّحببِ الى الجيرانِ والأقرباءِ ، والرفقِ بالطلبةِ وإعانتهم ، وبرِّهم كما سيأتي إنْ شاءَ [٦١ و] اللهُ تعالى ، وإذا رأى من لا يُقيمُ صلاتَهُ ، أو طهارتَهُ ، أو أشياءَ من الواجباتِ عليهِ إرشاده بتلطُّفٍ ورفقٍ ، كما فعلَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ معَ الأعرابي الذي بالَ في المسجدِ[١] ، ومعَ معاويةِ بن الحكم لمَّا تكلَّمَ في الصلاةِ[٢] .

التاسعُ[٣] : أنْ يطهِّرُ باطنَهُ وظاهرَهُ مِن الأخلاقِ الرَّديئةِ ، ويعمرَهُ بالأخلاقِ المرضيَّةِ ، فمن الأخلاقِ الرديئةِ : الغلُّ ، والحسدُ ، والبغيُ ، والغضبُ لغيرِ اللهِ تعالى ، والغشُّ ، والكبرُ ، والرِّياءُ ، والعجبُ ، والسمعةُ ، والبخلُ ، والخبثُ ، والبطرُ ، والطَّمعُ ، والفخرُ ، والخيلاءُ ، والتَّنافسُ

---

(١) جاء في صحيح البخاري ٦٥/١ عن أنس بن مالك : (أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى أعرابياً يبولُ في المسجد فقال : دعوه حتى إذا فرغ دعا بماءٍ فصبه عليه) .

(٢) جاء في صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠/٥ عن عطاء عن معاوية بن الحكم السلمي قال : (بينا أنا أُصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلتُ : يرحمك الله فرماني القوم بابصارهم ، فقلت : واثكل أُمِّياه ما شأنكم تنظرون إلَيَّ ، فجعلوا يضربون بايديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يصمتونني لكنِّي سكتُ، فلمَّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وامي ، ما رأيتُ معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال : إنَّ هذه الصلاة لا يصلح منها شيءٌ من كلام الناس ، انما هو تسبيح وتكبيرٌ وقراءة قرآن) .

(٣) النوع التاسع أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ، مع اضافات قليلة اضافها اليه ، ص٢٣ ـ ٢٦ .

في الدُّنيا ، والمباهاةُ بِها ، والمداهنةُ ، والتَّزينُ للنَّاسِ ، وحُبُّ المدحِ بِما لم يفعلْ ، والعَمى عن عيوبِ النَّفسِ ، والاشتغالُ عنها بعيوبِ الخلقِ ، والحميَّةَ ، والعصبيَّةُ لغيرِ اللهِ ، والرغبةُ والرهبةَ لغيرِ اللهِ ، والغيبةُ ، والنميمةُ ، والبهتانُ ، والكذبُ ، والفحشُ في القولِ ، وإحتِقارُ النَّاسِ ولو كانُوا دونَهُ .

فالحذرَ الحذرَ من هذهِ الصفاتِ الخبيثةِ ، والأخلاقِ الرذيلةِ ، فإنَّها بابُ كلِّ شرٍّ ، بل هي الشرُّ كلُّهُ ، وقد بُلِيَ بعضُ أصحابِ النفوسِ الخبيثةِ من فقهاءِ الزَّمانِ بكثيرٍ من هذهِ الصفاتِ ، إلاَّ من عصمَ اللهُ تعالى ولا سيما الحَسَدُ ، والعجبُ ، والرياءُ ، وإحتقارُ النَّاسِ ، وأدويةُ هذهِ البليَّةِ [مستوفى][1] في كُتبِ الرَّقائِقِ ، ومِنْ أنفعِهَا الرِّعايةُ[2] للمحاسبِي[3] ـ ومِنْ أخصرِها منهاجُ العابدينَ[4]

---

(1) مستوفى : زيادة من تذكرة السامع والمتكلم ، وبها يستقيم سياق الـكلام .

(2) ينظر كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل للحارث المحاسبي ص٩٦ ـ ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٢٦٢ .

(3) هو ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي، توفي في بغداد سنة (٢٤٣هـ) ترجمته في حلية الاولياء ١٠/٧٣ .

(4) ينظر منهاج العابدين للغزالي ص٢٨ ـ ٣٢ .

للغزالي[1] ، فمن أرادَ تطهيرَ نفسه منها فعليه بذلكَ ـ ومن أدوية الحسد الفكرُ في أنّه [لا][2] إعتراضَ على اللهِ في حكمته المقتضية تخصيصَ المحسود بالنعمةِ معَ أنّه محضُ ضررٍ على الحاسدِ يجلبُ لهُ الغمّ وتعبَ القلبِ وتعذيبَهُ بما لا [٦١ظ] ضررَ به على المحسودِ • ومن أدوية العجبِ تذكّر أنّ علمَهُ وفهمَهُ وجودَةَ ذهنه ، وفصاحتَهُ وغير ذلكَ من النعمِ فضلٌ من اللهِ عليه وأمانةٌ عندَهُ ليرعاها حقّ رعايتها ، وأنّ العجبَ بها كفرانٌ لنعمتها فيعرضُها للزوالِ ، لأنّ معطيه إيّاها قادرٌ على سلبها منهُ في طرفة عينٍ كما سلبَ بلعام[3] ما علّمهُ في طرفة عينٍ ، وما ذلكَ على اللهِ بعزيزٍ ، (أَفَأَمِنُوا مكْرَ اللهِ)[4] •

ومن أدوية الرياءِ الفكرُ في أنّ الخلقَ كلّهُم لا يقدرونَ على نفعه بما لم يقضه اللهُ لَهُ ، ولا على ضرِّه بما لم يقدِّرْهُ اللهُ تعالى عليه ، فلم يحبطْ

---

(1) هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من اعلام الفلسفة والفقه ، ولد في خراسان سنة (٤٥٠هـ) ، وتوفي سنة (٥٠٥هـ) بخراسان •
ترجمته في وفيات الاعيان ١/٤٦٣ ، شذرات الذهب ٤/١٠ ، الوافي بالوفيات ١/٢٧٧ ، الاعلام ٧/٢٤٧ •

(2) (لا) من (ب) ، وبها يستقيم السياق •

(3) هو بلعام بن باعورا من أنبياء بني اسرائيل ، فلما دعا على النبي موسى عليه السلام سلبه الله النبوة والعلم ، فقال : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة • ينظر تفسير القرطبي ٧/٣١٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨م •

(4) سورة الاعراف الآية : ٩٩ •

عملَهُ ويضرُّ دينَهُ ويشغلُ نفسَهُ بمراعاةِ مَن لا يملكُ لهُ في الحقيقةِ نفعاً ولا ضرّاً ، مع أنَّ اللهَ يطلعهم على نيّتهِ وقبحِ سريرته كما صحَّ في الحديث : (مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ رايا رايا اللهُ بِهِ)[1] .

ومن أدويةِ إحتقار النَّاسِ قولُهُ تعالى : (لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ الآية)[2] . (إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وانثى إنَّ[3] أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)[4] . فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى)[5] . ورُبَّما كانَ المُحتَقَرُ أطهرَ عندَ اللهِ قلباً ، وأزكى عملاً ، وأخلصَ نيَّةً ، كما قيلَ إنَّ اللهَ تعالى أخفى ثلاثةً في ثلاثةٍ : وليَّهُ في عبادهِ ، ورضاهُ في طاعتهِ ، وغضبَهُ في معاصيهِ ، مع [أنَّ][6] إحتقارَ عبادِ اللهِ مجرَّدُ خسرانٍ يُورِثُ الذُّلَّ لفاعلهِ . وفي خبرٍ للحارثِ بن معاويةَ أنَّهُ

---

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل ٥/٤٥ .

(٢) الحجرات الآية : ١١ .

(٣) في وسط الآية قبل (انَّ اكرمكم) : (وجعلناكم شُعُوباً وقَبَائِلَ لتعارفوا) . وقد نقل المصنف الآية كما ذكرها من تذكرة السامع والمتكلم .

(٤) سور الحجرات الآية : ١٣ .

(٥) سورة النجم الآية : ٣٢ .

(٦) (انَّ) : زيادة من (م) ، (ب) .

سألَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ عن القصصِ وأنَّ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ لهُ : (أخشَى عليكَ أنْ تقُصَّ فترتفعَ في نفسِكَ ، ثم تقصُّ فترتفعَ في نفسِكَ حتَّى يُخيَّلَ إليكَ فوقَهم بمنزلةِ الثريَّا فيضعكَ اللهُ [٦٢و] تحتَ أقدامِهم يومَ القيامةِ بقدرِ ذلكَ)(١) ، رواهُ الامامُ أحمدُ ، والحارثُ بن معاويةَ ، ووثَّقهُ بن حِبَّان وبقيَّة رجالهِ رجالِ الصحيحِ •

ومن الأخلاقِ المرضيَّةِ دوامُ التوبةِ ، والاخلاصُ ، واليقينُ ، والتَّقوَى ، والصَّبرُ ، والرضا ، والقناعةُ ، والزهدُ ، والتَّوكلُ ، والتَّفويضُ ، وسلامةُ الباطنِ ، وحُسنُ الظَّنِّ ، والتَّجاوزُ ، وحُسنُ الخُلُقِ ، ورؤيةُ(٢) الاحسانِ ، وشكرُ النعمةِ ، والشفقةُ على خلقِ اللهِ ، والحياءُ من اللهِ ومن النَّاسِ •

ومحبَّةُ اللهِ تعالى هي الخصلةُ الجامعةُ لمحاسنِ الصفاتِ كلِّها وإنَّما تتحققُ متابعةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ (قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)(٣) •

---

(١) مسند الامام ابن حنبل ١/١٨ ، مع اختلاف في الالفاظ •

(٢) كذا في الاصل ، (م) وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي (ب) : (لزوم) •

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣١ •

العاشرُ[1] : دوامُ الحرصِ على الازديادِ بملازمةِ الجدِّ والاجتهادِ والمواظبةِ على وظائفِ الأورادِ والاشتغال ، والأشغالِ قراءةً وإقراءً ومطالعةً وفكراً وتعليقاً وحفظاً وتصنيفاً وبحثاً ٠

ولا يضيِّعُ شيئاً من أوقاتِ عمرهِ في غيرِ ما هو بصدده من العلمِ والعملِ إلاَّ بقدرِ الضرورةِ من أكلٍ ، أو شربٍ ، أو نومٍ ، أو إستراحةٍ لمللٍ ، أو إدا حقٍّ زوجةٍ ، أو زائرٍ ، أو تحصيلِ قوتٍ وغيرهِ ممَّا يحتاجُ إليهِ ، أو لألمٍ ، أو غيرهِ ممَّا يتعذَّرُ معَهُ الاشتغالُ ، فانَّ بقيَّةَ عمرِ المُؤمنِ لا قيمةَ لهُ ، ومن استوى يوماهُ فهو مغبونٌ ٠

وقالَ المزني : سَمِعْتُ الشَّافعي يقولُ : سُئِلَ بعضُ السَّلَفِ ما بلغَ من إشتغالكَ بالعلمِ ؟ قالَ : (هو سلوتي إذا اهتممتُ ، ولذَّتي إذا سلوتُ)[2] ، قالَ : وأنشدني الشَّافعي لنفسهِ[3] :

[٦٢ظ] ومَا أَنَا بالغيرانِ من دونِ أَهْلهِ
إذا أنا لَم أضحى غيوراً علَى علمي

طَبيبُ فؤادي مُذْ ثلاثينَ حجَّةً
وصَيْقَلُ ذهنِي والمُفَرِّجُ عَنْ هَمِّي

---

(٢) النوع العاشر أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٦ـ٢٨٠
(٢) مناقب الشافعي ٢/١٠١ ٠
(٣) مناقب الشافعي ٢/١٠١ ٠

وكانَ بعضُهمْ لا يتركُ الاشتغالَ لعروضِ مرضٍ خفيفٍ ، أو ألـمٍ لطيفٍ ، بل كانَ يتشفَّى بالعِلمِ ، ويشتغلُ بقدرِ الامكانِ ، كما قيلَ[1] :

إذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ
وَنَتْرُكُ الذكرُ إخلالاً فننتكسُ

وذلكَ لأنَّ درجةَ العلمِ درجةُ وراثةِ الأنبياء ، ولا تُنَالُ المعالي إلاَّ بشقِّ الأنفسِ . وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير قالَ : (لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ براحةِ الجسمِ)[2] . وفي الحديثِ : (حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكارهِ)[3] ، وكما قِيلَ[4] :

وَلاَ بُدَّ دُونَ الشَّهدِ من إبَرِ النَّحْلِ

وكما قِيلَ[5] :

لا تحسبُ المجدَ تَمراً أَنْتَ آكلهُ
لا تبلغُ المجدَ حتَّى تلعقَ الصَّبِرَا

---

(١) البيت ذكره ابن جماعة ولم ينسبه تذكرة السامع والمتكلم ص٢٧ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم ١/٤٢٨ ، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٤٥ ، شرح المهذب للنووي ١/٦٣ ، والفقيه والمتفقه ٢/١٠٣ .

(٣) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في المسند ٢/٣٨٠ .

(٤) البيت للمتنبي ذكره الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومة ص٢٢٤ ، وصدره : (تُرِيدِينَ إدْرَاكَ المعالي رَخِيصَةً) .

(٥) البيت ذكره ابن جماعة ولم ينسبه تذكرة السامع والمتكلم ص٢٧ .

وقالَ الشّافعي رحمهُ اللهُ : (حَقٌ عَلى طلبةِ العلمِ بلوغُ غايةِ جهدِهم في الاستكثارِ من العلمِ ، والصَّبرِ على كلِّ معارضٍ دونَ طلبهِ ، وإخلاصِ النيَّةِ للهِ في إدراكِ علمهِ نصّاً واستنباطاً ، والرَّغبةِ الى اللهِ تعالى في العونِ عليهِ)(1) • وقالَ الربيعُ : (لم أرَ الشّافعي آكلاً بنهارٍ ، ولا نائماً بليلٍ ، لاشتغاله بالتصنيفِ ، ومعَ ذلكَ فلا يُحمِّلُ نفسَهُ من ذلكَ فوقَ طاقتِها ، كيلا تسأمَ وتَملَّ ، فرُبَّما نفرتْ نفرةً لا يمكنهُ تداركها ، بل يكونُ أمرهُ في ذلكَ قصداً ، وكلُّ إنسانٍ أبصرُ بنفسهِ)(2) •

الحادي عشرَ(3) : أنْ لا يستنكف أنْ يستفيدَ ما لا يعلمهُ ممَّنْ هو دونَهُ منصباً ، أو نسباً ، أو سناً ، بل يكونُ [٦٣و] حريصاً على الفائدة حيثُ كانَتْ : (والحكمةُ ضالةُ المؤمنِ يلتقطُها حيثُ وجدَها)(4) •

قالَ سعيد بن جبير : (لا يزالُ الرجلُ عالماً ما تعلَّمَ ، فاذا تركَ العلمَ ، وظنَّ أنَّهُ استغنَى واكتفَى بما عندَهُ ، فهو أَجهلُ ما يكونُ)(5) •

---

(1) شرح المهذب ١/٦٣ •

(2) شرح المهذب ١/٦٣ •

(3) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٨ ـ ٢٩ •

(4) في سنن ابن ماجة ٢/١٣٩٥ لفظ الحديث هو : (الكلمة الحكمة ضالّة المؤمنِ ، حيثما وجدها فهو أحقُّ بها) •

(5) شرح المهذب ١/٤٩ •

وأنشدَ بعضُ العربِ[1] :

وَلَيْسَ العمَى طُولَ السُّؤالِ وإنَّما
تمامُ العمَى طُولُ السكُوتِ على الجَهْلِ

وكانَ جماعةٌ من السَّلَفِ يستفيدونَ من طلبتِهم ما ليسَ عندَهم ، قالَ الحُمَيْدِي وهو تلميذُ الشَّافعي : (صحبتُ الشَّافعي من مكةَ الى مصرَ فكنتُ أستفيدُ منهُ المَسائلَ ، وكانَ يستفيدُ منِّي الحديثَ)[2] . وقالَ أحمدُ بن حنبل : (قالَ لَنا الشَّافعي : أنتم أعلمُ بالحديثِ منِّي ، فاذا صحَّ عندكم الحديثُ فقولُوا لنا حتَّى آخذَ بهِ)[3] . وصحَّ[4] روايةُ جماعةٍ من الصحابةِ عن التابعينَ ، وأبلغُ من ذلكَ كُلِّهِ قراءةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ على أُبيٍّ ، وقالَ : (أمرني اللهُ أَنْ أَقرأَ عليكَ « لَمْ يكُنِ الَّذينَ كَفَرُوا »[5])[6] . وقالوا : من فوائدِهِ أنْ لا يمتنعَ الفاضِلُ من الأخذِ عن المفضولِ .

---

(١) في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٤٤ ، قال ابو عمر : كان الاصمعي ينشد وذكر البيت ، وفيه : (شفاء العمى) مكان (وليس العمى) .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٥٣ .

(٣) مناقب الشافعي ٢/١٥٤ ، وفيه : (حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل ، قال : سمعت أبي يقول : قال لنا الشافعي ... الخ) .

(٤) كذا في جميع النسخ والتذكرة ، ولعله (وصحّح) .

(٥) سورة البينة الآية : ١ .

(٦) شرح المهذب ١/٤٩ .

الثاني عشرَ[1] : الاشتغالُ بالتَّصنيفِ والجمعِ والتأليف لكن معَ تمامِ الفضيلةِ ، وكمالِ الأهليةِ ، فانَّهُ يطَّلعُ على حقائقِ الفنونِ ودقائقِ العلومِ ، للاحتياجِ الى كثرةِ التفتيشِ والمُطالعةِ والتعقيبِ والمراجعةِ ، وهو كما قالَ الخطيبُ[2] البغداديِ : (يثبتَ الحفظَ ، ويُذكي القلبَ ، ويشحذُ الطبعَ ، ويجيدُ البيانَ ، ويُكسبُ حميدَ الذكرِ وجزيلِ الأجرِ ، ويخلدهُ الى آخرِ الدهرِ ، كما قالَ الشاعرُ :

[٦٣ظ] يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهُمُ
والجَهْلُ يُلْحِقُ أمواتاً بأَمواتِ)[3]

وقالَ عبدُالله بن المعتز[4] : (علمُ الانسانِ ولَدُهُ المخلد)[5] . قالَ الخطيبُ : وأنشدَني عبدُالغفار بن عبدالواحد الأرموي لأبي الفتح علي بن محمد البستي[6] :

---

(1) النوع الثاني عشر أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٩ - ٣٠ ، مع اضافة .

(2) هو الحافظ المؤرخ أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب ، ولد سنة (٣٩٢هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٣هـ) .

(3) البيت والنص ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ، ولم ينسب البيت ٢/٣٣٧ .

(4) هو الخليفة عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، ولي الخلافة يوم وليلة ، كان شاعراً مبدعاً وأديباً مشهوراً ، ومصنفاً ، ولد سنة (٢٤٧هـ) في بغداد ، وقتل سنة (٢٩٦هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/٩٥ ، مفتاح السعادة ١/١٩٩، الاعلام ٤/٢٦١ .

(5) القول ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ٢/٣٣٧ .

(6) ديوان أبي الفتح البستي ص٦٥، الجامع للخطيبالبغدادي ٢/٣٣٨.

يقُولُونَ : ذكرُ المرءِ يبقَى بنَسله
وَلَيْسَ لهُ ذكرٌ إذا لَمْ يكنْ نسلُ

فقُلْتُ لهم : نسلي بدائعُ حكمتي
فمن سَرَّهُ نَسْلٌ فانَّا بِذَا نَسْلُ

والأَوْلى أنْ يعتنيَ بِمَا يعمُّ نفعهُ ، وتكثرُ الحاجةُ إليهِ ، وليكُنْ إعتناؤُهُ بما لم يُسبَق الى تصنيفه ، بأنْ لا يكونَ ثم ما يُغني عن تصنيفهِ في جميعِ أسَاليبه ، وليتحرَّ[1] إيضاحَ العبارةِ في تأليفه ، معرضاً عن التطويلِ المملِّ والايجازِ المخلِّ معَ إعطاءِ كلِّ مُصنَّفٍ ما يليقُ بهِ ، ولا يخرجُ[2] تصنيفَهُ من يدهِ قبلَ تهذيبه ، وتكريرِ النظرِ فيهِ وترتيبه ، ومن النَّاسِ مَنْ ينكرُ التصنيفَ والتأليفَ في هذا الزَّمانِ على مَنْ ظهرتْ أهليته ، وعُرِفَتْ معرفته ، ولا وجه لهذا الانكارِ إلاَّ التَّنافسَ بينَ أهلِ الاعصارِ ، ولله درُّ القائلِ[3] :

قُلْ لمن لا يَرى المُعاصرَ شيئاً
وَيَرَى للأوائِلِ التَّقْدِيمَا

إنَّ ذاكَ القديمَ كانَ جَدِيداً
وَسيبقَى هذا الجَدِيدُ قَدِيمَا

---

(١) في (ب) : (ليجزي) .
(٢) في النسخ المخطوطة : (يحرج) ، وقد قومناه من تذكرة السامع والمتكلم .
(٣) لم اعثر على هذين البيتين في المصادر التي اطلعتُ عليها .

والمُتَصرِّفُ في مداده ، وورقه بكتابة ما شاءَ من أشعارٍ وحكايات مباحة ، أو غيرِ ذلكَ لا يُنكَرُ عليه ، فلَمَ إذا تَصَرَّفَ فيه بتسويد ما ينفعُ به من علوم الشَّريعة يُنكَرُ ويُستَهجَنُ ؟ أمّا من لم يتأهلْ لذلكَ ، فالانكارُ [٦٤و] عليه متجه لما تضمَّنَهُ من الجَهلِ ، وتغرير من يقفُ على ذلكَ التصنيف به ، ولكونه يُضيِّعُ زَمانَهُ فيما لَمْ يتقنْهُ ، ويدعُ الاتقانَ الذي هو أحرَى به .

الفصل[1] الثاني في آدابِ العالِمِ في درسهِ

وفيهِ إثنا عشرَ نوعاً :

الأوّلُ : إذا عزمَ على مجلسِ التدريسِ تطهّرَ من الحدَثِ والخبثِ ، وتنظّفَ ، وتطيّبَ ، ولبسَ من أحسنِ ثيابهِ اللائقةِ به بينَ أهلِ زمانهِ ، قاصداً بذلكَ تعظيمَ العلمِ ، وتبجيلَ الشريعةِ .

كانَ مالكُ رحمهُ اللهُ إذا جاءَهُ النّاسُ لطلبِ الحديثِ ، إغتسلَ وتطيّبَ ولبسَ ثياباً جُدداً ، ووضعَ رداءَهُ على رأسهِ ، ثم يجلسُ على منصّتهِ ، ولا يزالُ يتبخّرُ بالوردِ حتى يفرغَ ، وقالَ : أحبُّ أنْ أُعظِّمَ حديثَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ[2] .

وروى الخطيبُ في الجامعِ من شعرِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ[3] :

أَجدِ الثيابَ إذا اكتسيتَ فإنّها
زينُ الرجالِ بها تعزُّ وتكرمُ

ودعِ التواضعَ في الثيابِ تحوّباً
فاللهُ يعلمُ ما تجنُ وتكتمُ

---

(1) الفصل الثاني والعنوان والانواع أخذها المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٠ .

(2) تذكرة السامع والمتكلم ص٣١ .

(3) الابيات غير موجودة في الديوان المنسوب للامام علي ، وقد ذكرها الخطيب الغدادي في الجامع ٢/٢٨ .

فرِثَاثُ ثوبِكَ لا يزيدُكَ زُلْفَةً
عِنْدَ الالهِ وأَنْتَ عبدٌ مُجْرِمُ

وبهاءُ ثوبِكَ لا يضرُّكَ بعدَ أَنْ
تَخْشَى الالهَ وتتقِي ما يحرمُ

ثم يصلِّي رَكعتي الاستخارةِ إنْ لم يكُنْ وقتَ كراهةٍ ، ففي مسندِ أحمد من روايةِ سعد بن أبي وقاص مرفوعاً : (من سعادةِ ابن آدم في استخارةِ الحَقِّ والرضا بقضائه ، وشقاوةِ ابن آدم في تركِ الاستخارةِ ، وعدمِ الرضا بقضاءِ الحَقِّ)[1] ٠

قلتُ : وينبغي أنْ يعبِّرَ في استخارته بِما يعمُّ حركاتهِ وما ينطقُ بهِ من وقتهِ ذلكَ الى مثلهِ ٠ فقد نقلَ المجدُ اللغوي[2] عن بعضِ المحققينَ من المشايخِ [٦٤ظ] الكبارِ أنَّهُ قالَ : يُسْتَحَبُّ للشخصِ أنْ يجعلَ في كُلِّ يومٍ وقتاً مُعَيَّناً يُصلِّي فيه صلاةَ الاستخارةِ ، ويقولُ : (اللهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بعلمِكَ ، وأستقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ ، وأسألُكَ مِنْ فضلِكَ العظيمِ ، فانَّكَ تعلمُ ولا أعلمُ وتقدِرُ ولا أقدِرُ ، وأنْتَ علاَّمُ الغيوبِ ٠ اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تعلمُ أنَّ جميعَ ما أتحرَّكُ فيه وأنطِقُ بهِ في حقِّي وفي حقِّ غيرِي ، جميعَ ما يتحرَّكُ فيهِ غيرِي وينطِقُ

---

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في المسند ١/١٦٨ ، وذكره الخطيب البغدادي في الجامع ٢/٢٩٣ ٠

(٢) (اللغوي) ساقطة من (م) ٠

بهِ في حقّي وحقِّ أهلي وَوَلَدِي وما ملكتْ يميني من ساعتي هذهِ الى مثلِها من الغدِ خيرٌ لي في ديني ومَعَاشي وعاقبةِ أمرِي ، فأقدرْهُ لي ويسرْهُ لي وباركْ لي فيهِ ، وإنْ كنتَ تعلَمُ أنَّ جميعَ ما أتحرَّكُ فيهِ وأنطِقُ بهِ في حقّي ، وفي حقِّ غيرِي ، وجميعَ ما يتحرَّكُ فيهِ غيرِي في حقّي ، وفي حقِّ أهلي ووَلَدي وما ملكتْ يميني من ساعتي هذهِ الى مثلِها من الغدِ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري ، فاصرِفْهُ عنّي ، واصرفني عنهُ ، وقدِّرْ لي الخيرَ حيثُ كانَ ثم رضِّني بهِ)[1] .

هذه الكيفيةُ ، وإنْ لم تكنْ في الأحاديثِ ، لكنَّها موافقةٌ لاطلاقِ ما جاءَ في الحثِّ على الاستخارةِ ، كحديثِ (إذا أهمَّ أحدُكُمْ بالأمْرِ فليركعْ ركعتينِ من غيرِ الفريضةِ الحديث)[2] .

وقد كانَ أهلُ الجاهليةِ يستعملونَ في أُمُورهِمْ الاستقسامَ بالازلامِ وزجرَ الطيرِ ، والعيافةَ ، والفالَ ، والتطيّرَ ، ونحوَهُ ، مما هو شعارُ الشّرْكِ ، فعوَّضَ صاحبُ الشّرعِ صلّى [٦٥و] اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ عَنْ ذلكَ مَا يتضمّنُ التوحيدَ ، والافتقارَ ،

---

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص٢٥٧ ، وقد سقطت بعض الفقرات من النص المذكور .

(٢) الحديث ذكره الامام احمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبدالله الانصاري ٣/٣٤٤ ، رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ص٢٥٧، الجامع ٢/٢٩٣ .

والعبُوديَّةَ ، والتوكُلَ وسأل الرُشد والفلاحِ ورَدَّ الأمرَ الى مَنْ بيده أزمَّةُ الخيرات وإنجاحُ الطلبات ، ثـم (ينـوي نشـر العـلم وتعليمَهُ ، وبثَّ الفوائـد الشَّرعية ، وتبليـغَ أحكام الله تعـالى التي أُوتـمن عليها ، وأُمر ببيانـها ، والازديادَ من العلم ، وإظهارَ الصَّواب ، والرجوع الى الحقِّ ، والاجماعَ على ذكـر الله تعـالى ، والسَّلامَ علـى إخوانـه مـن المسلمينَ ، والدعاءِ للسَّلفِ الصالحينَ)(١) .

وقد تقدمتْ عن شيخي شيخ الاسلام فقيه العصر الشَّرف المناوِي أنَّهُ كانَ إذا خرجَ الى الدَّرس يقفُ بدهليز بيته حتَّى يحصلَ النيَّـةَ ثم يخـرجُ ، وكانَ كثيراً ما ينشدُ هذا البيتَ :

لئِـنْ كانَ هذا الدمعُ يَجْرِي صَبَـابةً
عَلَى غَيْرِ لَـيْلَى فهو دمعٌ مُضَيَّعُ

ثم يبكي بُكاءً كثيراً .

ويُحكَى عن الامام محيي الدِّين النَّووي أنَّهُ كانَ يكتُبُ حتَّى تَكِلَّ يدُهُ ويعجزَ فيضعَ القلمَ ثم ينشدُ هـذا البيتَ ، وهـذا من باب قوله سبحانهُ وتعـالى : (وَالَّذينَ يُؤْتُونَ مَـا آتَـوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولئِكَ يُسَارِعُونَ في

---

(١) ما بين القوسين أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣١ .

الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)[1] • قالَ الحسنُ : كانُوا يعملونَ أعمالَ البرِّ ويخشُونَ أن لا يُتَقَبَّلَ منهم[2] •

الثاني[3] : إذا خرجَ من بيته دعا بالدُّعاءِ الصحيحِ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وهو : (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُضَلَّ أو أَضِلَّ ، أَوْ أَزِلَّ ، أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ [٦٥ظ] ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عليَّ ، عَزَّ جَارُكَ ، وجَلَّ ثناؤُكَ ، ولا إلهَ غيرُكَ)[4] • ثم يقولُ : بسمِ اللهِ وباللهِ حسبي اللهُ توكلتُ علَى اللهِ ، لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ ، اللهُمَّ ثَبِّتْ جَنَاني وأدرِ الحقَّ علَى لساني • ويُديمُ ذكرَ اللهِ تعالى الى أنْ يصلَ الى مجلسِ التدريسِ ، فاذا وصلَ إليهِ سلَّمَ على مَنْ حضرَ ، وصلَّى ركعتينِ ، إنْ لم يكُنْ وقتَ كراهةٍ ، فانْ كانَ مسجداً تأكدتْ مطلقاً ، ثم يدعو اللهَ تعالى بالتوفيقِ والاعانةِ والعِصمةِ[5] •

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ٦٠ ، ٦١ •

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي ٧/١١٠ •

(٢) أخذ المصنف جزءاً من هذا النوع من تذكرة السامع والمتكلم ص٣١ ـ ٣٢ •

(٤) ذكر ابو داود جزءاً في هذا الحديث في سننه ١/٣٥٤ ، وهو بكماله في شرح المهذب للنووي ص٥٦ •

(٥) انتهى النوع الذي أخذهُ المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص٣٢ •

قالَ بعضُهم : ويجلسُ مَسْتَقْبِلُ القِبلةَ كما في شرحِ المهذب[1] ، أي إنْ أمكنَ ، لحديثِ : (أكرمُ المجالسِ ما استُقبِلَ بهِ القبلةُ)[2] ، رواهُ أبو يعلى والطَّبراني في الأوسطِ عنَ ابن عمر مرفوعاً ، وللطبراني في الكبيرِ عن ابنِ عباس ونحوه مرفوعاً ، وفي إسنادِ كلٍّ منهما متروكٌ .

وللطَّبراني في الأَوسطِ من حديثِ أبي هريرة رفعهُ : (انَّ لكلِّ شيءٍ سيِّداً ، وانَّ سيِّدَ المجالسِ قبالةُ القبلةِ)[3] ، وسندهُ حسنٌ ، لكن قالَ ابن حبَّان في وصفِ الاتباعِ وبيان الابتداعِ : إنَّهُ خبرُ موضوعٍ تفرَّدَ بهِ أبو المقدام عن محمد بن كعب عن ابن عبَّاس ، وهو إسنادُ الكبير للطبراني ، وقد كانتْ أحوالُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ في مواعظِ النَّاسِ أنْ يخطبَ لها وهوَ مستدبرُ القبلةِ ، إنتهى .

قلتُ : وفيه نظرٌ ، لأنَّ إسنادَ روايةِ أبي هريرة حسنٌ ، ومَعَ أَنَّ الحاكمَ رواهُ في حديثٍ طويلٍ ، وصحَّحهُ من روايةِ ابن عباس من طريقِ أبي المقدام[4]، إلاَّ أنَّ فيهِ راوٍ واهٍ ، وأما إستدبارهُ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) ينظر شرح المهذب ٥٦/١ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٨٩/١٠ ، وفيه : (أشرف المجالس .. الخ)، الجامع ١١٩/٢ .

(٣) المستدرك للحاكم ٢٧٠/٤ ، وفيه (شرفاً) مكان (سيداً) .

(٤) المستدرك للحاكم ٢٧٠/٤ ، وانظر الحاشية ، قال العبسي : حدثنا ابو المقدام هشام بن زياد .

وآله وسلَّمَ في خطبه ، فقد وجَّهَه الأصحابُ بأنَّ السُّنَّةَ [٦٦و] كونُ المنبرِ في صدرِ المسجد ، فلو إستقبلَ القبلةَ معَ ذلكَ ، لكانَ خارجاً عن مقاصدِ الخطابِ ، لأنَّهُ يخاطبُ حينئذٍ من يكونُ خلفَ ظهرهِ ، ولو جُعِلَ المنبرُ في آخرِ المسجدِ واستقبلَ القبلَةَ ، فإنْ إستبدره القومُ واستقبلُوا القبلةَ أيضاً ، كانَ خارجاً عن مقاصدِ الخطابِ كما سَبقَ ، استقبلوهُ واستدبروها لزمَ تركُ الاستقبالِ لخلقٍ كثيرٍ ، وتركهُ لواحدٍ أسهلُ ، إنتهى .

فلا يصلحُ ذلكَ مستنداً لابنِ حبَّان ، نعم كانَ شيخي شيخُ الاسلامِ الشَّرفُ المناوي يَجلسُ لإلقاءِ الدَّرسِ مستدبراً القبلةَ ، والقومُ أمامَهُ قياساً علَى الخطبةِ ، ويعللهُ بما سبقَ من أنَّ تركَ الاستقبالِ لواحدٍ ، يعني نفسَهُ أسهلُ من تركهِ لخلقٍ كثيرٍ ، يعني من يجلسُ أمامَهُ من القومِ .

قُلْتُ : وقد يُستَأنسُ لَهُ بما أخرجهُ الخطيبُ في الجامعِ عن ابن جابرٍ قالَ : (أقبلَ مغيثُ بن سُمي الى مكحول ، فأوسعَ لَهُ الى جنبه فأتَى وجلسَ مقابلَ القبلة ، وقالَ : هذا أشرفُ المجالسِ)[١] . فالظاهرُ أنَّ جلوسَ مكحول غيرُ مستقبلٍ كانَ لِمَا سبقَ ، ويكونُ جلوسُهُ[٢] بوقارٍ وسكينةٍ وتواضعٍ وخشوعٍ

---

(١) الجامع ٢/١١٩ .

(٢) من هنا الى نهاية النوع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٢ ـ ٣٣ .

متربعاً ، أو غيرَ ذلكَ مما لا يُكرَه ُ من الجلسات ِ ، ولا يجلسُ مقعياً ، ولا مستوفزاً[1] ، ولا رافعاً إحدى رجليه ِ على الأُخرى ، ولا مادّاً رجليه ِ ، أو إحداهما من غير ِ عذر ٍ ، ولا متكئاً على يده ِ الى جنبه ِ ، أو وراءَ ظهره ِ ، وليصنْ بدنَه ُ عن الزّحف ِ والتنقل ِ عن مكانه ِ ، ويديه ِ عن العبث ِ والتشبيك ِ بهما ، وعينيه ِ عن تفريق ِ النّظر ِ من غير ِ حاجة ٍ ، ويتّقي المزاحَ وكثرةَ الضحك ، فانّه ُ يُقلّل ُ الهيبةَ ويُسقط ُ الحشمةَ ، كما قيل َ مَنْ مزح َ إستُخِفَّ به ِ ، ومَنْ أكثرَ من شيءٍ عُرِفَ به ِ ، ولا يُدرِّس ُ في وقت ِ جوعه ِ ، [٦٦ظ] أَوْ عطشه ِ ، أَوْ همّه ِ ، أَوْ غضبه ِ ، أَوْ نعاسه ِ ، أو قلقه ِ ، ولا في حال ِ برده ِ المؤلم ِ وحرّه ِ المزعج ِ ، فرُبّما أجابَ وأفتى بغير ِ الصّواب ِ ، ولأنّه ُ لا يمكن مع ذلكَ من إستيفاء ِ النّظر ِ .

الثالث[2] : أنْ يجلسَ بارزاً لجميع ِ[3] الحاضرينَ ، موقّراً فاضلَهم بالعلم ِ والسّنّ والصّلاح ِ والشّرف ِ ، ويرفعَهُمْ على حسب ِ تقدّمهم في الامامة ِ ، ويتلطّفَ بالباقين ويُكرِمَهم بحسن ِ السّلام ِ ، وطلاقة ِ الوجه ِ ، ومزيد ِ الأحترام ِ ، ولا يكرهَ القيامَ لأكابر ِ أهل ِ

(١) يقال استوفز في قعدته : اي انتصب فيها من غير اطمئنان .

(٢) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع واتكلم ص٣٣-٣٤ .

(٣) وهي الطريقة المتبعة في الجامعات في الشرق والغرب ، حيث يجلس الاستاذ على منصة مشرفة على جميع الطلاب المتواجدين في قاعة الدرس .

الأسلامِ علَى سبيلِ الاكرامِ ، وقد وردَ إكرامُ العلماءِ ، وإكرامُ طلبةِ العلمِ في نصوصٍ كثيرةٍ ، ويلتفتَ الَى الحاضرينَ التفاتاً قصداً بحسبِ الحاجةِ ، ويخصَّ من يكلِّمُه أَوْ يسألهُ أوْ يبحثُ معَهُ علَى الوجهِ عندَ ذلكَ بمزيدِ التفاتٍ اليه واقبالٍ عليه ، وإنَ كانَ صغيراً أو ضعيفاً[1] ، فانَّ تركَ ذلكَ من أَفعالِ المتجبِّرينَ والمتكبِّرينَ .

الرابعُ[2] أَنْ يقدِّمَ علَى الشروعِ في البحث والتدريسِ قراءةَ شيءٍ من كتابِ اللهِ تعالى تبرُّكاً وتيمُّناً ، وكما هو العادةُ فانْ كانَ في مدرسةٍ شُرِطَ فيها ذلكَ اتَّبعَ الشَّرطَ ، ويدعُو عقبَ القراءةِ لنفسهِ وللحاضرينَ وسائرِ المسلمينَ ، ثم يستعيذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرجيمِ ، ويسمّي اللهَ تعالى ويحمدهُ ، ويصلِّي على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ وعلَى أصحابهِ ، ويترضَّى على أئمةِ المسلمينَ ومشايخهِ ، ويدعو لنفسهِ وللحاضرينَ ووالديهم أَجمعينَ ، وعن واقفِ مكانهِ ، إنْ كانَ في مدرسةٍ ، أو نحوها جزاءً لحسنِ فعلهِ وتحصيلاً لقصدهِ ، وكانَ بعضُهم يؤخرُ ذكرَ نفسهِ في الدُّعاءِ عن الحاضرينَ تأدُّباً وتواضُعاً ، لكنَّ الدعاءَ لنفسه قربةٌ وبهِ اليه حاجةٌ ، والأيثارُ بالقربِ ، وبما يحتاجُ اليهِ شرعاً خلافُ المشروعِ ، ويؤيدهُ [٦٧و] قولُهُ تعالى : (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

---

(١) في تذكرة السامع والمتكلم : (وضيعاً) .

(٢) النوع الرابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٤ـ٣٥ .

نَاراً)[1]. وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ: (ابدأ بنفسكَ ثم بمن تعولُ)[2]، وهذا الحديثُ وإنْ وردَ في الأنفاقِ فالمحققونَ يستعملونَهُ في امورِ الآخرةِ، وبالجملةِ فالكلُّ[3] حسنٌ، وقد عملَ بالأوَّلِ وبالثَّاني آخرونَ.

الخامسُ[4] إذا تعدَّدت الدَّرُوسُ قُدِّمَ الأشرفُ فالاشرفُ، والأهمُ فالأهمُ، فيُقدَّمُ تفسيرُ القرآنِ ثم الحديثُ ثم اصُولُ الدِّين، ثم المذهبُ، ثم الخلافُ، أو النحوُ أو الجدلُ.

قلتُ[5]: وهذا حيثُ اتَّخذَ القاري، أوْ لم يعوِّلْ على السبقِ على ما سيأتي.

وكانَ بعضُ العلماءِ الزهادِ يختمُ الدروسَ بدرسِ رقائِقٍ يفيدُ بهِ الحاضرينَ تطهيرَ الباطنِ، ونحوِ ذلكَ من عظةٍ ورِقَّةٍ وزهدٍ وصبرٍ، فانْ كانَ في مدرسةٍ، ولَوافَقَها في الدَّروسِ شرطٌ اتَّبعَهُ، ولا يخلُّ بما هو أهمُّ ما بُنيتْ لهُ تلكَ البنيةُ ووُقِفَتْ لاجلهِ.

---

(1) سورة التحريم الآية: ٦.

(2) الحديث أورده البخاري في صحيحه ١/٩٢.

(3) لو قال: (وكل ذلك حسن) أصح، لأن (كل) لا تعرّف بالألف واللام، بل تكون ملازمة للاضافة.

(4) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٥-٣٩.

(5) هذا السطر من المصنف.

ويصلُ في درسه ما ينبغي وصلَه ، ويقفُ في مواضعِ الوقفِ ، ومنقطعِ الكلامِ ، و لايذكرُ شبهةً في الدِّين في درسٍ ، ويؤخرُ الجوابَ عنها إلى درسٍ آخر ، بل يذكرهما جميعاً ، أو يدعهما جميعاً ، وينبغي ألاّ يطيلَ الدَّرسَ تطويلاً يُملُّ ، ولا يقصره تقصيراً يخلُّ ، ويراعي في ذلكَ مصلحةَ الحاضرينَ ، ولا يبحثُ في مقامٍ ، أو يتكلَّمُ في فائدةٍ إلاّ في موضعِ ذلكَ ، فلا يقدمهُ عليهِ ولا يؤخرهُ عنه إلاّ لمصلحةٍ تقتضِي ذلكَ ، ويرجِّحهُ .

السادس[1] ألاّ يرفعَ صوتَهُ زائداً على قدرِ الحاجةِ ، ولا يخفضهُ خفضاً لا يحصلُ معَهُ كمالُ الفائدةِ ، روَى الخطيبُ في الجامعِ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ قالَ : (إنَّ اللهُ يُحبُّ الصوتَ الخفيضَ ، ويبغضُ الصوتَ الرفيعَ)[2] ، وقالَ أبو عثمان بن امامنَا الشَّافعي : (ما سمعتُ أبي يُناضرُ [٦٧ظ] فرفعَ صوتَهُ)[3]، قال البيهقي : (أرادَ ـ واللهُ أعلم ـ فوقَ عادتهِ)[4] ، الأولَى أن لا يجاوزَ صوتُهُ مجلسَهُ ، ولا يقصرُ عن سماعِ الحاضرينَ ، فإنْ حضَر فيهم ثقيلُ السَّمعِ ، فلا بأسَ بعلوِّ صوتهِ بقدرِ ما يسمعهُ ، فقد رُوِيَ في فضيلةِ ذلكَ حديثٌ :

---

(١) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٩ .

(٢) كتاب الجامع للخطيب البغدادي ٢/٥٨ .

(٣) مناقب الشافعي ١/٢١٦ .

(٤) مناقب الشافعي ١/٢١٧ .

(ولا يسردُ الكلامَ سرداً بل يرتلهُ ويرتبهُ ويتمهلُ فيهِ ليفكّرَ فيهِ هو وسامعهُ)[1] ، وقد رُوِيَ أَنَّ كلام رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ كانَ فصلاً يفهمهُ مَنْ سمعهُ ، وأَنَّهُ كانَ إذا تكلَّمَ بكلمةٍ أعادها ثلاثاً ليُفهَمَ عنهُ ، وإذا فرغَ من مسألةٍ أوْ فصلٍ سكتَ قليلاً حتَّى يتكلَّمَ مَنْ في نفسهِ كلامٌ عليهِ ، لأَنَّا سنذكرُ إنْ شاءَ اللهُ أَنَّهُ لا يُقطَعُ على العالِمِ كلامهُ ، فاذا لم يسكتْ هذهِ السكتةَ رُبَّما فاتتِ الفائدَةُ ٠

السابعُ أَنْ يصونَ مجلسَهُ عن اللَّغطِ ، فانَّ الغلطَ تحتَ اللَّغطِ ، وعن رفعِ الأَصواتِ واختلافِ جهاتِ البحثِ ٠ قالَ الربيعُ : (كانَ الشَّافعي اذا ناظرهُ انسانٌ في مسألةٍ فغدا الى غيرِها ، يقولُ : نفرغُ من هذهِ المسألةِ ثم نصيرُ الى ما تُريدُ)[3] ، ويلتطفُ في دفعِ ذلكَ في مباديهِ قبلَ انتشارهِ وثورانِ النُّفُوسِ ، ويذكّرُ الحاضرينَ بما جاءَ في كراهةِ المماراةِ ، لاسيما بعدَ ظهُورِ الحقِّ ، وإنَّ مقصودَ الاجتماعِ ظهُورُ الحقِّ وصفاءُ القلوب وطلبُ الفائدةِ ، وإنَّهُ لا يليقُ بأهلِ العلمِ تعاطي المنافسةَ والشَّحناء،

---

(١) الحديث عن عائشة ام المؤمنين كما ذكر ابو داود وهو : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث مثل سردكم) سنن أبي داود ٢/٢٨٨ ، الفقيه والمتفقه ٢/١٢٣ ٠

(٢) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٠ ٠

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٠ ٠

لأَنَّها سببُ العداوةِ والبغضاءِ ، بل يجبُ أَنْ يكونَ الاجتماعُ ومقصودُهُ خالصاً للهِ تعالى لتُثمرَ الفائدةُ في الدُّنيا والسَّعادةُ في الآخرةِ ، ويتذكَّرُ قولَهُ تعالى : (لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ)[1] [٦٨و] ، فانَّهُ يُفهَمُ أنَّ إرادةَ ابطالِ الحَقِّ وتحقيقِ الباطِلِ صفةُ إجرامٍ ، فليحذرْ منهُ ٠

الثامنُ[2] أَنْ يزجرَ من تعدَّى في بحثهِ ، أَو ظهرَ منهُ لَدَدٌ في بحثهِ ، أَوْ سوءُ أَدبٍ ، أوْ تركَ الأنصافَ بعدَ ظهُورِ الحقِّ ، أَو أكثرَ الصِّياحَ بغيرِ فائدةٍ ، أَو أَساءَ أدبَهُ علَى غيرِهِ من الحاضرينَ أو الغائبينَ ، أَو ترَفَّعَ في المجلسِ علَى من هو أَوْلَى منهُ ، أَو نامَ ، أو تحدَّثَ معَ غيرِه ، أَوْ ضحكَ ، أو استهزأَ بأحدٍ من الحاضرينَ ، أو فَعلَ ما يخلُّ بأدبِ الطَّلبِ[3] في الحلقةِ ، وسيأتي تفصيلهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، هذا كلُّهُ بشرطِ أَنْ لا يترتبَ علَى ذلكَ مفسدَةٌ ترْبُو عليهِ ٠

(١) سورة الانفال الآية : ٨ ٠

(٢) النوع الثامن أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤١ ٠

(٣) وهذا ما يسمَّى بحفظ نظام القاعة في الوقت الحاضر لتعم الفائدة لجميع الطلبة ٠

وينبغي أَنْ يكونَ لهُ نقيبٌ[1] فطنٌ كيِّسٌ ذربٌ يرتِّبُ الحاضرينَ ، ومن يدخلُ عليهم علَى قدرِ منازلهِم ، ويوقظُ النَّائِمَ ، ويشيرُ إلى مَنْ تركَ ما ينبغي فعلَهُ ، أَو فعلَ ما ينبغي تركَهُ ، ويأمرُ بسماعِ الدُّروسِ والأنصاتِ لها .

التاسعُ[2] أنْ يلازمَ الأِنصافَ في بحثهِ وخطابهِ ، ويسمعَ السُّؤالَ من موردهِ على وجههِ ، وإنْ كانَ صغيراً ، ولا يترفَّعَ عن سماعهِ ، فيحرمُ الفائدةَ ، وإذا عجزَ عن تقريرِ ما أَوردَهُ ، أَو تحريرَ العبارةِ فيهِ لحياءٍ ، أَو قصورٍ ووقعَ على المعنَى ، عبَّرَ عن مرادهِ ، وبيَّنَ وجهَ ايرادهِ ، وردَّ على مَنْ ردَّ عليهِ ، ثُمَّ يُجيبُ بما عندَهُ ، أَوَ يطلبُ ذلكَ من غيرهِ ، (ويقصدُ بذلكَ النصحَ والارشادَ وطلبَ النَّجاةِ ، وما يعودُ نفعهُ علَى الكلِّ[3] ، ويُكلِّمُ كلَّ واحدٍ علَى قدرِ عقلهِ وفهمهِ ، فيجيبُ بما يحتملهُ حالُ السائلِ)[4] ، ويتروَّى فيما يجيبُ بهِ ، وإذا سئلَ عمَّا لَم يعلمْهُ قالَ : لا أَعلمهُ أو لا أَتحققهُ ، أو لا أَدري ، فمن العلمِ أَنْ يقولَ فيما لا يعلمُ لا أَعلمُ أَو اللهُ أَعلمُ ، فقد قالَ [٦٨ظ] ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عنهُ ، يا أَيُّها النَّاسُ

---

(١) وهذا ما يعرف بمراقب الصف أو القاعة في الوقت الحاضر .

(٢) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٢-٤٣.

(٣) هذا وهم من المصنف ، لأن كلمة (كل) لا تعرف بالألف واللام ، لأنها تكون ملازمة للاضافة .

(٤) العبارة التي بين القوسين من المصنف .

(من علمَ شيئاً فليقُلْ به ، ومَنْ لم يعلمْ فليقُلْ : اللهُ أَعلمُ ، فإنَّ من العلمِ أَنْ يقولَ لما لم يعلمْ : اللهُ أَعلمُ)[1] ، وعن بعضهم[2] (لا أَدري نصفُ العلمِ)[3] ، وعن ابن عباس : (إذا أَخطأَ العالمُ لا أَدري أُصيبتْ مقاتلهُ)[4] ، وقيلَ ينبغي للعالمِ أَنْ يورثَ أصحابَهُ لا أَدري لكثرةِ ما يقولها ٠

قالَ محمدُ[5] بن الحكم : (سألتُ الشافعي عن المتعةِ ، أَكانَ فيها طلاقٌ ، أَو ميراثٌ ، أو نفقةٌ تجبُ ، أَو شهادةٌ ؟ فقالَ : واللهِ ما أَدري)[6] ٠

واعلم أنَّ قولَ المسؤولِ : لا أَدري لا يضعُ من قدرهِ كما يظنُّهُ بعضُ الجهلةِ ، لأَنَّ المتمكنَ لايضرهُ عدمُ معرفةِ بعضِ المسائلِ ، بل يرفعُهُ قولُهُ لا أَدري ، لأَنَّهُ دليلٌ علَى عظمِ محلهِ ، وقوَّةِ دينهِ ، وتقوَى ربِّهِ ، وطهارةِ قلبهِ ، وكمالِ معرفتهِ ، وحسنِ تثبتهِ ، وقد روينَا معنَى ذلكَ عن جماعةٍ من السَّلفِ ،

---

(١) سنن الدارمي ٥٦/١ ٠

(٢) هو الشعبي كما ذكر الدارمي في سننهِ ٥٧/١ ٠

(٣) سنن الدارمي ٥٧/١ ٠

(٤) مناقب الشافعي ١٥١/٢ ، وفيه عن مالك بن انس قال : سمعت محمد بن العجلان يقول ، وذكر الكلام ٠

(٥) هو محمد بن عبدالله بن الحكم ، فقيه شافعي انتهت اليه رئاسة العلم في مصر ، توفي سنة (٢٦٨هـ) ٠ ترجمته في وفيات الاعيان ٥٧٨/١ ٠

(٦) مناقب الشافعي ١٥٢/٢ ٠

وإنَّما يأنفُ من قولِ لا أَدري مَنْ ضعُفتْ ديانتهُ ، وقلَّتْ معرفتهُ ، لأَنَّهُ يخافُ من سقوطهِ من أَعينِ الحاضرينَ ، ولا يخافُ من سقوطهِ من نظرِ ربِّ العالمينَ ، وهذهِ جهالةٌ ورقةُ دينٍ ، وربَّما يشتهرُ خطأهُ بينَ النَّاسِ ، فيقعُ فيما فرَّ منهُ ، ويتَّصفُ عندَهم بما احترزَ عنهُ ، وقد أَدَّبَ اللهُ تعالى العلماءَ بقصَّةِ موسى معَ الخَضِرِ عليهما السَّلامُ حينَ لم يردَّ موسى العلمَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لمَّا سُئِلَ هل في الأَرضِ أَعلمُ منكَ(1) ؟ .

العاشرُ(2) أَنْ يتودَّدَ لغريبٍ حضرَ عندَهُ وينبسطَ لهُ ، لينشرحَ صدرهُ ، فإنَّ للقادمِ دهشةً ، ولا يكثرُ الالتفاتَ والنظرَ إليه استغراباً لهُ ، فإنَّ ذلكَ يخجلهُ . وإذا أَقبلَ بعضُ الفضلاءِ ، وقد شرعَ في مسألةٍ أَمسكَ عنها حتَّى يجلسَ ، وإنْ جاءَ وهو يبحثُ [٦٩و] في مسألةٍ أَعادها لهُ ، أو مقصودَها . وإذا أَقبلَ فقيهٌ وقد بقيَ لفراغهِ وقيامِ الجماعةِ بقدرِ ما يصلُ الفقيهُ إلى المجلسِ فليؤخر تلكَ البقيَّةَ ، ويشتغلُ عنها ببحثٍ أَو غيرهِ إلى أَنْ يجلسَ الفقيهُ ،

(1) عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان موسى عليه السلام قام خطيباً في بني اسرائيل ، فسُئِلَ أي الناس اعلم ؟ قال : أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك ... الخ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٩٢ .

(2) النوع العاشر اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص٤٣ ـ ٤٤ .

ثم يعيدُهَا ، أَوْ يُتمَّ تلكَ البقيَّةَ ، كيلا يخجلَ المقبلُ بقيامِهم عندَ جلوسهِ . وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقتِ الحضورِ وتأخيرهِ إذ لم يكُنْ عليهِ فيهِ ضرورةٌ ولا مزيدَ كلفةٍ ، وأفتى بعضُ أكابرِ العلماءِ أَنَّ المدرِّسَ إذا ذكرَ الدَّرسَ في مدرستهِ قبلَ طلوعِ الشَّمسِ ، أَو أَخَّرَهُ إلى بعدَ الظهرِ ، لم يستحقْ معلومَ التدريسِ إلاَّ أن يقتضيهِ شرطُ الواقفِ ، لمخالتفهِ العرفَ المعتادَ في ذلكَ .

الحادي(١) عشرَ جرتِ العادةُ أَنْ يقولَ المدرِّسُ عندَ ختمِ كلِّ درسٍ واللهُ أَعلمُ ، وكذلكَ يكتبُ المفتي بعدَ كتابةِ الجوَّابِ ، لكنَّ الأَولى أنْ يُقَالَ قبلَ ذلكَ كلامٌ يُشعِرُ بختمِ الدَّرسِ ، كقولهِ : وهذا آخرُهُ ، أَو ما بعدَهُ يأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، ونحو ذلكَ ، ليكونَ واللهُ أعلمُ خالصاً لذكرِ اللهِ تعالى ، ولقصدِ معناهُ ، ولهذا ينبغي أَنْ يستفتحَ كلَّ درسٍ ببسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، أو الحمدُ للهِ ، كما يفتتحُ جوابَ الفتيا بذلكَ ، ليكونَ ذاكراً للهَ تعالى في بدايتهِ وخاتمتهِ .

والأولى للمدرِّسِ أَنْ يمكثَ قليلاً بعدَ قيامَ الجماعةِ ، فانَّ فيهِ فوائدَ وآداباً لهُ ولهم ، منها عدمُ مزاحمتِهم ، ومنها إنْ كانَ في نفسِ أَحدٍ بقايا

---

(١) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص٤٤ ـ ٤٥ .

سُؤالِ سائلهُ، ومنها عدمُ ركوبهِ بينهم إن كانَ يركبُ وغيرُ ذلكَ .

ويُستحبُّ إذا قامَ أَن يدعُوَ بما وردَ بهِ الحديثُ : (سُبحانكَ اللهُمَّ وبحمدِكَ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ أستغفرُكَ وأَتوبُ [٦٩ظ] إليكَ)[1] .

الثاني[2] عشرَ أَنْ لا ينتصبَ للتدريسِ إذا لم يكُنْ أَهلاً لهُ ، ولا يذكرَ الدَّرسَ من علمٍ لا يعرفهُ سَواءً شرطهُ الواقفُ أَوْ لم يشرطْهُ ، فإنَّ ذلكَ لعبٌ في الدِّينِ وإزراءٌ بينَ النَّاسِ .

قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ : (المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ)[3] ، وعن الشّبلي[4]: (من تصَدَّرَ قبلَ أوانهِ ، فقد تصدَّى لهوانهِ)[5] . وعن أَبي حنيفة : (من طلبَ

---

(١) الدعاء للدكتور محمد السيد طنطاوي ص١٩٥ ، وفيه عن أبي هريرة.

(٢) النوع الثاني عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) شرح المهذب ٥٨/١ ، جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ٢٦٩/١ .

(٤) هو أبو بكر الشبلي دُلفُ بن جَحْدَر ، أو جعفر ، أصله من خراسان ، وولد في بغداد ، كان عالماً وفقيهاً من فقهاء المالكية ، توفي سنة (٣٣٤هـ) .
ترجمته في حلية الاولياء ٣٦٦/١٠ ، صفة الصفوة ٣٥٨/٢ ، شذرات الذهب ٣٣٨/٢ .

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٥ .

الرئاسةَ في غيرِ حينه لم يزلْ في ذلٍّ ما بقيَ)[1] ، واللبيبُ مَنْ صانَ نفسَهُ عن تعرّضِها لما يُعدُّ فيه ناقصاً أو بتعاطيه ظالماً أو باصراره فاسقاً ، فانّهُ متى لم يكنْ أهلاً لما شرطه الواقفُ في وقفه ، أو لما يقتضيه عرفَ مثله ، كانَ باصراره على تناولِ ما لا يستحقّهُ فاسقاً ، فانْ كانَ الواقفُ شرطَ في الوقفِ أنْ يكونَ المدرّسُ عامياً ، أو جاهلاً لم يصحَّ شرطهُ ، وإن شرطَ جعْلَ ناقصٍ مخصوصٍ مدرّساً ، سقطَ اسمُ الفسقِ وخطرُ الأثمِ ، ويبقى النقصُ بهِ والاستهزاءُ بهِ لحالهِ ، ولا يرضى ذلكَ لنفسه أريبٌ ، ولا يتعاطاهُ معَ الغنى عنهُ لبيبٌ ، ولا يظهرُ من واقفٍ شرطُ ذلكَ قصدَ الانتفاع ، ولا يؤولُ أمرُ وقفهِ إلاّ إلى ضياعٍ ، وأقلُّ مفاسدَ ذلكَ أنَّ الحاضرينَ يفقدونَ الأنصافَ لعدمِ من يرجعونَ اليهِ عندَ الأختلاف ، لأنَّ ربَّ الصدرِ لا يعرفُ المصيبَ فينصرهُ ، أو المخطيء فيزجرهُ .

وقيلَ لأبي حنيفة رحمهُ اللهُ في المسجد حلقةٌ ينظرونَ في الفقه ، فقالَ : (ألهُم رأسٌ ؟ قالُوا : لا ، قالَ : لا يفقهُ هؤلاءِ أبداً)[2] ، ولبعضهم في تدريس من لا يصلح :

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٥ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/٨٣ ، وفيه أخبرني بعض الكوفيين : (قيل لأبي حنيفة ... الخ) .

تصدَّرَ[1] للدَّرسِ كلُّ مهوِّس
جَهُول ليُسمَّى بالفقيهِ المدرِّسِ

[٧٠و] فحق لأهلِ العلمِ أنْ يتمثلوا
ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كلٍّ مجلسِ

لَقَدْ هَزلتْ حتَّى بدا مِنْ هزالِها
كلاها وَحتَّى سامَها كلُّ مفلسِ

---

(1) هذه الابيات لم يذكرها أحد إلا بدرالدين بن جماعة في كتابه تذكرة السامع والمتكلم ص٤٦ .

الفصل[1] الثالث

في آداب العالم مع طلبته مطلقاً وفي حلقته

وهو أربعة عشر نوعاً :

الأول أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ، ونشر العلم ، وإحياء الشرع ، وظهور الحق ، وخمول الباطل ، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها ، وإغتنام ثوابهم ، وتحصيل ثواب من ينتهي اليه علمه من بعدهم ، وبركة دعائهم له ، وترحمهم عليه ، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وعداده في حملة مبلغي وحي الله واحكامه ، فان تعليمه العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين . على ما سبق إيضاحه أولاً ، ونعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته .

الثاني[2] أن لا يمتنع من تعليم الطالب ، لعدم خلوص نيته ، قال في شرح المهذب : (قالوا : وينبغي أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ، فانه يرجى له حسن النية ، وربما عسر في كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية ، لضعف نفوسهم ، وقلة انسهم بموجبات تصحيح

---

(١) الفصل والنوع آخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) هذا السطر من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٧ .

النيَّـــةِ ، والامتناعُ من تعليمهم يؤدي الى تفويتِ كثيرٍ من العلمِ معَ أنَّهُ يُرجَى ببركةِ العلمِ تصحيحـها إذا أَنِسَ بالعلمِ ، وقد قالوا : (طلبنـا العلمَ لغيـرِ الله فأبَـى أَنْ يكونَ إلاَّ للهِ)[1] ، معناهُ صارتْ عاقبتهُ أنْ صارَ للهِ)[2] إنتهى .

وينبغي للشيخ أَنْ يحرِّضَ[3] المبتَديء على حسنِ النيَّةِ بتدريجٍ ، ويعلِّمهُ بعدَ أنسه [٧٠ظ] بهِ أَنَّهُ ببركةِ حسنِ النيَّةِ ينالُ الرُّتبةَ العليَّةَ من العلمِ والعملِ ، وفيضَ اللَّطائفِ وأَنواعَ الحُكمِ ، وتنوير القلب ، وانشراحَ الصدرِ ، وتوفيقَ العزمِ ، واصابةَ الحقِّ وحسنَ الحالِ ، والتَّسديدَ في المقالِ ، وعلـوَّ الـدرجاتِ .

الثالث[4] أَنْ يرغِّبَهُ في العـلمِ وطلبـهِ في كثيرِ الأَوقاتِ بذكرِ ما أَعدَّ اللهُ تعالى للعلمـاءِ من منـالِ الكراماتِ ، وأنَّهم ورثةُ الأَنبياءِ ، وعلـى منابرَ مـن نورٍ يغبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ ونحو ذلكَ مما وردَ في فضلِ العلمِ والعلماءِ ، من الآياتِ والأخبارِ والآثـارِ والأَشعارِ ، ويرغِّبُهُ[5] مـعَ ذلكَ بتدريجِ مـا يعينُ

---

(١) الحديث في سنن الدارمي ٨٥/١ .

(٢) النص من شرح المهذب ص٥٠ ـ ٥١ .

(٣) تكملة النوع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٨ .

(٤) النوع الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٨ـ٤٩.

(٥) فالاستاذ الناجح في درسه في الوقت الحاضر ، هو الذي يجعل طلبته يقبلون على العلم برغبة ، لأن الرغبة هي التي تجعل الطالب مجداً مجتهداً مبتكراً ، يفيد الامة والوطن .

علَى تحصيله مِن الاقتصارِ علَى الميسورِ وقدرِ الكفايةِ من الدّنيا ، والقناعةِ بذلكَ عن شغلِ القلبِ بالتعلّقِ بها وغلبةِ الفكرِ وتفريقِ الهمِّ بسببِهَا ، فإنَّ انصرافَ القلبِ عن تعلّقِ الأطماعِ بالدّنيا والأكثارِ منها ، والتأسُّفِ علَى فائتها أجمعُ لقلبهِ ، وأروحُ لسرِّهِ ، وأشرفُ لنفسه ، وأعلَى لمكانتهِ ، وأقلُ لحسَّادهِ ، وأجدرُ بحفظِ العلمِ وازديادهِ ، ولذلكَ قلَّ منْ نالَ من العلمِ نصيباً وافراً إلاَّ من كانَ في مباديء تحصيلهِ على ما ذكرتُ من الفقرِ والقناعةِ والاعراضِ عن طلبِ الدّنيا وعرضِها الفاني ، وسيأتي في هذا النوعِ أكثرُ من هذا في أدبِ المتعلِّمِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ٠

الرابعُ[1] أنْ يُحبَّ لطالبهِ ما يُحبُّ لنفسهِ ، كما جاءَ في الحديثِ : (ويكرهُ لهُ ما يكرهُ لنفسه)[2]٠ قالَ ابنُ عباس : (أكرمُ النّاسِ عليَّ جليسي الّذي يتخطّى رقابَ النّاسِ إليَّ ، لو استطعتُ أنْ لا يقع الذّبابُ عليهِ لفعلتُ ، وفي روايةٍ أنَّ الذّبابَ ليقعُ عليه فيؤذيني)[3]٠ وينبغي أن يعتني بمصالحِ الطالبِ ويعاملهُ بما يعاملُ بهِ أعزَّ أولادهِ من الحنو والشفقةِ [٧١و] عليهِ ، والاحسانِ إليهِ ، والصبرِ علَى جفاءٍ[4]

---

(١) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٩ـ٥٠٠

(٢) يقصد الحديث الشريف : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه) شرح المهذب ١/٥١ ٠

(٣) كلام ابن عباس في الفقيه والمتفقه ٢/١١٢ ، شرح المهذب ١/٥١ ٠

(٤) في ب (خطأ) وهو تحريف ٠

رُبَّما وقعَ منهُ ، ونقصٍ لا يكادُ يخلُو الأنسانُ عنهُ ، وسُوءِ أَدبٍ في بعضِ الأَحيانِ ، ويبسطَ عذرَهُ بحسبِ الامكانِ ، ويوقفَهُ معَ ذلكَ علَى ما صدرَ منهُ بنصحٍ وتَلَطُّفٍ ، لا بتعنيفٍ وتعسُّفٍ قَاصِداً بذلكَ حسنَ تربيتِهِ وتحسينَ خُلُقِهِ وإصلاحَ شأنِهِ ، فإنْ عرفَ ذلكَ لذكائهِ بالاشارةِ ، فلا حاجةَ إلى تصريحِ العبارَةِ ، وإنْ لم يفهمْ ذلكَ إلاَّ بصريحِها أَتَى بهِ ، وراعَى التدريجَ في التَّلَطُّفِ ، ويؤَدِّبُهُ بالآدابِ السنيَّةِ ، ويحرِّضهُ علَى الأخلاقِ المرضيَّةِ ، ويوصيهِ بالأمورِ العرفيَّةِ الموافقةِ للاوضاعِ الشرعيَّةِ .

الخامسُ[1] أَنْ يسمحَ لهُ بسهولةِ الالقاءِ في تعليمه ، وحسنِ التلطُّفِ في تفهيمه ، لاسيما إذا كَانَ أهلاً لذَلكَ لحسنِ أَدبِهِ وجودةِ طلبه ، ويحرِّضهُ علَى ضبطِ الفوائدِ وحفظِ النَّوَادرِ الفرائدِ ، ولا يدخرُ عنهُ من أَنواعِ العلومِ ، وما يسألهُ عنهُ ، وهو أهلٌ لهُ ، لأَنَّ ذلكَ رُبَّما يوحشُ الصدرَ وينفرُ القلبَ ، ويورثُ الوحشةَ .

وكذلكَ لا يُلقي اليهِ ما لم يتأهلْ لهُ ، لأنَّ ذلكَ يبدِّدُ ذهنَهُ ، ويفرِقُ فَهمَهُ[2]، فإنْ سأَلهُ الطالبُ شيئاً من ذلكَ لم يُجبْهُ ، ويعرِّفهُ أَنَّ ذلكَ يضرُّهُ ولا ينفعُهُ ، وأَنَّ منعَهُ إيَّاهُ شفقةٌ عليهِ ، ولطفٌ

---

(١) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥١ـ٥٢.

(٢) في (ب) : (همه) وهو تحريف .

بهِ لا بخلاً عليه ، ثم يرغّبهُ عندَ ذلكَ في الاجتهادِ والتحصيلِ ، ليتأهلَ لذلكَ وغيرهِ . وقد رُوِيَ في تفسيرِ الرّبانيّ أنّهُ الّذي يُربي النّاسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارهِ .

السادسُ[1] أنْ يحرصَ علَى تعليمهِ وتفهيمهِ ببذلِ جهدهِ وتقريب المعنَى لهُ من غيرِ اكثارٍ لايحتملهُ ذهنه ، أو بسطٍ لا يضبطهُ حفظهُ ، ويوضّحَ لمتوقفِ الذّهنِ العبارة [٧١ظ] ويحتسبَ إعادةَ الشّرحِ له وتكرارهِ . ويبدأَ بتصويرِ[2] المسائلِ وتوضيحها بالأمثلة وذكرِ الدّلائلِ ، ويقتصرَ على تصويرِ المسألةِ وتمثيلها لمن لَم يتأهلْ لفهمِ مأخذِها ودليلها ، ويذكرَ الأدلةَ والمآخذَ لمحتملها ، ويبيّنَ لهُ معاني أسرارِ حُكمها وعِلَلها ، وما يتعلّقُ بتلك المسألةِ من فرعٍ وأصلٍ ، ومن وهمٍ فيها في حُكمٍ ، أوْ تخريجٍ ، أو نقلِ عبارةٍ حسنةِ الأداءِ بعيدةٍ عن تنصيصِ أحدٍ من العلماءِ ، ويقصدَ ببيانِ ذلكَ الوهمِ طريقَ النّصيحةِ ، وتعريفَ النّقولِ الصّحيحةِ ، ويذكرَ ما يشابهُ تلكَ المسألةَ ، ويناسبُها ، ويفارقُها ، ويقاربُها ، ويبيّنَ مأخذَ الحكمينِ والفرقَ بينَ المسألتينِ . ولا يمتنعُ من

---

(١) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٢-٥٣.

(٢) التصوير والتوضيح : اي استعمال وسائل بيانية تقرب معنى المسائل الى الطلاب بحيث يتمكنون من فهم المسألة ، واكثر ما تستعمل هذه الوسائل مع الطلاب الذين تقل معرفتهم للمسائل الصعبة ، وقد تستعمل هذه الوسائل بكثرة مع الطلاب المبتدئين في الدراسة ، حيث يستعمل لهم المعلم وسائل الايضاح لتقريب الدرس الى اذهانهم.

ذكرِ لفظةٍ يَستحيي من ذكرها عادةً إذا احتيجَ اليها ، ولم يتمَّ التوضيحُ إلاَّ بذكرِها ، فانْ كانتِ الكنايةُ تفيدُ معناها وتحصِّلُ مقتضاها تحصيلاً بيِّناً ، لم يصرِّحْ بذكرِها بل يكتفي بالكنايةِ عنها ، وكذلكَ إذا كانَ في المجلسِ من لا يليقُ ذكرها بحضورِه ، لحيائهِ أوْ لجفائهِ يكنَّى عن تلكَ اللَّفظة ، ولهذهِ المعاني واختلاف الحال ورودٌ في حديثِ النَّبيِّ صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ التصريحُ تارةً ، والكنايةُ اخرى .

السابعُ[1] إذا فرغَ الشيخُ من شرحِ درسٍ فلا بأسَ بطرحِ مسائلِ تتعلَّقُ بهِ علَى الطَّلبةِ يمتحنُ بها فهمَهم وضبطَهم لَما شرحَ لهم، فمَنْ ظهرَ استحكامُ فهمه لهُ بتكرارِ الأصابةِ في جوابهِ شكرهُ ، ومن لم يفهمْهُ تلطَّفَ في اعادتهِ لَهُ ، والمعنَى بطرحِ المسائلِ انَّ الطالبَ ربما استحيا من قوله : لم أفهم ، إمَّا لرفعِ كلفة الأعادة على[2] الشيخِ ، أَولضيقِ الوقتِ ، أو حياءً من الحاضرينَ ، أو كيلا [٧٢و] تتأخرَ قراءتهم بسببهِ .

لذلكَ قيلَ لا ينبغي للشيخِ أَن يقولَ للطالب : هل فهمتَ ؟ إلاَّ إذا أَمِنَ من قولهِ : نعم قبلَ أن يفهمَ ، فانْ لم يأمنْ من كذبهِ لحياءٍ أَو غيرهِ ، فلا يسألهُ عن فهمِه ، لأَنّهُ رُبَّما وقعَ في الكذبِ بقولهِ : نعم لما

(١) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٣ـ٥٤ .

(٢) كذا في ب ، وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي الاصل ، (م) (عن) وهو تحريف .

قلناهُ من الأَسبابِ ، بل يطرحُ عليهِ مسائِلَ[1] كما ذكرناهُ ، فانْ سألَهُ الشيخُ عن فهمه فقالَ : نعم ، فلا يطرحُ عليهِ المسائِلَ بعدَ ذلكَ إلاَّ أَن يستدعي الطالبَ ذلكَ لأَحتمالِ خجلهِ بظهورِ خلافِ ما أَجاب بهِ .

وينبغي للشيخِ أَنْ يأمرَ الطلبةَ بالمرافقةِ في الدَّرسِ كما سيأتي إن شاءَ اللهُ تعالى ، وباعادة الشَّرحِ بعدَ فراغهِ فيما بينهم ليثبتَ في أذهانهم ويترسَّخَ في أفهامهم ، ولأَنَّهُ يحثُّهُم علَى استعمالِ الفكرِ ، ومؤاخذةِ النفسِ بطلبِ التَّحقيقِ .

الثامنُ[2] أَنْ يطالبَ الطلبةَ في بعضِ الأوقاتِ باعادةِ المحفوظاتِ ، ويمتحنَ ضبطَهم لمَا قدَّمَ لهم من القواعدِ المهمَّةِ ، والمسائلِ الغريبةَ ، ويختبرَهم بمسائلَ تنبَني علَى أَصلِ قدرهِ ودليلِ ذكرهِ .

فمن رآه مصيباً في الجوابِ ولم يخفْ عليهِ شدَّةَ الأعجابِ شكرهُ وأَثنَى عليهِ بينَ أَصحابهِ ، ليبعثَهُ وإيَّاهم علَى الاجتهادِ في طلبِ الازديادِ ، ومَن رآهُ[3]

---

(١) وهو ما يعرف في الوقت الحاضر بالمناقشة ، التي يسمح بها الاستاذ بعد القاء المحاضرة ، كي يتعرف بها على قابليات الطلاب العلمية .

(٢) النوع الثامن أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٤ـ٥٥ .

(٣) اي يستعمل طريقة المنافسة العلمية ، وذلك بالثناء على المصيب اورشاد المخطيء الى الصواب .

مُقصِّراً ولم يخفَ نفورَهُ عنَّفهُ علَى قصورِهِ ، وحرَّضَهُ علَى علوِّ الهمةِ ، ونيلِ المنزلةِ في طلبِ العلمِ ، لاسيما إنْ كانَ ممَّن يزيدهُ التَّعنيفُ نشاطاً ، والشكرُ إنبساطاً ، ويعيدُ ما يقتضي الحالُ اعادتهُ ليفهمَهُ الطالبُ فهماً راسخاً ·

التاسعُ[1] إذا سلكَ الطَّالبُ في التحصيلِ فوقَ ما تقتضيهِ حالهُ ، أَو تحملهُ طاقتهُ ، وخافَ الشيخُ ضجرَهُ أَوصاهُ بالرِّفقِ بنفسهِ ، وذكَّرهُ بقولِ النَّبيِّ [٧٢ظ] صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (إنَّ المنبتَّ لا أَرضاً قطعَ ولا ظهراً أَبقَى)[2] ، ونحو ذلكَ ممَّا يحملهُ على الاناءةِ والاقتصادِ في الاجتهادِ ، وكذلكَ إذا ظهرَ لهُ منهُ نوعُ سئامةٍ ، أَو ضجرٍ ، أو مبادي ذلكَ ، أَمرهُ بالرَّاحةِ وتخفيفِ الاشتغالِ ، ولا يشيرُ علَى الطالبِ بتعلُّمِ ما لا يحتملهُ فهمهُ ، أَوْ سنُّهُ ، ولا بكتابٍ يقصُرُ ذهنهُ عن فهمهِ ، فانْ استشارَ الشيخَ مَنْ لا يعرفُ حالَهُ في الفهمِ والحفظِ ، في قراءةِ فنٍّ ، أو كتابٍ ، لم يُشرْ عليهِ بشيءٍ حتَّى يُجرِّبَ ذهنَهُ ، ويعلمَ حالَهُ ، فانِ لم يحتملِ الحالُ التأخيرَ ، أَشارَ عليهِ بكتابٍ سهلٍ من الفنِ المطلوبِ ، فانْ رأى ذهنَهُ قابلاً وفهمَهُ جيداً ، نقلَهُ الى كتابٍ

---

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٥ـ٥٧·

(٢) الحديث ذكره البيهقي في سننه الكبرى ٣/١٨ عن جابر بن عبدالله الانصاري : (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) ·

يليقُ بذهنه ، وإلاَّ تركهُ وذلكَ ، لأَنَّ نقلَ الطالبِ إلى مايدلُّ نقلَهُ اليهِ علَى جودةِ ذهنهِ يزيدُ انبساطَهُ ، وإلى ما يدلُّ على قصورهِ يقلِّلُ نشاطَهُ .

ولا يمكِّنُ الطالبَ من الاشتغالِ في فنَّينِ أَوْ أكثر إذا لم يضبطْهُما ، بل يقدِّمُ الأَهمَّ فالأَهمَّ كما سنذكرُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وإذا علِمَ أَوْ غلبَ علَى ظنِّهِ أنَّهُ لا يفلحُ في فنٍّ ، أشارَ اليهِ بتركهِ ، والانتقالِ إلى غيرِ مما يُرجَى فيهِ فلاحُهُ .

العاشرُ(1) أَنْ يذكرَ للطلبةِ قواعدَ(2) الفنِّ التي لا تنخرمُ ، إمَّا مطلقاً كتقديم المباشرةَ على السَّببِ في الضَّمان ، أَوْ غالباً كاليمينِ علَى المدَّعَى عليهِ إذا لم تكُنْ بيِّنَة" إلاَّ في القسامةِ والمسائلِ المستثناةِ من القواعد كقوله : العملُ بالجديد من كلِّ قولينِ قديمٍ وجديدٍ إلاَّ في أَربعَ عشرَةَ مسألةً ، ويذكرُها ، وكلُّ يمينٍ علَى نفي فعلِ الغيرِ ، فهي على نفي العلمِ إلاَّ مَنْ ادَّعَى عليهِ أَنَّ عبدَهُ جنَى فيحلفُ علَى البتِّ علَى الأَصحِّ ، وكلُّ عبادةٍ يخرجُ منها بفعلِ منافيها ومبطلها إلاَّ الحجَّ والعمرةَ ، وكلُّ وضوءٍ يجبُ فيهِ الترتيبُ إلاَّ وضوءاً [٧٣و] تخلَّلهُ غسلُ الجنابةِ وأشباهِ ذلكَ .

---

(1) النوع العاشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٧ـ٥٩.

(2) القواعد التي تسمى بالبديهيات التي يحتاجها الباحث في بحثه ، ويستشهد بها في كلامه .

ويبيِّنُ مأخذَ ذلكَ كُلِّهِ ، وكذلكَ كلَّ أَصل وما بُني عليهِ من كلِّ فنٍّ يحتاجُ إليهِ من علمي التَّفسيرِ والحديثِ ، وأَبوابِ اصولِ الدِّين والفقهِ والنحوِ والصرفِ واللغةِ ، ونحو ذلكَ إمَّا بقراءةِ كتابٍ في الفنِّ أو بتدرّجٍ علَى الطَّولِ ٠

وهذا كلّهُ إذا كانَ الشيخُ عارفاً بتلكَ الفنونِ ، وإلاَّ فلا يتعرَّضُ لها ، بل يقتصرُ علَى ما يتقنهُ منها ، ومن ذلكَ نوادرُ ما يقعُ من المسائِلِ الغريبةِ ، والفتاوي العجيبةِ ، والمعاني البليغةِ ، ونوادرِ الفروقِ والمعاياةِ ٠

ومن ذلكَ ما لا يسعُ الفاضلُ جهلَهُ كاسماءِ المشهورينَ من الصحابةِ والتابعينَ ومن بعدهم من أَئمةِ المسلمينَ ، وكبارِ الزُّهاد والصالحينَ ، كالخلفاءِ الأَربعَةِ ، وبقيَّةِ العشرةِ ، والنُّقباء الأثني عشر ، والبدريينَ ، والمكيينَ ، والعبادلة ، والفقهاء السبعة ، والأئمةِ الأربعةِ ، فيضبطُ اسماءَهم وكناهم ، وأَعمارَهُم ووفياتهم ، وما يُستفادُ من محاسنِ آدابِهم ، ونوادرِ أَحوالِهم ٠

فيحصلُ لهُ معَ الطولِ فوائدُ كثيرةُ النَّفعِ غزيرةُ الجميعِ ٠ واليحذر كلَّ الحذرِ من منافسة بعضهم لكثرةِ تحصيلهِ ، أو زيادةِ فضائله ، لأَنَّ ثوابَ فضائلهم عائدٌ اليهِ ، وحسنَ تربيتهم محسوبٌ عليهِ ، ولهُ من جهتهم في الدُّنيا الدعاءُ والثَّناءُ والذِّكرُ الجميلُ ، وفي الآخرةِ الثوابُ الجزيلُ ٠

الحادي[1] عشر أنْ لا يُظهرَ للطلبةِ تفضيلَ بعضِهم علَى بعضٍ عندَه في مودةٍ ، أَو اعتناءٍ مع تساويهم في الصِّفاتِ من سنٍّ ، أو فضيلةٍ ، أو تحصيلٍ ، أَو ديانةٍ فانَّ ذلكَ رُبَّما يوحشُ الصَّدرَ وينفرُ القلبَ ، فانْ كانَ بعضُهم [٧٣ظ] أكثرَ تحصيلاً وأشدَّ إجتهاداً وأحسنَ أدباً ، فأظهرَ إكرامَهُ وتفضيلَهُ ، وبيَّنَ أنَّ زيادةَ إكرامه لتلكَ الأسبابِ ، فلا بأسَ ، وبذلكَ ينشِّطُ ويبعثُ علَى الاتصافِ بتلكَ الصِّفَاتِ ٠

وكذلك لا يقدِّمُ أَحداً في نوبةِ غيره ، أَو يؤخره عن نوبتهِ إلاَّ إذا رأى في ذلكَ مَصلحةً تزيدُ على مصلحةِ مراعاةِ النَّوبة ، فانْ سمحَ بعضُهم لغيره في نوبتهِ فلا بأسَ ، كمَا سيأتي مفصَّلاً إنْ شاءَ اللّهُ تعالى ٠ وينبغي أَنْ يتوددَ لحاضرِهم ، ويذكرَ غائبَهم بخيرٍ ، وحسنِ ثناءٍ ٠ وينبغي أَن يستعلمَ أسماءَهم وانسابَهم ومواطنهم وأَحوالهم ، ويُكثرُ الدعاءَ لهم ٠

الثاني[2] عشر أنْ يراقبَ أحوالَ الطَّلبةِ في آدابِهم وهديهم وأخلاقِهم[3] باطناً وظاهراً ، فمن صدرَ منهُ من ذلكَ ما لا يليقُ من ارتكابِ محرَّمٍ ، أَو مكروهٍ ، أو

---

(١) النوع الحادي عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٩ — ٦٠ ٠

(٢) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦٠ — ٦١ ٠

(٣) **وهذا ما يسمَّى في الوقت الحاضر بالارشاد حيث يمسك الاستاذ سجلاً باسماء عدد من الطلبة يطلع فيه على مشاكلهم ، ويشاركهم** في حلها ، ويرشدهم الى الطريق الامثل ٠

ما يؤدي إلى فسادِ حالٍ ، أَو تركِ اشتغالٍ ، أَو اساءةِ أَدبٍ في حقِّ الشيخِ ، أو غيرهِ ، أَو كثرةِ كلامهِ بغيرِ توجيهٍ ولا فائدةٍ ، أَو حرصٍ على كثرةِ الكلامِ ، أو معاشرةِ من لا تليقُ معاشرتهُ ، أو غيرِ ذلكَ مما سيأتي ذكرهُ في أَدبِ المتعلِّمِ ، عرَّضَ الشيخُ بالنهي عن ذلكَ بحضورِ من صدرَ منهُ من غيرِ معرِّضٍ بهِ ولا معيِّنٍ لهُ ، فانْ لم ينتهِ نهاهُ عن ذلكَ سرّاً ، ويكتفي بالاشارةِ معَ مَنْ يكتفي بها ، فانْ لم ينتهِ نهاهُ عن ذلكَ جهراً ، ويغلظُ القولَ عليهِ إن اقتضاهُ الحالُ ، لينزجرَ هو وغيرهُ ، ويتأدبَ كلُّ سامعٍ ، فانْ لم ينتهِ فلا بأسَ حينئذٍ بطردهِ والأعراضِ عنهُ إلى أن يرجعَ ، وكذلكَ يتعاهدُ ما يعاملُ بهِ بعضهم بعضاً من إفشاءِ السَّلامِ وحسنِ التَّخاطبِ [٧٤و] في الكلامِ ، والتَّحابُبِ والتَّعاون علَى البرِّ والتقوى ، وعلَى ما هم بصددهِ .

الثالث(١) عشرَ أَن يسعَى في مصالحِ الطَّلبةِ وجمعِ قلوبهِم ومساعدتِهم بما يتيسرُ عليهِ من جاهٍ أَو مالٍ عندَ قدرتهِ علَى ذلكَ ، وسلامةِ دينهِ وعدمِ ضررهِ ، فانَّ اللهَ تعالى في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أَخيهِ ، ومن كانَ في حاجةِ أَخيهِ كانَ اللهُ في حاجتهِ ، ومن يسَّرَ على معسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ حسابَهُ يومَ القيامةِ ، ولاسيما إذا كانَ ذلكَ إعانةً علَى طلبِ

---

(١) النوع الثالث عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦١ ـ ٦٣ .

العلم ، وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائداً عن العادة سأل عنه ، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل اليه أو قصد منزله بنفسه ، وهو أفضل . فإن كان مريضاً عاده ، وإن كان في غم خفض [1] عليه ، أو في أمر يحتاج اليه فيه أعانه ، وإن كان مسافراً تفقد أهله ومن يتعلق به ، وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم ، ووصلهم بما أمكن ، وإن لم يكن في شيء من ذلك تودد اليه ودعا له .

واعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه واقرب أهله اليه ، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع به في حياتهم ومن بعدهم ، ولو لم يكن للعالم ، إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى ، فانه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي [٧٤ظ] صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا مات العبد إنقطع عمله إلا من ثلاث الحديث)[2] ، وقد أسلفنا الكلام عليه في الباب الأول ، وما ذكره البدر بن جماعة من إجتماع الثلاث في تعليم المعلم[3] .

---

(١) لعله خفف عليه .

(٢) الحديث في سنن الدارمي ١/١١٤ .

(٣) حذف المصنف في اخير النوع اثني عشر سطراً . ينظر تذكرة السامع ص٦٣ ــ ٦٤ .

الرابع[1] عشر أَنْ يتواضعَ معَ الطالبِ وكلّ مسترشدٍ إذا قامَ بما يجبُ عليه من حقوقِ اللهِ وحقوقه ، ويخفضَ لهُ جناحَهُ ويُلينَ لهُ جانبَهُ ، قالَ اللهُ تعالى لنبيِّه صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[2] ، وصحَّ عنهُ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ : (إنَّ اللهَ تعالى أَوْحَى إليَّ : أَنْ تَواضَعُوا ، وما تواضعَ أَحدٌ لله إلاَّ رفعَهُ اللهُ)[3] ، وهذا في التواضعِ لمطلقِ النَّاسِ فكيفَ لمن لهُ حقُّ الصحبةِ وحرمةُ التَّردّدِ وصدقُ التَّوددِ وشرفُ الطَّلبِ ، وهم كأولاده ؟ وفي الحديثِ : (لِينُوا لمن تُعلِّمُونَ ولِمن تتعلَّمُونَ منه)[4] • وعن الفضيلِ[5] : (إنَّ اللهَ يُحبُّ العالمَ المتواضعَ ، ويبغضُ الجبَّارَ ، ومنَ تواضعَ للهِ ورَّثهُ الحكمةَ)[6] •

---

(١) النوع الرابع عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع ص٦٤ ـ ٦٦ ، مع اضافة منه •

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٥ •

(٣) الحديث ذكره مالك في الموطأ ٢/١٠٠٠ ، والترمذي في صحيحه ٧/١٨٤ ، وابن حنبل في مسنده ٢/٨٦ ، وابو داود في سننه ٢/١٣٩٩ ، مع اختلاف في الفاظ الحديث في هذه المصادر •

(٤) الفقيه والمتفقه ٢/١١٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٥٤ ، شرح المهذب ١/٥٢ •

(٥) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن بشر ، خراساني من ناحية مرو ، مات سنة (٢٨٧هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٨٠/٨٤ ، الرسالة القشيرية ص٩ •

(٦) الفقيه والمتفقه ٢/١١٣ ، شرح المهذب ١/٥٢ •

وينبغي أَنْ يخاطبَ كلاً منهم لا سيما الفاضل[1] المتميزُ بكنيته ، ونحوها من أَحبِّ الأسماء اليه ، وما فيه تعظيمٌ لهُ وتوقيرٌ ، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها: (كَانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّمَ يكنِّي أصحابَهُ إكراماً لهُم)[2] . وكذلكَ ينبغي أَنْ يترحبَ[3] بالطَّلبةِ إذا لقيهم ، وعند إقبالهم عليه ، ويُكرِمُهم إذا جلسوا اليه ، ويؤْنِسهُم بسؤاله عن أَحوالهِم وأَحوالِ من يتعلَّقُ بهم ، بعدَ ردِّ سلامِهم ، ويعاملهم بطلاقةِ الوجهِ وظهورِ البشرِ وحُسْنِ المودةِ وإعلامِ المحبَّةِ ، ويزيدُ في ذلكَ لمن يُرجَى فلاحُهُ ويظهرُ صلاحُهُ ، وبالجملةِ فهمُ وصيَّةُ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ فيما رواهُ أبو سعيد [٧٥و] الخدري عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ قالَ : (إنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ ، وإنَّ رِجالاً يأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ في الدِّين ، فاذا أَتَوْكُمْ فاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيراً)[4] .

---

(١) في ب : (الفاضل منهم) .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/١١٩ .

(٣) كذا في الاصل ، م ، وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي (ب) : (يرحب)، وهو نفس المعنى .

(٤) الحديث في صحيح الترمذي ١٠/١١٩ ، سنن ابن ماجة ١/٩٢ ، شرح المهذب ١/٤٦ .

وكانَ[1] البويطي يُدنِي القُرَّاءَ ويقرِّبُهم إذا طلبُوا العلمَ ، ويعرِّفُهُم فضلَ الشَّافعِي وفضلَ كنيته ، ويقولُ : كانَ الشَّافعي يأمرُ بذلكَ ، ويقولُ : إصبرْ للغرباء ولغيرهم من التلاميذ[2] ، وقيلَ كانَ أبو حنيفةَ أكرمَ[3] النَّاسِ مُجالَسةً وأشدَّهُم إكراماً لأصحابه • (ويخصُّ بمزيد الأكرامِ وصرفِ العنايةِ في التَّعليمِ من ظهرتْ أهليته مِن ذوي البيوتاتِ ، وقد أخرجَ الخطيبُ عن محمد بن عبدالوهَّاب السُّكري قالَ : (كانَ سفيانُ إذا رأى هؤلاءِ النَّبطَ يكتبونَ الحديثَ تغيَّرَ وجههُ ويشتدُّ عليهِ ، قالَ : فقلتُ لهُ : يا أبا عبدالله نراكَ إذا رأيتَ هؤلاء يكتبونَ العلمَ يشتدُّ عليكَ ، قالَ : فيقولُ : كانَ العلمُ في العربِ وسادةِ النَّاسِ ، فاذا خرجَ من هؤلاءِ وصارَ في هؤلاءِ يعني النَّبطَ والسفلةَ غيَّروا الدِّينَ)[4] • وأخرجَ ـ أيضاً ـ عن سفيان بن حسين

---

(١) هو ابو يعقوب يوسف بن يحيى القرشي البويطي ، نسبة الى بويط من اعمال الصعيد ، من اصحاب الامام الشافعي الاجلاء ، قام مقامه في الدرس ، توفي في بغداد سنة (٢٣١هـ) ترجمته في تاريخ بغداد ٢٩٩/١٤ ، مفتاح السعادة ١٦٨/٢ ، الاعلام ٣٣٨/٩ •

(٢) مناقب الشافعي ١٤٧/٢ •

(٣) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : التلامذة •

(٤) ينظر وفيات الاعيان ترجمة النعمان بن ثابت ٤٠٨/٥ ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م •

(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٣ ، الجامع للخطيب ١٤٠/١ نفس النص •

قالَ : قَدِمَ علَى الأَعمش بعضُ السَّوادِ فاجتمعُوا اليه فأبَى أَنْ يحدِّثَهُم ، فقِيلَ لهُ يا أَبا محمد ، لو حدَّثتَهُم ، فقالَ : (من يعلِّقُ الدرَّ على الخنازيرِ)[1] .

قلتُ : (وفيهِ اشارةٌ إلى أنَّ الحكمةَ لا توضعَ في غيرِ أَهلِها)[2] .

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٥٦ ، وفيه : (ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً : واضع العلم في غير اهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والذهب) .

(٢) ما بين القوسين من المصنف ، لم يُذكر في تذكرة السامع والمتكلم .

الفصل[1] الرابع

في آدابِ المتعلِّمِ في نفسهِ

وهو عشرةُ أنواعٍ :

الأوّلُ : أنْ يطهِّرَ قلبَهُ من كلِّ غشٍّ ودنسٍ وغلٍّ وحسدٍ وسوءِ عقيدةٍ وخُلُقٍ ، ليصلحَ بذلكَ لقبولِ العلمِ وحفظهِ والأطِّلاعِ على دقائقِ معانيهِ وحقائقِ غوامضهِ ، فإنَّ العلمَ ـ كما قالَ بعضهُم ـ صلاةُ السرِّ وعبادةُ القلبِ [٧٥ظ] وقربةُ الباطنِ ، وكما لا تصحُّ الصَّلاةُ التي هي عبادةُ الجوارحِ الظَّاهرةِ إلاَّ بطهارةِ الظاهرِ من الحدثِ والخبثِ ، فكذلكَ لا يصحُّ العلمُ الذي هو عبادةُ القلبِ إلاَّ بطهارته عن خبثِ الصِّفاتِ ، وحدثِ مساوي الأخلاق ورديئِها • وقالوا : يُطيبُ القلبُ للعلمِ كما تُطيبُ الأرضُ للزرعِ ، فإذا طُيِّبَ العلمُ ظهرتْ بركتُهُ كما ينمو زرعُ الأرضِ ويزكو إذا طُيِّبَتْ ، وفي الحديث : (إنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجَسَدُ كلُّهُ ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كلُّهُ أَلاَ وهي القلبُ)[2] ، وقالَ سهلٌ :

---

(١) الفصل والعنوان والأنواع ابتداء من النوع الاول اخذها المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦٧ •

(٢) الحديث ورد في مسند ابن حنبل ٤/٢٧٠ ، ٢٧٤ وفي سنن ابن ماجة عن الشعبي ٢/١٣١٩ •

حرام على قلبٍ أن يدخلَه النور وفيه شيءٌ مما يكرهُ[1] اللهُ عزَّ وجلَّ .

الثاني[2] : حسنُ النيَّة في طلبِ العلمِ بأنْ يقصدَ به وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ والعملِ به ، واحياءِ الشريعة ، وتنوير قلبه ، وتحلية باطنه ، والقربِ من الله تعالى يومَ القيامةِ ، والتعرّضِ لما أعدَّ لأهلهِ من رضوانهِ وعظيمِ فضلهِ .

قالَ سفيانُ الثوري [رحمه اللهُ تعالى][3] : ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي ، ولا يقصدُ بهِ الأغراضَ الدنيويَّةَ من تحصيلِ الرئاسة ، والجاهِ ، والمالِ ، ومباهاةِ الأقرانِ ، وتعظيمِ النَّاسِ لهُ ، وتصديرهِ في المجالسِ ونحو ذلكَ ، فيستبدلَ الأدنى بالذي هو خيرٌ ، مع أنَّ هذه النيّاتِ لا توصلُه إلى مالم يقدِّرْه اللهُ له من ذلكَ ، بل يكونُ سبباً لحرمانِ قصده ، وقد سبقَ قولُ أبي يوسف : (أريدُوا بعلمكم اللهَ تعالى ، فانّي لم أجلسْ مجلساً قطُّ أنوي فيه أنْ أعلوَهُم إلاَّ لم أقمْ قطُّ حتّى إفتضحَ)[4] ، والعلمُ عبادةٌ من العباداتِ ، وقربةٌ من القرباتِ ، فانْ خلصتْ فيه النيَّةُ للهِ قُبلَ وزكا وتمَّتْ بركتهُ ، وإنْ قُصدَ به غيرَ وجهِ اللهِ حبطَ[5] وضاعَ ، وخسرتْ صفقتهُ ،

---

(1) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : (يكرهه) .
(2) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦٨ـ٧٠ .
(3) ما بين المعقوفين : زيادة من (ب) .
(4) شرح المهذب ١/٤٧ .
(5) في (ب) : (سقط) ، وهو تحريف .

وربَّما كانَ ذلكَ سبباً في فواتِ تلكَ [٧٦و] المقاصدِ ، فلا ينالها ، فيخيبُ قصدَهُ ويضيعُ سعيهُ .

الثالثُ[١] : أَنْ يبادرَ شبابَهُ ، وأَوقاتَ عمرهِ فيصرفها إلى التَّحصيلِ ، و لايغترُّ بخدعِ التَّسويفِ والتأْميلِ ، فإنَّ كلَّ ساعةٍ تمضي من عمرهِ لا بدلَ لها ولا عوضَ عنها، ويقطعَ ما قدَرَ علَى قطعهِ من العلائقِ الشاغلةِ ، والعوائقِ المانعةِ عن تمامِ الطلبِ وبذلِ الأجتهادِ وقوةِ الجدِّ في التحصيلِ ، فإنَّها قواطعُ الطَريقِ ، ولذلكَ استحبَ السَلفُ التغرُّبَ عن الأَهلِ ، والبعدَ عن الوطنِ تقليلاً للشواغلِ ، لأَنَّ الفكرةَ إذا توزَّعتْ قصُرتْ عن دركِ الحقائقِ ، و (مَا جَعَلَ اللهُ لرَجُلٍ مِنْ قَلْبينِ في جَوْفهِ)[٢] ، ولذلكَ يُقَالُ العلمُ لا يُعطيكَ بعضَهُ حتَّى تعطيَهُ كلَّكَ .

ونقلَ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ عن بعضهِم قال : (لا ينالُ هذا العلمَ إلاَّ من عطَّلَ دكانَهُ ، وخرَّب بستانَهُ ، وهجرَ أَخوانَهُ ، وماتَ أَقربُ أهلهِ فلم يشهدْ جنازتَهُ)[٣] . وهذا كلُّهُ وإنْ كانتْ فيهِ

(١) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٠-٧١.

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٤ .

(٣) الجامع للخطيب البغدادي ٢/٢٣٥ .

مبالغة" ، فالمقصودُ بهِ انَّهُ لابدَّ فيهِ من جمعِ القلبِ وإجتماعِ الفكرِ . وقيلَ أمرَ بعضُ المشايخِ طالبـاً لهُ ـ بنحو ما رواهُ الخطيبُ ـ فكانَ آخرُ ما أمرَهُ بهِ أَنْ قالَ : اصبغْ ثوبَكَ[1] كيلا يشغلكَ فكرُ غسلهِ . وعن الشَّافعي أَنَّهُ قالَ : (لو كُلِّفتُ بصلةٍ ماحفظتُ مسـألةٍ)[2] .

الرابعُ[3] : أنْ يقنعَ من القوتِ بما تيسَّرَ ، وإنْ كان يسيراً ، ومن اللِّباسِ بما يسترُ مثلَهُ وإنْ كانَ خلقاً ، فبالصبرِ على ضيقِ العيشِ ينالُ سعةَ العلمِ ، ويجمعُ شملَ القلبِ عن متفرقاتِ الآمالِ فتتفجَّرُ فيهِ ينابيعُ الحكمِ . قالَ الشَّافعي رحمهُ اللهُ : (لا يطلبُ أَحدٌ هذا العلمَ بالملكِ وعزِّ النفسِ فيفلح ، ولكن من طلبـهُ بذلِّ النفسِ وضيقِ العيشِ وخدمةِ [٧٦ظ] العلماءِ أَفلحَ)[4] .وقال: لا يُدرَكُ العلمُ إلاَّ بالصَّبرِ علَى الذلِّ ، وقالَ : (لا يصلحُ طلبُ العلمِ إلاَّ لمفلسٍ ، قيـلَ ولا الغني المكفي ، قالَ : ولا الغنيّ)[5] . قـالَ مالكُ : (لا يبلغُ أَحدٌ من هذا العلمِ ما يريدُ حتَّى يضرَّ بهِ الفقرُ ، ويؤثرهُ على كلِّ شيءٍ)[6] .وقالَ أبو حنيفة

---

(١) كان لون ثياب شعبة بن الحجاج بن الورد كلون التراب ، كما جاء في تذكرة الحفاظ ١/١٨٢ .

(٢) الكلام في تذكرة السامع والمتكلم ص٧١ .

(٣) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧١-٧٢ .

(٤) شرح المهذب ١/٥٩ .

(٥) مناقب الشافعي ٢/١٤١ ، شرح المهذب ١/٥٩ ، الجامع للخطيب ١/٣٩ .

(٦) الفقيه والمتفقه ٢/٩٤ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

رحمه الله : (يُستعان على الفقه بجمع الهمم ويُستعان على حذف العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة ولا[1] يزد)[2] . وقال إبراهيم الأجري : (من طلب العلم بالفاقة ورث الفهم)[3] . فهذه أقوال هذه الأئمة الذين لهم فيه القدح المُعلّى غير مدافع ، وكانت هذه أحوالهم رحمهم الله ، ومن آثر طلب العلم على الاحتراف ، فإن الله يعوضه ويأتيه بالرزق من حيث لا يحتسب .

فعن زياد بن الحارث الصُدائي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من طلب العلم تكفل الله برزقه)[4] ، أخرجه الخطيب في الجامع ، فهذا تكفل خاص بمعنى ما سبق ، قال الخطيب : (ويُستحب للطالب عزباً ما أمكنه لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجة وطلب المعيشة عن إكمال الطلب)[5] . وقال سفيان الثوري : (من تزوج فقد ركب البحر ، فإن وُلد له فقد كُسر به)[6] ، وقال لرجل (تزوجت ؟ قال : لا . قال : ما تدري ما أنت فيه من العافية)[7] .

---

(1) كذا في الاصل وهو الصحيح ، وفي (م) : (ولا يرد) وهو تصحيف، وفي (ب) : (ولا يرده) وهو تحريف .

(2) شرح المهذب ١/٥٩ .

(3) المصدر نفسه ١/٥٩ .

(4) الجامع للخطيب البغدادي ١/٣٨ .

(5) الجامع ١/٣٧ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

(6) الجامع ١/٣٧ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

(7) الجامع ١/٣٧ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

وبالجملةِ فتركُ التزويجِ لغيرِ المحتاجِ اليهِ ، أَو غيرِ القادرِ عليهِ أَولى ، بل هو مستحبُ التركِ حينئذٍ على المذهبِ ، لاسيما للطالبِ الذي رأسُ مالهِ جمعُ الخاطرِ وإجمامُ القلب وإستعمالُ الفكر .

الخامسُ[1] أَنْ يقسِّمَ أَوقاتَ ليلهِ ونهارهِ ، ويغتنمَ ما بقيَ من عمرهِ ، فانَّ بقيَّةَ العمرِ لا قيمةَ لهُ . وأَجودُ الأَوقات للحفظِ الأَسحارُ ، وللبحثِ الأَبكارُ ، وللكتابةِ [٧٧و] وسَطُ النهارِ ، وللمطالعةِ وللمذاكرة الليلُ .

وقالَ الخطيبُ : (أَجوَدُ أَوقاتِ الحفظِ الأَسحارُ ، ثم وسطُ النَّهارِ ، ثم الغداةُ ، قالَ : وحفظُ الليلِ أَنفعُ من حفظِ النَّهارِ ، ووقتُ الجوعِ أَنفعُ من وقتِ الشبعِ ، قالَ : وأَجودُ أَماكنِ الحفظِ الغُرَفُ ، وكلُّ موضعٍ بعيدٌ عن الملهياتِ ، قالَ : وليسَ بمحمودٍ الحفظُ بحضرةِ النباتِ ، والخضرةِ ، والأَنهارِ ، وقوارعِ الطرقِ ، وضجيجِ الأَصواتِ ، لأَنَّها تمنعُ من خلوِّ القلبِ غالباً)[2] .

السَّادِسُ[3] من أَعظمِ الأَسبابِ المعينةِ على الأشتغالِ والفهمِ وعدمِ الملالِ أَكلُ القدرِ اليسيرِ من الحلالِ ، قالَ الشَّافعي رحمهُ اللهُ : (ما شبعتُ منذُ ست عشرةَ سنةً)[4] ، وسببُ ذلكَ أَنَّ كثرةَ

---

(١) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٢ـ٧٣.

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/١٠٣ ، شرح المهذب ١/٦٣ .

(٣) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٣ـ٧٥.

(٤) مناقب الشافعي ٢/١٦٦ .

الأكلِ جالبةٌ لكثرةِ الشّربِ ، وكثرتَهُ جالبةٌ للنومِ والبلادةِ ، وقصورِ الذهنِ وفتورِ الحواسِ وكسلِ الجسمِ ، هذا معَ ما فيهِ من الكراهةِ الشرعيَّةِ ، والتَّعرضِ لخطرِ الأسقامِ البدنيّةِ ، كما قيلَ :

فإنَّ الدّاءَ أكثرُ ما تراهُ
يكونُ من الطّعامِ أو الشّرابِ

ولم يرَ أحدٌ من الأولياءِ والأئمةِ العلماءِ يُوصفُ بكثرةِ الأكلِ ، ولا حامداً لمن اتَّصفَ بِهَا ، بل تُحمَدُ كثرةُ الأكلِ من الدوابِ التي لاتعقلُ ، بل هي مرصدُهُ للعملِ ، والذهنُ الصحيحُ أشرفُ من تبديدهِ وتعطيلهِ بالقدرِ الحقيرِ من طعامٍ يؤُولُ أمرهُ الى ما قد علِمَ ، ولو لم يكُن من آفاتِ كثرةِ الطعامِ والشّرابِ إلاّ الحاجةُ إلى كثرةِ دخولِ الخلاءِ لكانَ ينبغي للعاقلِ اللبيبِ أنْ يصونَ نفسَهُ عنهُ .

ومن رامَ الفلاحَ في العلمِ وتحصيلِ البغيةِ من كثرةِ الأكلِ [٧٧ظ] والشربِ والنومِ ، فقد رامَ مستحيلاً في العادةِ . والأولَى أنْ يكونَ أكثرَ ما يأخذُ من الطعامِ ما وردَ في الحديثِ عن النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ قالَ : (ما ملأَ ابنُ آدمَ وعاءً شرّاً من بطنٍ ، بحسْبِ ابْنِ آدم لقيمات يُقمْنَ صلْبَهُ ، فإنْ كانَ لا محالةَ فثُلُثٌ لطعامهِ ، وثُلُثٌ لشرابهِ ، وثُلُثٌ لنفسهِ)(١) . رواهُ الترمذي ، فإنْ زادَ على

(١) صحيح الترمذي ٩/٢٢٤، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/١٠٤.

ذلكَ فالزيادةُ إسرافٌ خارجٌ عن السنَّةِ ، وقد قالَ تعـالى : (وَكُلُوا وَشْـرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا)[1] . قالَ بعضُ العلمـاءِ : جمـعَ اللهُ بهذهِ الكَلمةِ الطبَّ كلَّـهُ .

السَّابِعُ[2] أَن يأخذَ نفسَهُ بالـورعِ في جميـعِ شأنه ، ويتحرَّى الحلالَ في طعامه وشـرابهِ ولباسـهِ ومسكَنه ، وفي جميـعِ ما يحتـاجُ اليهِ ، هو وعيالُه ، ليستنيرَ قلبُهُ ، ويصلحَ لقبُولِ العلمِ ونورهِ والنَّفعِ به ، ولا يقنعُ لنفسه بظاهرِ الحلِّ شرعاً مهما أَمكنهُ التَّورعُ ، ولم تلجئْهُ حاجةٌ أَو يجعلُ حظَهُ الجوازَ بل يطلبُ الرتبَةَ العاليةَ ، ويقتدي بمن سلف من العلماءِ الصالحينَ في التـورُّعِ عـن كثـيرٍ مما كانـوا يفتونَ بجوازهِ ، وأَحقُ من اقتدَى به في ذلكَ سيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليـه وآلـهِ وَسَلَّمَ حيثُ لـم يأكلِ التمرةَ التي وجدَها في الطريقِ خشيةَ أَنْ تكونَ من الصدقةِ ، معَ بعدِ كونها منهـا ، لأَنَّ أهـلَ العـلمِ يُقتدَى بهم ، ويُوخَذُ عنهم ، فاذا لم يستعمِلِ الورعَ ، فمن يستعمله ؟

الثامِنُ[3] أَنْ يقلِّلَ استعمالَ المطاعمِ التي هي من اسـبابِ البـلادةِ وضعفِ الحـواسِ ، كالتفـاحِ الحـامِضِ ، والباقـلاءِ ، وشـربِ الخـلِّ . (وكذلكَ

---

(1) سورة الاعراف الآيـة : ٣١ .

(2) النوع السابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٥ـ٧٦ .

(3) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٦ـ٧٧ .

ما يُكثِرُ استعمالُه البلغم ، المُبَلِّدُ للذهنِ ، المثقلُ للبَدنِ ككثرةِ الأَلبانِ)[1] والسَّمكِ وأشباهُ ذلك .
وينبغي أَنْ يستعملَ ما جعلهُ اللهُ تعالى سبباً لجودةِ الذهنِ كمضغِ اللُّبانِ [2] والمصطكا[3] [78و] على حسبِ العادةِ ، وأَكلِ الزَّبيبِ بكرةً والجُلاَّبِ[4] ، ونحو ذلكَ مما ليسَ هذا موضعَ شرحهِ . وينبغي أَنْ يجتنبَ ما يُورثُ النسيانَ بالخاصةِ كأكلِ أَثَرِ سؤر[5] الفارِ[6] ، وقراءة الواحِ القبورِ ، والدخولِ بينَ جملينِ مقطورين[7] ، والقاءِ القملِ ، ونحو ذلكَ من المجرَّباتِ فيهِ .

التاسعُ[8] أَنْ يقلّلَ نومَهُ ما لم يلحقهُ ضررٌ في بدنهِ وذهنهِ ، ولا يزيدُ في نومهِ في اليومِ واللَّيلةِ على ثمانِ ساعاتٍ ، وهي ثلثُ الزمانِ ، فانْ احتملَ حالهُ أَقلَّ منها فعلَ .

---

(1) ما بين القوسين : ساقط من (ب) بسبب انتقال النظر .

(2) اللُّبانُ : الكُنْدُر ، وهو ضرب من العلك . ينظر اللسان ٥/١٥٣، ١٣/٣٧٧ .

(3) المصطكا:كلمة معربة، وهي العلك الرومي، ينظر اللسان ١٠/٤٩٠.

(4) الجُلاَّبُ : ماء الورد ، فارسي معرب . ينظر اللسان ١/٢٧٤ .

(5) (سؤر) : ساقطة من (ب) .

(6) السؤر : البقية وغيرها ينظر اللسان ٤/٣٣٩ .

(7) لم يثبت العلم الحديث ان استعمال هذه الأنواع التي ذكرها المصنف تساعد على الذكاء ، بل الذكاء قابلية موجودة عند الانسان يمكن تنميتها بكثرة المطالعة والمناقشة والمثابرة .

(8) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٧-٨٢.

ولا بأسَ أَنْ يريحَ نفسَهُ وقلبَهُ وذهنَهُ وبصرَهُ أَوْكلَّ شيءٍ من ذلك ، أَوْكلَّ ضُعفٍ بتنزه وتفرّجٍ في المستنزهاتِ بحيثُ يعودُ إلى حالِهِ ولا يضيعُ عليهِ زمانُهُ • ولا بأسَ بمعاناةِ المشي ورياضةِ البدنِ بهِ ، فقد قيلَ إنَّهُ ينعشُ الحرارةَ ، (ويذيبُ فضولَ الاخلاطِ وينشطُ البدنَ)[1] •

ولا بأس بالوطي الحلال إذا احتاج اليهِ فقد قالَ الأَطبَّاءُ : بأَنَّهُ يخففُ الفضولَ وينشِّطُ ويصفي الذهنَ إذا كانَ عندَ الحاجةِ باعتدالٍ ، ويحذر كثرته حذرَ العدوِّ ، فانَّهُ كما قيلَ :

مَاءُ الحياةِ يُرَاقُ في الأرْحَامِ

(ثم رُوِيَ في شرحِ منظومهِ الأَقفهسي[2] في الآدابِ بأَنَّ قبلَهُ[3] :

أَقْلِلْ نكاحاً ما استطعتَ فانَّهُ

(١) ما بين القوسين : ساقط من (م) ، (ب) •

(٢) هو ابو العباس احمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي الاقفهسي ، القاهري الشافعي له عدة مؤلفات منها شرح منظومة آداب الطعام ، توفي سنة (٨٠٨هـ) • ترجمته في الضوء اللامع ٢/٤٧ـ٤٩ •

(٣) هذه الابيات غير موجودة في شرح منظومة الاقفهسي في الآداب ، وهذه الابيات ميمية ، وابيات المنظومة لامية •

وقبلَ هذا البيتِ بيتان هما :

اسمعْ بُنيَّ وصيَّتي واعملْ بِهَا
فالطِّبُ منظـومٌ بنظـمِ كَلامي

لا تشـرَبَنَّ على طعـامٍ عاجـلاً
فتعودُ نفسُكَ للبـلا بزمـامِ)[1]

يُضعِفُ[2] السَّمعَ والبصرَ والعصبَ والحرارةَ والهضمَ ، وغيرَ ذلـكَ من الأمراضِ [٧٨ظ] الرديئةِ . والمحققونَ من الأَطبـاءِ يـروُنَ أَنَّ تركَهُ أَولى إلاَّ لضرورةٍ أو استشفاءٍ .

وبالجملةِ فلا بأسَ أَن يُريحَ نفسَهُ إذا خـافَ مللاً ، وكانَ بعضُ أَكابرِ العلماءِ يجمعُ أَصحابَهُ في أَمـاكنِ النزهـةِ ، في بعـضِ أَيَّـامِ[3] السَّـنةِ ، ويتمازحـونَ بمـا لا يضرُّهُم في ديـنٍ ولا عـرضٍ . ويُتجَنَّبُ ما يُعـابُ من الهـزلِ والبسطِ بالفعلِ ، وفرطِ التَّمطي والتمايلِ على الجنبِ والقفا والضحكِ

العاشـرُ[4] أَنْ يتركَ العشرةَ ،فإنَّ تركَها مـن أَهم ما ينبغي لطالبِ العلمِ ، ولاسيما لغيرِ الجنسِ ،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (م) ، (ب) .
(٢) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) : (يصعف) ، وهو تصحيف .
(٣) هذه الطريقة متبعة في وقتنا الحاضر ، حيث يقوم الطلبة والاساتذة بسفرات في فصلِ الربيعِ والخريفِ .
(٤) النوع العاشر اخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٣ـ٨٥ .

وخصوصاً لمن كثرَ لعبهُ، وقلّتْ فكرتهُ ، فإنَّ الطباعَ سرّاقة ، وآفةُ العشرةِ ضياعُ العمرِ بغيرِ فائدةٍ ، وذهابُ المالِ والعرضِ إنْ كانتْ لغيرِ أهلٍ ، وذهابُ الدّينِ إنْ كانتْ لغيرِ أهلهِ .

والذي ينبغي لطالبِ العلمِ ألاّ يخالطَ إلاّ مَنْ يفيدُهُ أو يستفيدُ منهُ كما رُوِيَ عن النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (أُغْدُ عالماً أو متعلّماً ولا تكنِ الثالثَ فتهلكَ)[1] . فإنْ شرعَ أو تعرّضَ لصحبتهِ من يضيّعُ عمرَهُ معهُ ولايفيدُهُ ولايستفيدُ منهُ ، ولا يعينهُ على ما هو بصددهِ فليتلطفُ في قطعِ عشرتهِ في أوائلِ الأمرِ قبلَ تمكّنِها ، فإنَّ الأمورَ إذا تمكّنتْ عسُرتْ إزالتُها ، ومن الجاري على السنةِ الفقهاءِ : (الدفعُ أسهلُ من الرّفعِ) . فإنْ احتاجَ إلى من يصحبهُ فليكنْ صاحباً[2] صالحاً ديّناً تقيّاً ورعاً كثيرَ الخيرِ قليلَ الشّرِّ حسنَ المداراةِ قليلَ المماراةِ ، إنْ نسيَ ذكّرهُ ، وإنْ ذكرَ أعانهُ ، فإذا احتاجَ واساهُ ، أو ضجرَ صبّرهُ .

---

(١) الحديث ورد في سنن الدارمي بصيغ مختلفة في ١/٦٩ : اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكم الرابع فتهلك) ، وفي ١/٨٢ : (اغدُ عالماً أو متعلماً ولا تغدُ فيما بين ذلك ، فان بين ذلك جاهل . وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٩ : وفيه : (اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامس فتهلك) .

(٢) في الاصل : (صاحبها) ، وهو تحريف .

ومما يُروَى عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه[1] :

فَلاَ تَصْحَبْ أَخَا الجهلِ وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فكمْ من جَاهلٍ أَرْدَى حَلِيماً حينَ واخاهُ
[79و] يُقَاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ

ولبعضهم[2] :

إنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ كانَ مَعَكْ
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إذا ريبُ زمانٍ صدعكْ
شتَّتَ شملَ نفسهِ ليجمعكْ

---

(1) الابيات في الديوان المنسوب للامام علي ص٥ ، وفيه (حكيماً) مكان (حليماً) ، (آخاه) ، مكان (واخاهُ) .

(2) البيتان وردا في عيون الاخبار ٣/٤ ، كشكول البهائي ١/٤ ، زهر الاداب ١/٥٢١ ، المستطرف ١/٥٩ ، ١١٩ .

الفصل[1] الخامس

في آدابِ المتعلّمِ معَ شيخهِ وقدوتهِ
وما يجبُ عليهِ من عظيمِ حرمتهِ

وذلكَ ثلاثة عشرَ نوعاً :

الأوّلُ[2] انّهُ ينبغي للطالبِ أنْ يقدّمَ النظرَ ، ويستخيرَ اللهَ فيمن يأخذُ العلمَ عنهُ ، ويكتسبُ حسنَ الأخلاقِ والأدبِ منهُ ، ويتحرّى في كونهِ ممّن كملتْ أهليتهُ ، وتحققتْ شفقتهُ ، وظهرتْ مرؤتهُ ، وعرفتْ عفّتُهُ واشتهرتْ صيانتهُ ، وكانَ أحسنَ تعليماً ، وأجودَ تفهيماً ، ولا يرغبُ الطالبُ في زيادةِ العلمِ معَ نقصٍ في ورعٍ أو دينٍ أو عدمِ خلقٍ جميلٍ . وعن بعضِ السّلفِ : (هذا العلمُ دينٌ ، فانظُروا عمّنْ تأخذون دينكم)[3] .

وعن أبي امامة الجُمحي إنّ رجلاً سألَ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ عن السّاعةِ ، فقالَ : (من اشراطِها ثلاثٌ : أحداها التماسُ العلمِ عندَ

---

(۱) الفصل الخامس: هو الفصل الثاني في تذكرة السامع والمتكلم ص٨٥ .

(۲) النوع الاول اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٥-٨٧ ، مع زيادة قليلة في الوسط والاخير .

(۳) الكلام ذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/٩٦ .

الاصاغرِ)[1] رواه الطبراني في الأَوسط والكبيرِ ، وفيه ِ ابن الهيعةِ ، وحديثه ُ حسن" ٠

وعن ابن مسعود قالَ : (لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ متماسكينَ مَا أَتاهُم العلمُ من أَصحابِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه ِ وآله ِ وسلَّمَ ، ومن أَكابرِهم ، فاذاً أَتاهم من أَصاغرِهم هلكُوا)[2] ، رواهُ الطبراني في الكبير والأَوسطِ ، ورجالهُ موثوقونَ ٠

وليحذر من التقيّدِ بالمشهورينَ ، وتركِ الأَخذِ عن الخاملينَ ، فقد عدَّ الغزالي وغيرهُ ذلكَ من الكبرِ علَى العلمِ ، وجعلهُ عينَ الحماقةِ ، لأنَّ الحكمةَ ضالةُ المؤمنِ يلتقطُها حيثُ وجدها ، ويَغتنمُها حيثُ ظفرَ بها ، [٧٩ظ] ويتقلدُ المنَّةَ لمن ساقَها اليه ، فانَّهُ يهربُ من مخافةِ الجهلِ كما يهربُ من الأَسدَ ، والهاربُ من الأَسدَ لا يأنفُ من دلالةِ من يدله على الخلاصِ كائناً من كَانَ ٠

وذكر أَبو نعيم في الحليةِ : انَّ زين العابدين[3] عليّ بن الحسين كانَ يذهبُ إلى زيد بن أَسلم[4]

---

(١) الحديث ورد في زوائد المعجمين ١/٢٧ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٢ ٠

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٩/١٢٠ ، زوائد المعجمين ١/٢٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٢ ، الفقيه والمتفقه ٢/٧٩ ٠

(٣) لم اجد ذلك في حلية الاولياء في ترجمة زين العابدين ٣/١٣٣ ، ولا في ترجمة زيد بن اسلم ٣/٢٢١ ٠

(٤) هو ابو اسامة زيد بن اسلم ، قال عنه ابو نعيم : كان بالعدل قائلاً ، وبالفضل عاملاً ، وعن الجهل عادلاً ٠ ينظر حلية الاولياء ٣/٢٢١ ٠

فيجلس اليه ، فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس اليه ، فقال : العلم يتبع حيث كان ، وممن كان ، فان كان الخامل ممن ترجى بركته كان النفع به أعم والتحصيل من جهته أتم ، وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالباً ، والفلاح يدرك طالباً إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر ، وكذلك إذا اعتبرت المصنفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر .
وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له في العلوم الشرعية تمام الاطلاع ، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق ، قال الشافعي رحمه الله : (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام)[1] ، وكان بعضهم يقول : (من أعظم البلية تشيخ الصحفية) ، أي الذين يتعلمون من الصحف[2] .

الثاني[3] أن ينقاد لشيخه في اموره ، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره ، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر ، فيشاوره فيما يقصده ، ويتحرى

---

(١) شرح المهذب للنووي ١/٦٤ .
(٢) ينظر الفقيه والمتفقه ٢/٩٧ .
(٣) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٧–٨٨ ، مع زيادة في أخير النوع .

رضاهُ فيما يعتمدهُ ، ويُبَالغُ في حرمتهِ ، ويتقربُ إلى اللهِ بخدمتهِ ، ويعلمُ أنَّ ذلَّهُ لشيخهِ عِزٌّ ، وخضوعَهُ لهُ فخرٌ وتواضعَهُ لَهُ رِفْعَةٌ ، [٨٠و] ويُقَالُ إنَّ الشَّافعي رحمهُ اللهُ عُوتِبَ على تواضعهِ للعلماءِ فقالَ[١] :

أُهِينُ لهمْ نَفْسِي فَهُمْ يُكرِمُونها
وَلَنْ تُكرَمَ النفسُ الَّتي لا تُهِينُها

(وأخذَ ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عنهما معَ جلالتهِ وقرابتهِ من النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ومرتبتهِ بركابِ زيدِ بن ثابت الأنصاري ، وهو ممَّن أَخذَ عنهُ ابن عباس العلمَ ، وقالَ : هكذا أُمِرنا أَنْ نفعلَ بعلمائنا)[٢] ، وقالَ أحمد بن حنبل لخلفِ الأحمر[٣] : (لا أقعدُ إلاَّ بينَ يديكَ أُمِرنا أَنْ نتواضعَ لمن نتعلمُ منهُ)[٤] ، وهو شاهدٌ لما رواهُ أَبو هريرة مرفوعاً : (تعلَّمُوا العلمَ ، وتعلَّمُوا للعلمِ

---

(١) البيت في مناقب الشافعي ٢/١٤٧ ٠

(٢) ينظر الفقيه والمتفقه ٢/٩٩ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٤٠

(٣) هو أبو محرز خلف بن حبان المعروف بالأحمر شاعر وراوي ، وعالم بالأدب ، ومعلم أهل البصرة ، كان أبواهُ من الموالي ، توفي سنة (١٨٠هـ) ٠ انباه الرواة على انباه النحاة طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٩٥٠م ١/٣٤٨ ، الاعلام ٢/٣٥٨ ٠

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ١/١٣٢ ٠

السَّكينةَ ، وتواضعُوا لمـن تعلَّمونَ منه)[1] ، رواهُ الطبراني في الأوسط •

وعن جميلة امٍّ ولـد انس بن مالك قالتْ : (كانَ ثابتٌ إذا أتـى انساً قالَ : أين انس ؟ يا جاريةُ ، هاتي لي طيباً أمسحُ يدي فإنَّ ابن امَّ ثابت لا يرضـى حتـّى يقبِّلَ يدي)[2] ، رواهُ أبو يعلي ورجالهُ موثوقونَ •

وقالَ الغزالي لا تنالُ العلمَ إلاَّ بالتواضُعَ والقاءِ السَّمعِ ، قالَ : ومهما أشارَ عليهِ شيخهُ بطريقٍ في التعليمِ فليقلِّدهُ ، وليدعْ رأيَهُ ، فخطأُ مرشدهِ أنفعُ لـهُ من صوابه في نفسهِ ، وقد نبَّهَ اللهُ على ذلكَ في قصَّةِ موسى والخضر عليهما السَّلام بقولـهِ : (إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)[3] الآية ، هـذا مـعَ علوٍّ قدرِ موسى الكليمِ في الرسالةِ والعلم حتى شرطَ عليهِ السكوتَ ، فقالَ : (فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)[4] •

الثالثُ[5] أنْ ينظرَه بعينِ الأجلالِ ويعتقدَ فيه درجةَ الكمالِ ، ويوقِّرهُ ويعظِّمهُ ، فإنَّ ذلكَ أقربُ إلى نفعهِ بهِ ، وكانَ بعضُ السَّلفِ إذا ذهبَ إلى شيخهِ

---

(١) زوائد المعجمين ١/١٨ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٣ ، ٦٩ •

(٢) المطالب العالية ٣/١١٨ ، وفيه : (قال ثابت : كنت اذا جئت انساً دعا بطيب ، فمسح بيديه وعارضيه) •

(٣) سورة الكهف الآيتان : ٧٢ ، ٧٥ •

(٤) سورة الكهف الآية : ٧٠ •

(٥) النوع الثالث : أخذهُ المصنف نصفه من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٨ ـ ٨٩ •

تصدَّقَ بشيءٍ وقالَ : اللهُمَّ استرْ عيبَ شيخي عنِّي ولا تُذهبْ بركةَ علمهِ منِّي ، وهـذا [٨٠ظ] كقولِ بعضهِم من احتجتَ إلى علومه فلا تنظـرُ إلى عيوبـهِ ، فإنْ نظرتَ اليها حُرِمْتَ الانتفاعَ بعلومهِ ٠

وقالَ أَبو عبدالله محمد بن خفيف: قالَ لي رُوَيم[1] رحمةُ الله عليهما : اجعلْ علمَكَ ملحاً وأَدَبكَ دقيقاً ولذاً ، قالَ بعضُ الصوفيَّة : التصوّفُ كلّهُ أَدبٌ ، فمن لزمَ الأَدبَ بلغ مبلغَ الرجالِ ، ومن حُرِمَ الأدبُ فهو بعيدٌ من حيثُ يظنُّ القربَ ، ومردودٌ من حيثُ يرجُو القبُولَ ، وقيلَ من حُرِمَ الأَدبُ حُرِمَ جوامعُ الخيراتِ ٠ وقالَ أبو بكر[2] الكتاني : التصوّفُ خُلُقٌ فمن زادَ عليكَ في الخُلُقِ زادَ عليكَ في التصوّف ، ولمَّا قالَ الجنيدُ[3] لأَبي حفص[4] الحداد رحمهما اللهُ :

---

(١) هو ابو محمد رويم بن احمد بن يزيد ، من أهل بغداد ، كان عالماً وفقيهاً صوفياً ، توفي سنة (٣٠٣هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٢٩٦/١٠ ، الرسالة القشيرية ص٢٠ ٠

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، بغدادي الأصل من أصحاب الجنيد ، توفي سنة (٣٢٢هـ) ٠ ترجمته في حلية الاولياء ٣٥٧/١٠ ، الرسالة القشيرية ص٢٦ ، شذرات الذهب ٢٩٦/٢ ٠

(٣) هو ابو القاسم الجنيد بن محمد ، كان أبوه يبيع الزجاج ، كان فقيهاً وصوفياً مشهوراً ، ويعتبر سيد المتصوفين وامامهم ، توفي سنة (٢٩٧هـ) ٠ ترجمته في حلية الاولياء ٢٥٥/١٠ ، الرسالة القشيرية ص١٨ ٠

(٤) هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد ، أصله من قرية قرب نيسابور ، كان اماماً زاهداً ، توفي سنة (٢٦٢هـ) ٠ ينظر الرسالة القشيرية ص١٧ ٠

أَدبْ أَصحابَكَ أَدبَ السَّلاطين ، قالَ : لا يا أَبا القاسم ولكنْ حسنُ الأَدبِ في الظاهرِ عنوانُ حسنِ الأَدبِ في الباطنِ ، وقالَ السَّريُّ[1] : (حسنُ الأَدبِ ترجمانُ العقلِ)[2]، ومراعاةُ الأَدبِ فيما بينَ المحققين مقدَّمٌ على غيرِه ، أَلا ترَى كيفَ مدحَ اللهُ أَهلَه وشرَّفَ محلَّهم بقولِه : (إنَّ الَّذينَ يَغُضُّون أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أولئكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُم لِلْتَقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)[3] ، وأَخرجَ الخطيبُ في الجامعِ عن أَيوب عن محمد قال : (رأيتُ عبدَالرحمن بن أبي ليلى وأَصحابَهُ يُعظِّمونَهُ ويسوِّدونَهُ ويشرِّفونهُ مثل الأَميرِ)[4] • وعن أَبي عبدِاللهِ يحيى بن عبدالملك الموصلي قالَ : (رأيتُ مالكَ بن أنس غيرَ مرَّةٍ ، وكانَ باصحابهِ من الأعظامِ لهُ والتوقيرِ لهُ ، وإذا رفَعَ أَحدٌ صوتَهُ صَاحُوا بهِ)[5] • وعن عبدالرحمن بن حرملة الأَسلمي قالَ : (مَا كانَ انسانٌ يجتري على سعيد بن المسَّب [٨١و] بمسألةٍ عن شيءٍ حتَّى يستأذنَهُ كما يُستأذنُ الأَميرُ)[6] •

---

(١) هو ابو الحسن سَرّي بن المُغَلّس السقطي، خال الجنيد واستاذه، ويعد امام البغداديين وشيخهم في وقته ، توفي في بغداد سنة (٢٥١هـ)• ترجمته في حلية الاولياء ١١٦/١٠ ، الرسالة القشيرية ص١٠ ، شذرات الذهب ١٢٧/٢ •

(٢) حلية الاولياء ١٢٤/١٠ •

(٣) سورة الحجرات الآية : ٣ •

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ١١٨/١ •

(٥) الجامع ١١٨/١ •

(٦) الجامع ١٢٠/١ •

وعن أبي عاصل : (كُنّا عندَ ابن عون[1] ، وهو يحدِّثُ فمرَّ بنا إبراهيم[2] بن عبدالله بن حسن بن حسن في موكبهِ ، وهو اذ ذاك يُدعَا اماماً بعد قتلِ أَخيهِ محمد ، فما جسرَ أحدٌ أَنْ يلتفتَ فينظر اليهِ فضلاً عن أَنْ يقومَ هيبةً لابن عون)[3] .

وعن إسحاق الشهيدي : (كنتُ أَرى يحيى القطان[4] يصلّي العصرَ ثم يستندُ إلى أصلِ منارةِ مسجدهِ ، فيقفُ بينَ يديهِ عليٌّ بن المديني ، والشاذكوني ، وعمرو[5] بن علي ، وأَحمد بن حنبل ، ويحيى[6] بن معين ، وغيرهم يسألونهُ عن الحديث ، وهم قيامٌ على أَرجلهم إلى أن تحينَ صلاةُ المغربِ ، لا يقولُ لواحدٍ منهم

---

(١) هو الحافظ أبو عثمان عمرو بن عون السلمي الواسطي البزاز ، توفي سنة (٢٢٥هـ) ، ترجمتهُ في تذكرة الحفاظ ١٣/٢ .

(٢) هو ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، احد الاشراف ، ثار على المنصور العباسي استولى على البصرة والاهواز وفارس وهاجم الكوفة وقتل في المعركة سنة (١٤٥هـ) ترجمته في تاريخ الطبري ٦٢٢/٧ ، الكامل لابن الاثير ٥٦٠/٥ .

(٣) الجامع ١٢٠/١ .

(٤) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي ، كان حافظاً ثقة ، توفي سنة ١٩٨هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ، تذكرة الحفاظ ٢٧٤/١ .

(٥) هو أبو حفص عمرو بن علي بن بحر السقاء الغلاس ، كان حافظاً للحديث ثقة ، توفي سنة (٢٤٩هـ) ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٨٠/٨ ، الاعلام ٢٥٤/٥ .

(٦) هو ابو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء كان اماماً ومحدثاً ومؤرخاً لرجال الحديث ، توفي سنة (٢٣٣هـ) ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٨/٢ ، تاريخ بغداد ١٧٧/١٤ ، الاعلام ٢١٨/٩ .

اجلسْ ، ولا يجلسونَ هيبةً وإعظاماً)[1] ، وسيأتي في الذكرِ الخامسِ عشر من القسمِ الثاني قولُ ابن عباس في قصَّةِ أَخذهِ بركابِ أبي بن كعب : (إنَّهُ ينبغي للحبرِ أَنْ يُظَّمَ ويُشرَّفَ)[2] ، وقد عقدَ الدارمي باباً لتوقيرِ العلماء ، ورُويَ فيهِ عن حبيب بن صالح ، قالَ : (ما خفتُ أَحداً من النَّاسِ مخافةَ خالد[3] بن معدان)[4] .

وعن مغيرة قالَ : (كُنَّا نهابُ إبراهيم[5] - يعني النَّخعي - هيبةَ الأمراءِ)[6] ، وقالَ الشَّافعي : (كنتَ أَصفحُ الورقةَ بينَ يدي مالك صفحاً رفيقاً لئلا يسمعَ وقعَها)[7] ، وقالَ الربيعُ : (واللهِ ما اجترأتُ أَنْ اشربَ الماءَ والشافعي ينظرُ اليَّ هيبةً لهُ)[8] ،

---

(١) الجامع ١/١٢٠ .

(٢) الجامع ١/١٢٤ .

(٣) هو أبو عبدالله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي ، كان ثقةً زاهداً عابداً ، توفي سنة (١٠٤هـ) ، تهذيب بن عساكر ٥/٨٦ ، الاعلام ٢/٣٤٠ .

(٤) مسند الدارمي ١/٩٢ .

(٥) هو ابو عمران ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي ، من مذحج ، كان من اكابر التابعين صدقاً وصلاحاً وحفظاً ورواية للحديث، توفي سنة (٩٦هـ)، ترجمته في حلية الاولياء ٤/٢١٩ ، الاعلام ١/٧٦.

(٦) الجامع ١/١١٩ .

(٧) مناقب الشافعي ٢/١٤٤ ، شرح المهذب ١/٦١ .

(٨) مناقب الشافعي ٢/١٤٥ ، شرح المهذب ١/٦١ .

(وحضرَ بعضُ أَولادِ الخليفةِ المهدي عندَ شريك[1] ، فاستندَ إلى الحائطِ ، وسألهُ عن حديثٍ فلم يلتفتْ اليهِ شريكٌ ثم أَعادَ فعاد شريكٌ بمثلِ ذلكَ ، فقالَ : أتستخفُ [٨١ظ] بأولادِ الخلفاء ؟ قالَ : لا ولكنَّ العلمَ أَجلُّ عندَ اللهِ من أَنْ اضيِّعَهُ ، ويُروى العلمُ أَزينُ عندَ أَهلهِ من أَنْ يضيِّعُوهُ ، فجثى ابنُ الخليفة المهدي على ركبتيهِ ، فقالَ شريكٌ : هكذا يُطلَبُ العلمُ)[2] ، وينبغي أَنْ لا يُخاطبَ شيخَهُ بتاءِ الخطابِ وكافةِ ، ولا يناديهِ من بعيدٍ ، بل يقولُ : يا سيّدي ، ويا استاذُ ، وقالَ الخطيبُ : (يقولُ : أيُّها العالمُ وأَيُّها الحافظُ ، ونحو ذلكَ)[3] ، وما تقولونَ في كذا ؟ وما رأيكم في كذا ؟ أَوْ شبهُ ذلكَ ، ولا يسمّيهِ في غيبته أَيضاً باسمه إلاَّ مقروناً بما يُشعرُ بتعظيمه كقولهِ : قالَ الشيخُ الاستاذُ كذا ، أو قالَ شيخُنا ، أو قالَ حجةُ الاسلامُ ونحو ذلكَ .

الرابعُ[4] أَنْ يعرفَ لهُ حقَهُ ولا ينسَى لهُ فضلَهُ . قالَ شعبةُ : كنتُ إذا سمعتُ من الرجلِ

---

(١) هو ابو عبدالله شريك بن عبدالله النخعي ، القاضي الكوفي ، أحد الأئمة الاعلام ، كان فقيهاً ومحدثاً ، توفي سنة (١٧٧هـ) ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢١٤/١ .

(٢) شرح المهذب ٦١/١ ، وفيه قال حمدان بن الاصفهاني كنت عند شريك فأتاه بعض اولاد المهدي ... الخ ، ونفس الكلام المصنف في الجامع ١٣٢/١ .

(٣) الجامع للخطيب البغدادي ١١٨/١ .

(٤) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم وزاد عليه حديث الطبراني ص٩٠ .

الحديثَ كنتُ لهُ عبداً ما حيي ، وقالَ : ما سمتُ من أحدٍ شيئاً إلاَّ واختلفتُ اليهِ أكثرُ مِمَّا سمعتُ منهُ ٠

وعن أبي امامة الباهلي مرفوعاً : (من علَّمَ عبداً آيةً من كتابِ الله فهو مولاهُ ، ولا ينبغي أنْ يخذلَهُ ولا يستأثرَ عليه)(١) ٠ رواهُ الطبراني في الكبير ، ومن ذلكَ أنْ يعظِّمَ حضرتَهُ ويردُ غيبتَهُ ، ويغضب لها ، فانْ عجزَ عن ذلكَ قامَ وفارقَ ذلكَ المجلسَ ٠ وينبغي أنْ يدعوَ لهُ مدةَ حياتهِ ، ويرعى ذريَّتَهُ وأقاربَهُ وأودَّاءَهُ(٢) بعدَ وفاتهِ ، ويتعاهدَ زيارةَ قبرهِ والاستغفارَ لهُ والصدقةَ عنهُ ، ويسلكَ في السَّمْتِ والهدَى مسلكَهُ ، ويراعي في العلمِ والدِّين عادتَهُ ، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداتهِ وعباداتهِ ، ويتأدبَ بآدابهِ ، ولا يدع الاقتداءَ بهِ ٠

الخامس(٣) أن يصبَ على جفوةٍ [٨٢و] تصدرُ من شيخهِ ، أوْ سوءُ خُلُقٍ ولا يصدُّهُ ذلكَ عن ملازمتهِ وحسنِ عقيدتهِ ، ويتأولَ أفعالَهُ التي يظهرُ أنَّ الصوابَ خلافُها علَى أحسنِ تأويلٍ ، ويبدأَ هو عند جفوةِ الشيخِ بالاعتذارِ والتوبةِ ممَّا وقعَ والاستغفارِ ، وينسبَ الموجبَ اليهِ ، ويجعلَ العتبَ فيهِ اليهِ ، فانَّ ذلكَ أبقَى لمودةِ شيخهِ ، وأحفظُ لقلبهِ ، وأنفعُ للطالبِ في دنياهُ وآخرتهِ ٠

---

(١) الحديث في المعجم الكبير للطبراني ١٣١/٨ ٠

(٢) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) (اولادة) وهو تحريف ٠

(٣) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩١-٩٢، مع زيادة قليلة من عنده ٠

وعن بعضِ السَّلفِ (مَن لم يصبرْ على ذلِّ التعليمِ بقَى عمره في عمايةِ الجهالةِ ، ومن صبرَ عليه آلَ أمره إلى عزِّ الدُّنيا والآخرةِ)[1] . ولبعضهم[2] :

اصبِرْ لِدائِكَ إنْ جَفَوْتَ طبيبَه
واصبِرْ لجهلِكَ إنْ جَفَوْتَ مُعلِّما

وعن ابن عباس: (ذللتُ طالباً فعززتُ مطلوباً)[3] . وروى الدارمي عن أبي سلمة قالَ : (لو رفقتُ بابن عباس لأصبتُ منه علماً كثيراً)[4] . وقالَ معافى بن عمران[5] : (مَثَلَ الذي يغضبُ على العالِمِ مثلُ الذي يغضبُ على اساطينِ الجامعِ)[6] . وقالَ الشّافعي : (قيلَ لسفيان بن عيينة إنَّ قوماً يأتونكَ من أقطارِ الأرضِ تغضبُ عليهم، يوشكُ أنْ يذهبُوا ويتركوكَ، فقالَ للقائلِ : هم حمقَى إذاً مثلُكَ إنْ تركوا ما ينفعهم لسوءِ خُلقي)[7] . وقالَ أبو يوسف رحمه اللهُ :

---

(١) شرح المهذب ١/٦٣ .

(٢) هذا البيت الثاني من بيتين ذكرهما الراغب الاصبهاني في محاضرات الادباء ١/٥٣ .

(٣) شرح المهذب ١/٦٣ .

(٤) مسند الدارمي ١/١١٥ .

(٥) هو أبو مسعود معافَى بن عمران الأزدي الموصلي ، من مشايخ الجزيرة في وقته ، كان حافظاً للحديث ثقة مصنفاً توفي سنة (٨٥هـ). ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٢٦٤ ، تاريخ بغداد ١٣/٢٢٦ ،

(٦) الجامع ١/١٥٧ .

(٧) مناقب الشافعي ٢/١٤٦ ، الجامع ١/١٥٧ .

(خمسةٌ يجبُ على النَّاسِ مداراتهم ، وعدَّ منهم العالمَ ليُقتبَسَ من علمهِ)[1] .

السادِسُ[2] أَنْ يشكرَ الشيخَ على توقيفهِ على ما فيهِ فضيلةٌ ، وعلى توبيخـهِ على ما فيهِ نقيصةٌ ، أَو على كسلٍ يعتريـهِ ، أو قصورٍ يعانيهِ ، أو غـيرِ ذلـكَ مما في ايقافهِ عليهِ ، وتوبيخُهُ واشادهُ [٨٢ظ] وصلاحُه ، ويعدُّ ذلكَ منَ الشيخِ من نعـمِ اللهِ تعالى عليهِ باعتناء الشيخِ بهِ ونظرهِ اليـهِ ، فانَ ذلـكَ أَميلُ لقلبِ الشيخِ ، وأَبعثُ على الاعتناءِ بمصالحهِ . وإذا أَوقفَهُ الشيخُ على دقيقةٍ من أَدبٍ ، أَو نقيصةً صدرت منهُ ، وكانَ يعرفهُ منَ قبلُ فلاً يُظهِرُ أَنَّهُ كانَ عارفاً بهِ ، وغفلَ عنهُ ، بل يشـكرُ الشيخَ على إفادتهِ ذلكَ وإعتنائهِ بأمرهِ ، فانْ كانَ لهُ في ذلكَ عذرٌ ، وكانَ اعلامُ الشيخِ بهِ أَصلحَ ، فلا بأسَ بـهِ وإلاَّ تركهُ إلاَّ أن يترتبَ على تركِ بيانِ العذرِ مفسدةٌ فيتعيَّنُ اعلامَهُ بهِ .

السابـِعُ[3] أَنْ لا يدخلَ على الشيخِ في غيرِ المجلسِ العامِ إلاَّ باستئذانٍ سواءً كانَ الشيخُ وحدهُ أو معـهُ غيرهُ . وفي مسند الدارمي عن الزُّهري قالَ : (كنتُ آتي بـابَ عـروة ، فاجلسُ بالبابِ ، ولـو شئتُ أَنْ

(١) الجـامع ١/١٥٦ .

(٢) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩٢-٩٣.

(٣) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩٣-٩٧.

أَدخلَ لدخلتُ ، ولكن إجلالاً لهُ)(١) ٠

فإِن استأذنَ بحيثُ يعلمُ الشيخُ ولم يأذنْ لـهُ انصرفَ ، ولا يكرِّرُ الأِستئذانَ ، وإنْ شكَ في علمِ الشيخِ بهِ فلا يزيدُ في الأِستئذانِ فوقَ ثلاثِ مرّاتٍ ، أو ثلاث طرقاتٍ بالبابِ ، أو الحلقةِ ، وليكُن طرقُ البابِ خفيفاً بأَدبٍ باظفارِ الأَصابعِ ، ثم بالأصابعِ ، ثم بالحلقةِ قليلاً قليلاً ، فإِنْ كانَ الموضعُ بعيداً عن البابِ والحلقةِ ، فلا بأسَ برفعِ ذلكَ بقدرِ ما يسمع لا غيرُ ، وإذا اذنَ وكانُوا جماعةً يُقَدَّمُ أفضلُهم وأَسنُّهم بالدخولِ والسَّلامِ عليهِ ، ثم يسلِّمُ عليهِ الأَفضلُ فالافضلُ ٠ وينبغي أَنْ يدخلَ على الشيخِ كاملَ الهيئةِ متطهرَ البدنِ والثيابِ نظيفهما بعدَ ما يحتاجُ اليهِ [٨٣و] من أَخذِ ظفرٍ وشعرٍ ، وقطعِ رائحةٍ كريهةٍ لاسيما إنْ كانَ يقصدُ مجلسَ العلمِ ، فإنَّهُ مجلسُ ذكرٍ واجتماعٍ في عبادةٍ ، ومتى دخلَ على الشيخِ في غيرِ المجلسِ العامِ ، وعندَهُ من يتحدَّث معَهُ فسكتوا من الحديثِ ، أَو دخلَ والشيخُ وحدَهُ يصلّي ، أَوْ يذكرُ ، أَوْ يكتبُ ، أو يطالعُ فتركَ ذلكَ أو سكتَ ولم يبدأْهُ بكلامٍ ، أَو بسطَ حديثٍ ، فليسلِّمَ ويخرجَ سريعاً إلاَّ أَنْ يحثَّهُ الشيخ على المكثِ ، وإذا مكثَ فلا يطيلُ إلاَّ أن يأمرَهُ بذلكَ ٠ وينبغي أَنْ يدخلَ على الشيخِ أو يجلسَ عندَهُ وقلبهُ فارغٌ من الشواغلِ لهُ ، وذهنهُ صافٍ ، لا في حالِ نعاسٍ أو غضبٍ ، أَو جوعٍ شديدٍ ، أَو عطشٍ ونحو

---

(١) مسند الدارمي ١/١١٥ ٠

ذلكَ ، لينشرحَ صدرهُ لما يُقالُ ويعي ما يسمعهُ ، وإذا حضرَ مكانَ الشيخَ فلم يجدْهُ جالساً انتظرهُ كيلا يفوّتَ على نفسهِ درسَهُ ، فانَّ كلَّ درسٍ يفوتُ لا عوضَ[1] لهُ ، ولا يطرقُ عليهِ ليخرجَ اليهِ ، وإنْ كانَ نائماً صبرَ حتّى يستيقظ أو ينصرفَ ثم يعودُ ، والصبرُ خيرٌ لهُ ، فقد رُوِيَ كما سيأتي في القسم الثاني أنَّ ابنَ عباس كانَ يجلسُ في طلبِ العلمِ على بابِ زيدِ بن[2] ثابت حتّى يستيقظَ فيقالُ لهُ ألا نوقظهُ لكَ ؟ فيقولُ : لا وربّما طالَ مقامُهُ وقرعتهُ الشمسُ ، وكذلكَ كانَ السّلفُ يفعلونَ ، ولا يطلبُ من الشيخِ اقراءَهُ في وقتٍ يشقُ عليهِ فيهِ ، أو لم تجرِ عادتَهُ بالأقراءِ فيهِ ، ولا يخترعُ[3] عليهِ وقتاً خاصاً بهِ دونَ غيرهِ ، وإنْ كانَ رئيساً أو كبيراً ، لما فيهِ من التّرفّعِ والحمقِ على الشيخِ والطلبةِ والعلمِ ، وربّما استحيى الشيخُ منهُ فتركَ لاجلهِ ما هو أهمّ [٨٣ظ] عندَهُ في ذلكَ الوقتِ ، فلا يفلحُ الطالبُ ، فانْ بدأَهُ الشيخُ بوقتٍ معيّنٍ أو خاصٍ لعذرٍ عائقٍ لهُ عن الحضورِ مع الجماعةِ ، أو لمصلحةٍ رآها الشيخُ فلا بأسَ بذلكَ .

الثامنُ[4] أن يجلسَ بين يدي الشيخِ جلسة الأدبِ

---

(١) هذه الوصايا التربوية لو تمسك بها طلابنا الاعزاء لازدادوا علماً ومعرفة بالبحث والتتبع .

(٢) ينظر مسند الدارمي ١/١٤ ـ ١٥ .

(٣) كذا في المخطوطة ، ولعله : (يقترح) .

(٤) النوع الثامن أخذ معظمهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩٧ ـ ١٠٠ . وأضاف عليه بعض الفقرات وخاصة في أخيره .

كما يجلسُ الصَّبيُّ بينَ يدي المقرِيء ، أَو متربعاً بتواضعٍ وخضوعٍ وسكونٍ وخشوعٍ ، ويصغي إلى الشيخِ ناظراً اليهِ ، ويُقبلُ بكليّتهِ عليه ، متعقّلاً لقولهِ بحيثُ لا يحوجهُ إلى إعادةِ الكلامِ مرةً ثانيةً .

فعن أَيّوب قالَ : (حدَّثَ سعيدُ بن جبير يوماً بحديثٍ ، فقمتُ اليهِ فاستعدتهُ فقالَ : ما كلُّ ساعةٍ أُحلَبُ فاُشربُ)[1] ، ولا يلتفتُ من غيرِ ضرورةٍ ، ولا ينظرُ إلى يمينهِ وشمالهِ ، أو فوقَهُ ، أَو قدامَهُ لغيرِ حاجةٍ ، ولاسيماَ عندَ بحثهِ لهُ ، أو عندَ كلامهِ معَهُ .

ولا ينبغي أَنْ ينظرَ إلاَّ اليهِ ولا يضطربُ لصيحةٍ يسمعُها أو يلتفتُ اليها ، ولاسيما عندَ بحثه لهُ ، ولا ينفضُ كمَّهُ ، ولا يحسرُ عن ذراعهِ ، ولاَ يعبثُ بيديهِ أو رجليهِ أو غيرهما من أَعضائهِ ، ولا يضعُ يدَهُ على لحيتهِ أو فمهِ ، أَو يعبثُ بها في أَنفهِ ، أو يستخرجُ بها منهُ شيئاً ، ولايفتحُ فاهُ ، ولا يقرعُ سنَّهُ ، ولا يضربُ الأَرضَ براحتيهِ ، أَو يخبطُ عليها باصابعهِ ، ولا يشبكُ بيديهِ ، أَو يعبثُ بازرارهِ ، ولا يستندُ بحضرةِ الشيخِ إلى حائط ، أو مخدَّةٍ ، أو در[2]ابزين[3]، أو يجعلَ يدَهُ ، ولا يعطي الشيخ جنبَهُ ، أو ظهرَهُ ، ولا يعتمدُ على يدهِ[4] إلى ورائهِ ، أَو جنبهِ ،

---

(١) الحديث ذكره الدارمي في مسنده ١/٩٢ ، وهو في الجامع ٢/٥٣ .

(٢) (درابزين) : ساقطة من (ب) .

(٣) درابزين : قوائم منتظمة يعلوها متكأ .

(٤) في (ب) : (يديه) ، وهو خطأ .

ولا يكثرُ كلامَهُ من غيرِ حاجةٍ ، ولا يحكي ما يُضحَكُ منهُ ، أَو ما فيهِ بذاءة ، أو يتضمَّنُ سوءَ مخاطبةٍ ، أَو سوءَ أدبٍ [٨٤و] ، ولا يضحكُ لغيرِ عجبٍ ولا لعجبٍ دونَ الشيخِ ، فاِنْ غلبهُ تبسَّمَ تبسُّماً بغيرِ صوتٍ البتَّةَ .

فقد أَخرجَ الخطيب عن عبدالرحمن بن عمر ، قالَ : (ضحكَ رجلٌ في مجلس عبدِ الرحمن[1] بن مهدي فقالَ : مَنْ ضحكَ فأَشارُوا إلى رجلٍ ، فقالَ : تطلبُ العلم وأَنتَ تضحكُ لا حدَّثتكم شهراً)[2] .

وعن أحمد بن شيبان[3] القطان : (كانَ عبدُالرحمن ابن مهدي لا يَتَحدَّثُ في مجلسه ، ولا يُبرَأُ فيه قلمٌ ، ولا يتبسَّمُ أَحدٌ ، فاِنْ تحدَّثَ أَو برأَ قلماً صاحَ ولبسَ نعليهِ ودخلَ ، وكذا كانَ يفعلُ ابنُ نميرٍ ، وكانَ من أَشدِّ النَّاسِ في هذا ، وكانَ وكيعُ[4] أَيضاً في مجلسهِ كأنَّهُم في صلاةٍ ، فاِنْ أَنكرَ من أَمرِهم شيئاً انتعلَ ودخلَ ، وكانَ بنُ نميرٍ يغضبُ

---

(١) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري ، ولد في البصرة سنة (١٣٥هـ) ، ودرس فيها واصبح من كبار رجال الحديث وحفاظه ، توفى في البصرة سنة (١٩٨هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٩/٣ ، تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠ .

(٢) النص من كتاب الجامع ١/١٢٨ .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن شيبان بن أسد بن حبان القطان ، حافظ من رجال الحديث روى عنه أصحاب كتب الحديث ، توفي في واسط سنة (٢٩٥هـ). ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٣٧ ، الاعلام ١/١٣٠.

(٤) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي ، كان حافظة

ويصيحُ ، وكانَ إذا رأى مَن يُبري قلماً تغيّرَ وجهُه)(1) ، انتهى ٠

ولا يُكثرُ التنحنحَ من غيرِ حاجةٍ ، ولا يبصقُ ولا يتنخعُ ما أمكنهُ ، ولا يلفظُ النخامةَ من فيه ، بل يأخذُها من فيهِ بمنديلٍ أو خرقةٍ ، أو طرفِ ثوبه ، ويتعاهدُ تغطيةَ أقدامه ، وإرخاءَ ثيابه ، وسكونَ بدنهِ عندَ بحثهِ ، أو مذاكرتهِ ، وإذا عطسَ خفضَ صوتَهُ جهدَهُ ، وسترَ وجهَهُ بمنديلٍ ونحوهِ ، وإذا تثاوبَ سترَ فاهُ بعدَ ردِّهِ جهدَهُ ٠

وعن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : (من حقِّ العالمِ عليكَ أنْ تسلِّمَ على القومِ عامةً وتخصَّهُ بالتحيَّةِ ، وأنْ تجلسَ أمامَهُ ، ولا تُشيرنَّ عندَهُ بيدِكَ ، ولا تغمزَنَّ بعينكَ غيرَهُ ، ولا تقولنَّ : قالَ فلانٌ خلافَ قولهِ ، ولا تغتابنَّ عندَهُ أحداً ، ولا تطلبنَّ عثرتَهُ ، وإنْ زلَّ قبلتَ معذرتَهُ [84ظ] ، وعليكَ أنْ توقرَهُ للهِ تعالى ، وإنْ كانتْ لهُ حاجةٌ سبقتَ القومَ إلى خدمته ، ولا تُسارِ في مجلسهِ ، ولا تأخذْ بثوبهِ ، ولا تلحَّ عليهِ إذا كسلَ ، ولا تشبعْ من طولِ صحبتهِ ، فإنَّما هوَ كالنخلةِ تنتظرُ متى يسقطُ عليكَ منها شيءٌ(2) ٠

محدثاً ثبتاً ، له مؤلفات كثيرة في السنن والتفسير والتاريخ ، توفي سنة (197هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء 8/368 ، تاريخ بغداد 13/466 ، مفتاح السعادة 2/117 ، هدية العارفين 2/500 ٠

(1) النص ذكره الخطيب البغدادي في الجامع 1/128 ٠

(2) الكلام في الجامع 1/133 ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ص76 ٠

وإنَّ المؤمنَ العالمَ لأعظمُ أجراً من الصائمِ القائمِ الغازي في سبيلِ الله ، وإذا ماتَ العالمُ انثلمتْ في الأسلامِ ثلمةٌ لا يسدُّها شيءٌ إلى يومِ القيامةِ)[1] . أخرجه الخطيبُ في الجامعِ ، ولقد جمعَ رضيَ اللهُ عنهُ في هذهِ الوصيّةِ ما فيهِ مقنعٌ .

قالَ بعضهُم : ومن تعظيمِ الشيّخِ ألاَ يجلسَ إلى جانبهِ ولا على مُصلاَّهُ ، أو وسادتهِ ، وإنْ أمرهُ الشيخُ بذلكَ فلا يفعلهُ إلاّ إذا جزمَ عليهِ جزماً يشقُّ عليهِ مخالفتهُ ، فلا بأسَ بامتثالِ أمرهِ في تلكَ الحالِ ، ثم يعودُ إلى ما يقتضيهِ الأدبُ ، وقد تكلّمَ النّاسُ في أيِّ الأمرينِ أولَى أنْ يعتمدَ امتثالَ الأمرِ ، أوْ سلوكَ الأدبِ ، والذي يترجّحَ ماتقدّمَ من التفضيلِ . قاله البدرُ بنَ جماعة ، قالَ : فانْ جزمَ الشيخُ بما أمرَ به بحيثُ يشقُّ عليهِ مخالفتُهُ ، فامتثالُ الأمرِ أولَى وإلاّ فسلوكِ الأدبِ أولى لجوازِ أنْ يقصدَ الشيخُ جبرَهُ واظهارَ احترامهِ والاعتناءَ بهِ ، فيقابلُ هو ذلكَ بما يجبُ من تعظيمِ الشيّخِ والأدبِ معهُ[2] . وقد أخرجَ الخطيبُ : (عن إدريس بن عبدالكريم قالَ : قالَ لي سلمةُ بن عاصم[3] : أريدُ

---

(1) الجامع ١/١٣٣ ، وهو في الفقيه والمتفقه للبغدادي ٢/٩٩ .

(2) الى هنا انتهى كلام البدر بن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٠ .

(3) هو ابو محمد سلمة بن عاصم النحوي ، عالم بالعربية والقرآن والحديث ، توفي سنة ٣١٠هـ ، ترجمته في انباه الرواة ٢/٥٦ ، كشف الظنون ص١٧٢٠ ، الاعلام ٣/١٧٢ .

أَنْ أَسمعَ كتابَ العددِ من خلفٍ ، فقلتُ لخلفٍ ، قالَ : فليجي، فلمَّا دخلَ رفعَهُ لأَنْ يجلسَ في الصَّدرِ فأبَى ، وقالَ : لا أَجلسُ إلاَّ بينَ يديكَ ، وقالَ هذا حقُ التعليمِ ، فقالَ لهُ خلفٌ : جاءَني [٨٥و] أَحمدُ بن حنبل يسمعُ حديثَ أَبي عوانة ، فاجتهدتُ أَنْ أَرفعهُ فأبَى وقالَ : لا أجلسُ إلاَّ بينَ يديكَ ، أُمِرْنَا أَنْ نتواضعَ لمن نتعلَّمَ منهُ)[1] .

وعن عبدالله بن المعتزِّ : (المتواضعُ من طلاَّبِ العلمِ أكثرُهم علماً ، كما أَنَّ المكانَ المنخفضَ أَكثرُ البقاعِ ماءً)[2] .

وإذا دعا الشيخُ أَوَّلَ الدَّرسِ للحاضرينَ علَى العادةِ ، أَجابوهُ بالدُّعاء أَيضاً ، وكانَ بعضُ أَكابرِ الأعلامِ يزبرُ[3] تاركَ ذلكَ ويغلظُ عليهِ .

التاسعُ[4] أَنْ يُحسِنَ خطابَهُ معَ الشيخِ بقدرِ الامكانِ ، ولا يقولُ لهُ : لِمَ ؟ ولا لانسلِّمُ ، ولا من يقلُ هذا ، ولا أَينَ موضعهُ ، وشبهَ ذلكَ .

وعن حبيب بن أَبي ثابت قالَ : (كُنَّا عندَ سعيد ابن جبير فحدَّثَ بحديثٍ ، فقالَ رجلٌ : مَن حدَّثَ

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي ١/١٣٢ .

(٢) الجامع ١/١٣٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٧٣ .

(٣) في (ب) : يزجر ، وكلا اللفظين يدل على المنع والنهي . ينظر القاموس المحيط (زبر) .

(٤) النوع التاسع معظمه من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠١ـ١٠٤ .

هذا ؟ أَو ممَّن سمعتَ هذا ؟ فغضبَ ، ومنعنا حديثَهُ حتَّى قامَ)(1) ، رواهُ الدارمي ، فإنْ أرادَ استفادتَهُ تلطَّفَ في الوصولِ إلى ذلكَ ، ثم هوَ في مجلسٍ آخر أَولى على سبيلِ الاستفادةِ .

وعن بعضِ السَّلفِ : من قالَ لشيخه : لِمَ ؟ لا يفلحُ أَبداً ، وإذا ذكرَ شيئاً فلا يقلْ هكذا قلتُ : أَو خطرَ لي ، أو سمعتُ ، أَو هكذا قالَ فلانٌ إلاَّ أَنْ يعلمَ إيثارَ الشيخِ ذلكَ ، وهكذا لا يقولُ : قالَ فلانٌ هذا ، أَو رَوِيَ فلانٌ خلافَهُ ، أَو هذا غيرُ صحيحٍ ، ونحو ذلكَ .

وإذا أَصرَّ الشيخُ على قولٍ ، أَو دليلٍ لم يظهرْ لهُ ، أَوْ على خلافِ صوابٍ سهواً ، فلا يغيِّرَ وجهَهُ ، أو عينَهُ ، أَو يشيرُ إلى غيرِهِ كالمنكرِ لما قالهُ ، بل يأخذُهُ ببشرٍ ظاهرٍ ، وإنْ لم يكنِ الشيخُ مصيباً لغفلةٍ ، أَو سهوٍ ، أو قصورِ نظرٍ [85ظ] في تلكَ الحالِ ، فإنَّ العصمةَ في البشرِ للأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم ، وليتحفَّظَ من مخاطبةِ الشيخِ بما يعتادُ بعضُ النَّاسِ في كلامِهِ ، ولا يليقُ خطابَهُ بهِ مثلَ ايش(2) بكَ ، وفهمتَ ، وسمعتَ ، وتدري ، ويا انسانُ ونحو ذلكَ لا يحكي لهُ ما خوطبَ به غيرُهُ مِمَّا لا يليقُ خطابُ الشَّيخِ بهِ وإنْ كانَ حاكياً ، مثل

(1) مسند الدارمي 1/92 .

(2) (ايش بك) كلمة عامية ، وهي منقولة من تذكرة السامع والمتكلم ص102 .

قالَ فلانٌ لفلانٍ : أَنْتَ قليلُ البرِّ ، وما عندكَ خيرٌ وشبهَ ذلكَ ، بل يقولُ إذا أَرادَ الحكايةَ ما جرتِ العادةُ بالكنايةِ ، مثلَ قالَ فلانٌ لفلانٍ : الأَبعدُ قليلُ البرِّ ، وما عندَ البعيدِ خيرٌ وشبهَ ذلكَ .

ويتحفَّظَ من مفاجأةِ الشَّيخِ بصورةِ ردٍّ عليهِ ، فإنَّهُ يقعُ ممَّنْ لا يحسنُ الأَدبَ من النَّاسِ كثيراً ، مثلَ أَنْ يقولَ لهُ الشَّيخُ : مرادُكَ في سؤالكَ كذا ، أو خطرَ لكَ كذا ، فيقولُ : لا ، أَو ما هذا مرادي ، أَو ما خطرَ لي هذا ، وشبهَ ذلكَ ، بل طريقهُ أَن يتلطَّفَ بالمكاسرةِ عن الردِّ على الشيخِ ، وكذلكَ إذا استفهمهُ الشيخُ استفهامَ تقريرٍ وجزمٍ ، كقولهِ : أَلمْ تقلْ كذا ، أَو ليسَ مرادُكَ كذا ؟ فلا يبادرُ بالردِّ عليهِ بقولهِ : لا ، أَو ما هو مرادي بل يسكتُ أَو يُورِّي عن ذلكَ بكلامٍ لطيفٍ يُفهِمُ الشيخَ قصدَهُ منهُ ، فإنْ لم يكن بدٌّ من تحريرِ قصدهِ وقولهِ فليقلْ : فأَنا الآنَ أَقولُ كذا، أَو أَعودُ إلى قصدِ كذا، أَو يُعيدُ كلامَهُ، ولا يقل الذي قلتهُ[1] ، أَو الذي قصدتهُ ، لتضمُّنهِ الردَّ عليهِ ، وكذلكَ ينبغي أَنْ يقولَ في موضعِ (لِمَ) و (لا نسلِّمُ) فإنْ قيلَ لنا كذا ، أَو فإنْ مُنعنا ذلكَ . أَو فإنْ سُئلنا عن كذا ، أو فإنْ اُوردَ كذا وشبهَ ذلكَ ، ليكون مستفهماً للجوابِ سائلاً له بحسنِ [٨٦و] أَدبٍ ولطفِ عبارةٍ .

---

(١) هذه من الطرق المثلى في التربية الاسلامية ، وبهذه الطريقة خلفوا لنا هذه الثروة العلمية العظيمة .

العاشر[1] إذا سمعَ الشيخَ يذكرُ حكماً في مسألةٍ ، أو فائدةً مستغربةً ، أَو يحكي حكايةً ، أَو ينشدُ شعراً ، وهو يحفظُ ذلكَ أَصغى اليه إصغاءَ مستفيدٍ لهُ في الحالِ متعطّشٍ اليهِ فرحٍ بهِ ، كأنَّهُ لم يسمعْهُ قطُّ ٠

قالَ عطا[2] : (إنّي لأَسمعُ الحديثَ من الرجلِ ، وأَنا أَعلمُ بهِ منهُ، فأُريهِ من نفسي أَنّي لا أَحسنُ منهُ شيئاً)[3] ٠ وعنهُ قالَ : (إنَّ الشابَّ ليتحدَّثُ بحديثٍ فاستمعُ لهُ كأنّي لم اسمعْهُ ، ولقد سمعتُهُ قبلَ أَنْ يولدَ)[4] ٠

فانْ سألهُ الشيخُ عندَ الشروعِ في ذلكَ عن حفظهِ لهُ فلا يجيبُ بنعم لما فيهِ من الاستغناءِ عن الشيخِ فيهِ ، ولا يقلْ : لا لما فيه من الكذبِ ، بل يقولُ : أحبُّ أَنْ استفيدَ من الشيخِ ، أَو أَنْ اسمعَهُ منهُ ، أَو بعُدَ عهدي ، أو هو من جهتكم أَصحُ ٠ فانْ علمَ من حالِ الشيخِ أَنَّهُ يؤثرُ العلمَ بحفظه لهُ مسرَّةً بهِ ، أو أَشارَ اليهِ باتمامهِ امتحاناً لضبطهِ ، أَو حفظهِ ،

---

(1) النوع العاشر أكثره أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٤ ـ ١٠٦ ٠

(2) هو عطاء بن سالم بن صفوان ، كان عبداً اسود ، ولد في اليمن ، ونشأ بمكة ، وكان فقيهاً وزاهداً ومحدثاً ، توفي سنة (١١٥) ٠ ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٩٢ ، حلية الاولياء ٣/٣١٠ ، الاعلام ٥/٢٩ ٠

(3) الجامع ١/١٣٤ ٠

(4) الجامع ١/١٣٤ ٠

أَو لاظهارِ تحصيله ، فلا بأسَ باتباعِ عرضِ الشيخِ إبتغاءَ مرضاته وازدياداً لرغبته فيه . ولا ينبغي للطالبِ أَنْ يكرِّرَ سؤالَ ما يعلمه ، ولا استفهام ما يفهمهُ ، فانَّهُ يضيِّعُ الزَّمانَ ، وربَّما أَضجر الشيخَ . قالَ الزُّهري : (إعادةُ الحديثِ أَشدُّ من نقلِ الصخرِ)(١) .

وينبغي أَلاَّ يقصِّرَ في الأِصغاءِ والتَّفهُّم ، أَوْ يشغلَهُ ذهنه بفكرٍ ، أو حديثٍ ، ثم يستعيدُ الشيخَ ما قالهُ ، لأَنَّ ذلكَ اساءةُ أَدبٍ بل يكونُ مُصْغياً لكلامه ، حاضرَ الذهنِ لما سَمِعَهُ من أوّلِ مرّةٍ . وكانَ بعضُ المشايخِ لا يعيدُ لمثلِ هذا إذا استعادَهُ ، ويزبرهُ عقوبةً له ، وإذا لم يسمعْ كلامَ الشيخِ لبعده ، أَوْ لم يفهمْهُ معَ الأِصغاءِ اليه والأِقبال[٨٦ظ]عليه ، فله أَنْ يسألَ الشيخَ إعادتَهُ أَوَ تفهيمَهُ ، بعد بيانِ عذرهِ بسؤالٍ لطيفٍ .

الحادي(٢) عشرَ أَلاّ يسبقَ الشيخَ إلى شرحِ مسألةٍ ، أو جوابِ سؤالٍ منه ، أَو من غيره ، ولا يساوقَ فيه ، ولا يُظهرَ معرفتَهُ به ، أو إدراكَهُ قبلَ الشيخِ ، فانْ عرضَ الشيخُ عليه ذلك ابتداءً ، أو التمسهُ منهُ فلا بأسَ .

---

(١) ينظر تذكرة السامع والمتكلم ص١١٦ .

(٢) النوع الحادي عشر اكثرهُ من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٦ـ١٠٨.

وينبغي ألاّ يقطعَ على الشيخِ كلامَهُ أيَّ كلامٍ كانَ ، ولا يسابقَهُ فيهِ ولا يساوقَهُ ، بل يصبرُ حتّى يُفرِغَ الشيخُ كلامَهُ ، ثم يتكلّمُ ، ولا يتحدّثَ مع غيرهِ ، والشيخُ يتحدّثُ معَهُ ، أو معَ جماعةِ المجلسِ .

وفي حديث هند بن أَبي هالة في وصفه للنبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآله وسلّمَ : (أَنَّ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ كانَ إذا تكلّمَ أَطرقَ جلساؤهُ كأنَّ على رؤُوسهم الطيرَ ، فاذا سكتَ تكلّمُوا)[1] . وليكنْ ذهنهُ حاضراً في جهةِ الشيخِ بحيثُ إذا أَمرهُ بشيءٍ ، أَو سألهُ عن شيءٍ ، أَو أَشارَ اليهِ لم يحوجْهُ إلى اعادتهِ ثانياً بل يبادرُ اليهِ مسرعاً ، ولم يعاودْهُ فيهِ ، أَو يعترضْ عليهِ بقولهِ : فانْ لم يكن الأَمرُ كذا .

الثاني عشرَ إذا ناولهُ الشيخُ شيئاً يتناولهُ باليمينِ ، وإنْ ناولهُ شيئاً ناولهُ باليمين ، فانْ كانَ ورقةً يقرأُها كفُتيا ، أَو قصّةٍ ، أَو مكتوبٍ شرعي ، ونحو ذلكَ نشرها ثم دفعَها اليهِ ، ولا يدفعُها إليهِ مطويّةً إلاّ إذا علمَ أَو ظنَّ إيثارَ الشيخِ لذلكَ ، وإذا أَخذَ من الشيخِ ورقةً بادرَ إلى أخذِها منشورةً قبلَ أَن يطويهَا ، أَو يتربَها .

---

(١) الجامع ١/١٢٧ ، وهو في الفقيه والمتفقه ٢/١٢٣ .

(٢) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٨ ـ ١١٠ وأضاف اليه بعض الاضافات .

وإذا ناولَ الشيخَ كتاباً ، ناولَه إيَّاه مهيِّئةً لفتحه ، أو القراءةِ فيهِ من غيرِ احتياجٍ إلى إدارته ، فان كانَ النظرُ في موضعٍ معيَّنٍ فليكنْ مفتوحاً كذلكَ ، ويعيِّنُ له المكانَ ، ولا يحذفُ اليهِ الشيء حذفاً من كتابٍ ، أو ورقةٍ ، أو غيرِ ذلكَ [٧٨و] ، ولا يمدُّ يديهِ اليهِ إذا كانَ بعيداً ولا يحوجُ الشيخُ إلى مدِّ يدَهِ أيضاً ، لاخذٍ منهُ ، أو عطاءٍ ، بل يقومُ اليه قائماً ، ولا يزحفُ زحفاً ، وإذا جلسَ بينَ يديهِ لذلكَ فلا يتقرَّبُ منهُ قرباً كثيراً يُنسَبُ فيه إلى سوءِ أدبٍ ، ولا يضعُ رجليهِ ، أَو يديهِ ، أَو شيئاً من بدنهِ ، أَو ثيابهِ على ثيابِ الشيخِ ، أَو وسادتهِ ، أَو سجادتهِ ، ولا يشيرُ اليهِ بيدهِ أَو يقرِّبُها من وجهه ، أَو صدرهِ ، أو يمسُّ بها شيئاً من بدنه ، أَو ثيابهِ ، وإذا ناولَهُ قلماً ليكتبَ بهِ فليمدَّهُ[1] قبلَ إعطائهِ إيَّاهُ ، وإنْ وضعَ بينَ يديهِ دواةً فلتكُنْ مفتوحةَ الأغطيةِ مهيئةً للكتابةِ منها ، وإنْ ناولَهُ سكيناً فلا يصوُبُ اليهِ شفرتَها ، ولا نصابَها ويدهُ قابضةٌ على الشَّفرةِ ، بل يكونُ عرضاً وحدَّ شفرتِها إلى جهته ، قابضاً على طرفِ النِّصابِ ممَّا يلي النصلَ ، جاعلاً نصابَها على يمينِ الآخذِ ٠ كَذلَكَ قالَ البدرُ ٠

وقد ناولتُ شيخنا العلامة الشمسَ الشرواني مرةً السكين ، فلم يتناولْهَا منِّي ، وقالَ : ضعها فوضعتها

(١) هذه من الوصايا الهامة في التربية ، وقد كانت سبباً في التطور العلمي والادبي في تلك الفترة ٠

بينَ يديــه ، فأَخذها ، وقالَ : هي آلةُ القطعِ ، وآلةُ القطعِ لا تُنَـاولُ للمحبِّين ٠

وإنْ ناولهُ سجادةً ليصلّي عليها نشرها أَوَّلاً ، والأَدبُ أَن يفرشها هو عندَ قصدِ ذلكَ ، وإذا فرشها ثني مؤخرَ طرفِـها الأَيسر كعادةَ الصوفيَّةِ ، فإنْ كانتْ مُثلَّثةً جعلَ طرفيها إلى يسارِ المصلّى،وإن كَانَ فيها صورةُ محرابٍ تحرَّى به جهةَ القبلةِ إن أَمكنَ ٠ ولا يجلسُ بحضرةِ الشـيخِ علَى سـجادةٍ ولا يصلّي عليها إن كانَ المكانُ طاهراً ٠ وإذا قـامَ الشيخُ بادر القومُ إلى أَخذِ السجادةِ ، وإلى الأخذِ بيدهِ ، أو عضدهِ إن احتـاجَ ، وإلى تقـديمِ نعلهِ إن لَم يشقَّ ذلكَ على الشيخِ ، ويقصدُ [٧٨ظ] بذلكَ كلِّه التقربَ إلى اللهِ تعالَى ، وإلى قلب الشيخِ وقيلَ أَربعةٌ لا يأنفُ الشريفُ منهنَّ ، وإنْ كانَ أَميراً : قيامهُ من مجلسهِ لأبيــهِ ، وخدمتهُ للعالم يتعلَّمُ منهُ والسؤالُ عمَّا لَا يعــلمُ ، وخدمتهُ للضيفِ ، وسيأتي في القسمِ الثاني قولُ أبي معاويةَ(١) الضريرِ ، وقد صبَّ الرشيدُ علَى يدهِ عقب أَكلهِ معَهُ : (جزاكَ اللهُ خيراً يا أَميرَ المؤمنينَ ، فمـا أكرمتَ إلاَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، فقالَ الرشيدُ : صدقتَ إنَّما صبَبْتُ عَلى يدِكَ لأَنَّها

---

(١) هو ابو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم ، عمي وهو صغير ، كان حافظاً للحديث وراوياً ، قال ابن المديني : روينا عن أبي معاوية الضرير ألف وخمسمائة حديث ٠ توفي سنة (١٩٥هـ) ٠ ترجمته في تاريخ بغـداد ٥/٢٤٢ ، البداية والنهـاية ١٠/٢١٥ ، الاعـلام ٦/٣٤٥ ٠

كفّ عُنِيتْ بحديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّم)[1] .

الثالث[2] عشرَ إذا مشَى معَ الشيخِ فليكنْ أَمامَهُ بالليلِ وراءَهُ بالنَّهارِ ، إلاَّ أَن يقتضي الحالُ خلافَ ذلكَ لزحمةٍ ، أو غيرِهَا ، ويتقدَّمُ عليهِ في المواطيء المجهولةِ الحالِ ، لوحلٍ ، أَو خوضٍ ، والمواطيء الخطرةِ ، ويحترَزُ من ترشيشِ ثيابِ الشيخِ ، وإنْ كانَ في زحمةٍ صانَهُ عنها بيديهِ ، إمَّا من قدَّامهِ أو من ورائهِ .

وإذا مشَى أَمامَهُ التفتَ اليهِ بعدَ كلِّ قليلٍ ، فإنْ كانَ وحدهُ والشيخُ يكلِّمُهُ حالةَ المشي ، وهما في ظلٍّ فليكُنْ عن يمينهِ ، وقيلَ عن يسارهِ متقدِّماً عليهِ قليلاً ملتفتاً إليهِ ، ويعرِّفُ الشيخَ عن قربٍ منهُ ، أَو من قصدَهُ من الأَعيانِ إن لم يعلمِ الشيخُ بهِ . ولا يمشي إلى جانبِ الشيخِ إلاَّ لحاجةٍ ، أَو اشارةٍ منهُ ، ويحترزُ من مزاحمته بكتفهِ ، أَو بركابهِ إن كانا راكبينِ وملاصقةُ ثيابهِ ، ويؤثرهُ بجهةِ الظلِّ في الصَّيفِ ، وبجهةِ الشَّمسِ في الشتاء ، وبجهةِ الجدارِ في الرصفاناتِ ونحوها ، وبالجهةِ التي لا تقرعُ الشَّمسُ فيها وجهَهُ إذا التفتَ اليهِ ، ولا يمشي بينَ الشيخِ وبين من يحدِّثُهُ ، ويتأخرُ عنهما إذا تحدَّثا ،

---

(1) القصة بكمالها في البداية والنهاية ١٠/٢١٥ .

(2) النوع الثالث عشر أخذ المصنف أكثره من تذكرة السامع والمتكلم ص١١٠ ــ ١١٢ .

أَو يتقدَّمُ ، ولا يقــربُ ويستمعُ ، ولا [٨٨و] يلتفتُ ، فانْ ادخلاهُ في الحديثِ فليأتِ من جانبٍ آخــر ، ولا يشقُ بينهما . وإذا مشَى معَ الشيخِ اثنانِ فاكتنفاهُ ، فقد رجَّحَ بعضُهم أَنْ يكونَ أَكبرهما عــن يمينهِ ، وإن لم يكتنفاهُ تقدَّمَ أكبرهما وتأخــرَ أَصغرهما . وكذا عندَ الدخولِ ، قالَ الخطيبُ : وإنْ قدَّمَ الأكبر على نفسهِ من كانَ أَعلمَ منهُ جازَ ذلكَ وكانَ حسناً .

قالَ الحســينُ بن منصور(١) : كنتُ معَ يحيَى(٢) ابن يحيَى وإسحاق(٣) ـ يعني ابن راهويه ـ يوماً يعودُ مريضاً فلمَّا حاذينا البابَ تأخرَ إسحاقُ وقالَ ليحيى : تقدَّمْ ، فقالَ يحيى لأِسحاق : تقــدَّمْ أَنتَ ، قالَ : يا أَبا زكريا أَنتَ أكبرُ منِّي قــالَ : نعم أَنــا أكبرُ منكَ ، وأَنتَ أَعلمُ منِّي ، فتقدَّمَ إسحاقُ .

---

(١) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، فارسي الاصل ، نشأ بواسط صحب الجنيد ، وكان صوفياً مشهوراً قتل في بغداد سنة (٣٠٩هـ) ترجمته في طبقات الصوفية ص٣٠٨ .

(٢) هو أبو زكريــا يحيى بن يحيى بن بكــير بن عبدالرحمن التميمي الحنظلي كان محدثا ورعاً ثقة ، قال عنه ابن راهويه : مات وهو امام الدنيــا ، توفي سنة (٢٢٦هـ) . ترجمته في التهــذيب ٢٩٦/١١ ، مرآت الجنان ٩١/٢ ، الاعلام ٢٢٣/٩ .

(٣) هو أبو يعقوب اســحاق بن ابراهيم بن مخــلد الحنظلي التميمي المروزي المعروف بابن راهويه ، أحد كبار الحفاظ ، طاف في اكثر البلدان الاسلامية ، أخذ عنه الامام احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، توفي سنة (٢٣٨هـ) ، ترجمته في تاريخ بغــداد ٣٤٥/٦ ، حلية الاولياء ٢٣٤/٩ ، الاعلام ٢٨٤/١ .

وإذا صادفَ الشيخَ في طريقهِ بَدَأهُ بالسَّلامِ ، ويقصدهُ إنْ كانَ بعيداً ، ولا يناديهِ ، ولا يسلِّمُ من بعيدٍ ، ولا من ورائهِ ، بل يقربُ ويتقدَّمُ عليهِ ثم يسلِّمُ ، ولا يشيرُ عليهِ ابتداءً بالأخذِ في طريقٍ حتَّى يستشيرَهُ ، ويتأدبُ فيما يستشيرهُ الشيخُ بالردِّ إلى رأيهِ . ولا يقولُ لما رآهُ الشيخُ وكانَ خطأً هذا خطأ ، ولا هذا ليسَ برأيٍ ، بل يحسنُ خطابَهُ في الردِّ إلى الصوَّابِ ، كقولهِ : يظهرُ أنَّ المصلحةَ في كذا ، ولا يقولُ : الرأي عندي كذا .

الفصل[1] السادس

في آداب المتعلم في درسه وقراءته وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة

وفيه ثلاثة عشر نوعاً :

الأول[2] أن يبتدي أولاً بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً ، ويجتهد على اتقان تفسيره وسائر علومه ، فانه أصل العلوم وامها . ثم يحفظ في كل فن مختصراً يجمع فيه بين طرفيه من الفقه والحديث وعلومه والأصوليين ، والنحو والتصريف ، [٨٨ظ] ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن وتعهده وملازمة ورد منه كل يوم ، أو أيام ، أو جمعة ، وليحذر من نسيانه بعد حفظه ،فقد وردت فيه أحاديث تزجر عنه . ويشتغل بشرح تلك المحفوظات على المشايخ ، واليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب ابتداءً بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليماً له ، وأكثر تحقيقاً فيه ، وتحصيلاً منه ، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه ، وذلك بعد مراعاة الصفات المتقدمة من الدين والصلاح والشفقة وغيرها .

فان كان شيخه لا يجد من قراءته وشرحه على غيره معه فلا بأس بذلك وإلا راعى قلب شيخه إن

(١) الفصل السادس هوالفصل الثالث فيتذكرة السامعوالمتكلم ص١١٢ .

(٢) النوع الاول أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١١٢-١١٦ .

كانَ أَرجاهم نفعاً ، لأَنَّهُ أَنفعُ لـهُ وأَجمعُ لقلبهِ عليهِ ، والياخذْ منالحفظِ والشرحِ ما يمكنهُ ويطيقهُ حالهُ من غيرِ اكثارٍ يُملّ ، ولا تقصيرٍ يخلُ بجودةِ التحصيلِ .

الثاني[1] أَن يحذرَ في ابتداءِ أَمرهِ من الأشتغالِ في الاختلافِ بينَ العلماءِ ، أو بينَ النَّاسِ مطلقاً في العقلياتِ والسَّمعيَّاتِ ، فانَّهُ يحيِّرُ الذهنَ ويدهشُ العقلَ ، بل يتقنُ أَوَّلاً كتاباً واحداً في فنٍّ واحدٍ ، أَو كتباً في فنونٍ إن احتملَ ذلكَ على طريقةٍ واحدةٍ يرتضيها لهُ شيخهُ ، فانْ كانتْ طريقةُ شيخهِ نقلُ المذاهبِ والأختلافِ ولم يكُن لهُ رأيٌ واحدٌ ، قالَ الغزالي : فليحذرْ منهُ فانَّ ضررَهُ أَكثرُ من النفعِ بهِ .

وكذلكَ يحذرُ في ابتداءِ طلبهِ من المطالعاتِ في تفاريقِ المصنَّفاتِ ، فانَّهُ يضيِّعُ زمانَهُ ، ويفرِّقُ ذهنَهُ ، بل يعطي الكتابَ الذي يقرأهُ ، أَو الفنَّ الذي يأخذهُ كليَّةً حتَّى يتقنَهُ .

وكذلكَ يحذرُ من التنقُّلِ من كتابٍ إلى كتابٍ من غيرِ موجبٍ ، فانَّهُ علامةُ الضجرِ وعدمِ الفلاحِ ، ورَوِيَ البيهقي[2] أَنَّ خادمَ الرَّشيد أَقعَد [٨٩و]

---

(١) النوع الثاني أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١١٦ ـ ١٢٠ ، مع بعض الاضافات .

(٢) لم أجد هذا الخبر في مناقب الشافعي للبيهقي .

امامنا الشَّافعي عندَ مؤدبِ أَولادِ الرشيدِ قبلَ أَنْ يدخلَهُ عليهِ ، وقالَ : يا أَبا عبدالله ، هؤلاءِ أَولادُ أميرِ المؤمنينَ ، وهذا مؤَدبهم فلو وصَّيتَ بهم ، فأَقبل الشَّافعي على المؤدبِ فقالَ : (ليكنْ أولُ ما تبتدي به من إصلاحِ أَولادِ أَميرِ المؤمنينَ إصلاحَكَ نفسَكَ ، فانَّ أَعينَهُم معقودةٌ بعينِكَ ، فالحسنُ عندهم ما تستحسنهُ ، والقبيحُ عندهم ما تركتهُ ، علِّمهم كتابَ اللهِ ، ولا تكرِههم عليهِ فيملُّوهُ ، وتتركهم منهُ فيهجروهُ ، ثم روِّهم من الشعرِ أَعفَّهُ ومن الحديثِ أَشرفَهُ ، و لاتخرجُهم من علمٍ إلى غيرهِ حتَّى يحكموه فانَّ ازدحامَ الكلامِ في الذهنِ مَضلَّةٌ ، انتهى)[1] .

أَمَّا إذا تحققتْ أَهليَّةُ المتعلِّم وتأكدتْ معرفتهُ فالأولى أَنْ لا يدعَ فنَّاً من العلومِ الشرعيَّةِ إلاَّ نظرَ فيهِ ، فانْ ساعدهُ القدرُ وطولُ العمرِ على التبحُّرِ فيهِ فَذاكَ ، وإلاَّ فقد استفادَ منهُ ما يخرجُ بهِ من عداوةِ الجهلِ بذلكَ العلمِ ، ويُعنَى من كلِّ فَنٍّ بالأَهمِّ فالأهمِّ .

قالَ في شرحِ المهذب : (ومن أَهمها الفقهُ والنحوُ ثم الحديثُ والأصولُ ثم الباقي)[2] انتهى . ولا يغفلنَّ عن العملِ الذي هو المقصودُ بالعلمِ .

الثالث[3] أَن يصحِّحَ ما يقرأُهُ قبلَ حفظهِ تصحيحاً

---

(١) جاء في الحلية ١٤٧/٩ دخل الشافعي يوماً الى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين ومعه سراج الخادم ، فاقعده عند أبي عبدالصمد مؤدب أولاد الرشيد وذكر النص المذكور .

(٢) شرح المهذب للنووي ١/٦٥ .

(٣) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٢١ ـ ١٢٦ . مع اضافات قليلة .

متقناً إمَّا على الشيخ ، وإمَّا على غيره ممن يعيِّنه ، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً ، ثم يكرِّر عليه بعد حفظه تكراراً جيِّداً ثم يتعاهده في أوقات يقرِّرها لتكرار مواضيعه . ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه ، لأنَّه يقع في التحريف والتصحيف ، وقد تقدَّم أنَّ العلم لا يؤخذ من الكتب فإنَّه من أضرِّ المفاسد . وينبغي أنْ يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصحيح ، أي في مجلس التصحيح ، وأمَّا التصحيح حال الدرس ، فكان شيخنا العلامة الشمس [٨٩ظ] الشرواني(١) يمنع منه ، لما في الأشتغال به عن تقرير الشيخ ، وإنَّما يعلِّم عليه بظفره ونحوه حتَّى يصلحه بعد فراغه ، ويضبط ما يصحِّحه لغةً وإعراباً ، وإذا ردَّ الشيخ عليه لفظةً ، وظنَّ أنَّ ردَّه خلاف الصَّواب ، أو علمه كرَّر اللفظة مع ما قبلها ليتنبَّه لها الشيخ ، أو يأتي بلفظة الصَّواب على سبيل الاستفهام ، فربما وقع ذلك سهواً ، أو سبق لسان لغفلة ، ولا يقل بل هي كذا بل يتلطف في تنبيه الشيخ لها ، فإنْ لم يتنبه قال : فهل يجوز فيها كذا فإنْ رجع الشيخ إلى الصَّواب فلا كلام وإلاَّ ترك تحقيقها إلى مجلس آخر يتلطَّف لاحتمال أن يكون الصَّواب مع الشيخ ، وكذلك إذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسألة لا يفوت تحقيقه ولا يعسر تداركه ، فإنْ كان كذلك كالكتابة في رقاق الاستفتاء ، وكون السائل غريباً ، أو بعيد الدَّار ، أو مشنِّعاً تعيَّن

---

(١) الشمس الشرواني هو شيخ المصنف ، وقد مرت ترجمته .

تنبيهَ الشيخِ على ذلكَ في الحالِ باشارةٍ ، أَو تصريحٍ ، فانَّ تركَ ذلكَ خيانةٌ للشيخِ فيجبُ نصحُه بما أَمكنَ من تلطُّفٍ أَو غيرهِ ، وإذا وقفَ على مكانٍ كتبَ قبالتهُ بلغَ العرضُ والتصحيحُ •

الرّابعُ[1] أن يبكِّرَ لسماعِ الحديثِ ولا يهملَ الاشتغالَ بهِ وبعلومهِ والنظرَ في اسنادهِ ورجالهِ ومعانيهِ واحكامهِ وفوائدهِ ولغتهِ وتواريخهِ ، ويُعنَى أَولاً بصحيحي البخاري ومسلم ، ثم ببقيَّةِ الكتبِ الأَعلامِ والاصولِ المعتمدةِ في هذا الشأنِ ، كموّطأَ مالك وسننِ أَبي داود والنسائي وابن ماجة وجامعِ الترمذي ومسندِ الشافعي ، ولا ينبغي أن يقتصرَ على أَقلَّ من ذلكَ ، ونعم المعينُ للفقيه كتابُ السنن الكبير لأبي بكر البيهقي ، ومن ذلكَ المسانيد كمسند أحمد بن حنبل وابن حميد البزار ، ويعتني [٩٠و] بمعرفةِ صحيحِ الحديث ، وحسنه ، وضعيفه ، ومسنده ، ومرسله ، وسائر أَنواعهِ ، فانَّهُ أَحدُ جناحي العالمِ بالشريعةِ والمبيِّنُ لكثيرٍ من الجناحِ الآخر ، وهو القرآنُ • ولا يقنعُ بمجرّد[2] السماعِ كغالبِ محدِّثي هذا الزّمان ، بل يعتني بالدراية أَشدَّ من عنايته بالروايةِ • قالَ الشافعي رحمهُ اللهُ : ([3]من نظرَ في الحديثِ قوتْ

---

(١) النوع الرابع أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٢٦ – ١٣٣ •

(٢) كذا في الاصل ، و(ب) والتذكرة ، وفي (م) : (لمجرد) •

(٣) كلام الشافعي في كتاب الفقيه والمتفقه ١/٣٦ •

حجتهُ) ، ولأنَ الدرايــةَ هي المقصودُ بنقلِ الحديثِ وتبليغــهِ .

الخامسُ[1] إذا شرحَ محفوظاته المختصراتِ وضبطَ ما فيها من الأشكالاتِ والفوائدِ المهمــاتِ ، انتقلَ إلى بحثِ المبسوطَاتِ مــعَ المطالعــةَ الدائمةَ ، وتعليقِ ما يمرُّ بهِ ، أوَ يسمعهُ من الفوائدَ النفيسةَ والمسائلِ الدقيقة والفروعِ الغريبةِ ، وحلِّ المشكلاتِ والفروقِ بينَ أحكامِ المتشابهاتِ من جميعِ أنواعِ العــلومِ ، ولا يستقلُّ بفائدةِ يســمعها ، أوَ يتهــاونُ بقاعــدةٍ يضبطُها ، بل يبادرُ إلى تعليقـها وحفظِـهـا ، ولتــكنْ همتهُ في طلبِ العلمِ غالبةً ، فلا يكتفي بقليلِ العــلمِ معَ امكانِ كثيرهِ ، ولا يقنعُ من إرثِ الأنبياءِ بيسيرهِ ، ولا يؤخرُ تحصيلَ فائــدةٍ تمكّنَ منهــا ، أوَ يشــغلهُ الأملُ والتسويفُ عنها ، فانَّ للتأخيرِ آفاتٍ ، ولأنّهُ إذا حصَّلها في الزمنِ الحاضرِ حصَّلَ في الزمنِ الثاني غيرَها . ويغتنمُ وقتَ فراغهِ ونشاطهِ وزمنَ عافيتهِ وشرخِ شبابهِ ونباهةِ خاطرهِ وقلّةَ شواغلهِ ، قبــلَ عــوارضِ البطالــةِ ، أو موانعِ الرئاســةِ . قالَ عمر رَضيَ اللهُ عنهُ : (تفقّهوا قبلَ أنَ تُسوّدوا)[2] . وقالَ الشافعي : (تفقهْ قبلَ أنْ ترأسَ فاذا رأسْتَ فلا سبيلَ إلى الفقهِ)[3] . واليحذرْ من نظرهِ[4] نفسَهُ

---

(١) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٣٣ - ١٤٢ .

(٢) شرح المهذب ١/٦٤ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٤٢ .

(٣) شـرح المهـذب ١/٦٤ .

(٤) كذا في النسخ المخطوطة ، وفي تذكرة السامع والمتكلم : (نظرَ) .

بعينِ الكمالِ والاستغناءِ عن المشايخِ ، فإنَّ ذلكَ عينُ الجهلِ وقلّةُ المعرفةِ ، وما يفوتُه أكثرُ مما حصَّله ، وقد تقدَّم قولُ سعيد بن جبير [٩٠ظ] : (لا يزالُ الرجلُ عالماً ما تعلَّمَ ، فاذا تركَ العلمَ وظنَّ أنَّهُ قد استغنى ، فهو أجهلُ ما يكونُ)(١) . وإذا كملتْ أهليته وظهرتْ فضيلتهُ ومرَّ على أكثر كتبِ الفنِّ ، أو المشهورةِ منها بحثاً ومراجعةً ومطالعةً ، اشتغلَ بالتصنيفِ وبالنظرِ في مذاهبِ العلماء سالكاً طريقَ الانصافِ فيما يقعُ لهُ من الخلافِ كما تقدَّمَ في أدبِ العالمِ .

السَّادِسُ(٢) أَنْ يلزمَ حلقةَ شيخه في التدريسِ والاقراءِ ، بل وجميعِ مجالسه إذا أمكنَ فإنَّهُ لايزيدهُ إلاَّ خيراً وتحصيلاً وأدباً وتفضيلاً ، كما قالَ عليٌ رَضِيَ اللهُ عنهُ في حديثه المتقدِّمِ : (ولا تشبعْ من طولِ صحبته ، فإنَّما هو كالنخلة تنتظرُ متى يسقطُ عليكَ منها شيءٌ)(٣) . ويحضرُ موضعَ الدَّرسِ قبلَ حضورِ الشيخِ ، ولا يتأخرُ إلى بعد جلوسه وجلوسِ الجماعةِ فيكلفهم المعتادَ من اليقامِ وردِّ السَّلامِ ، وقد قالَ السَّلفُ : من الأدبِ معَ المدرِّسِ أَنْ ينتظرهُ الفقهاءُ ولا ينتظرهم . ويتحفَّظُ من النومِ والنعاسِ والحديثِ والضحكِ ، ولا يتكلَّمُ في مسألةٍ أخذَ

---

(١) شرح المهذب ١/٤٩ .

(٢) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٢ – ١٤٥ .

(٣) الجامع ١/١٣٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٧٦ .

يتكلَّمُ الشيخُ في غيرِها، ويجتهدُ على مواضبةِ خدمتهِ والمسارعةِ اليها ، فانَّ ذلكَ يكسبهُ شرفاً وتبجيلاً • ولا يقتصرُ في الحلقةِ على سماعِ درسهِ فقط إذا أمكنهُ ، فانَّ ذلكَ علامةُ قصورِ الهمةِ وعدمِ الفلاحِ وبطوءُ التنبُّهِ ، بل يعتني بسائرِ الدروسِ المشروحةِ ضبطاً وتعليقاً ونقلاً إنْ احتملَ ذهنهُ ذلكَ ، ويشاركُ أصحابَها حتَّى كأنَّ كلَّ درسٍ منها لهُ ، ولعمري انَّ الأمرَ لكذلكَ للحريصِ ، فانْ عجزَ عن ضبطِ جميعِها اعتنَى بالأهمِّ فالأهمِّ منها • وينبغي أنَ يتذاكرَ مواظبوا مجلس الشيخِ ما وقعِ فيه [٩١و] من الفوائدِ والضَّوابطِ والقواعدِ وغيرِ ذلكَ ، وأنَ يعيدُوا كَلامَ الشيخِ فيما بينهم فانَّ في المذكرةِ نفعاً عظيماً • وينبغي المذاكرةَ في ذلكَ عندَ القيامِ من مجلسه قبلَ تفرّقِ أذهانِهم وتشتتْ خواطرِهم وشذوذِ بعضِ ماسَمعوهُ عن أفهامِهم ، ثم يتذاكرونهُ في بعضِ الأوقاتِ •

وقالَ الخطيبِ وأفضلِ المذاكرةِ[1] مذاكرةُ اللّيلِ ، وكانَ جماعة" منَ السَّلفِ يبدأونَ في المذاكرةِ من العشاءِ فربَّما لم يقوموا حتَّى يسمعُوا أذانَ الصُّبحِ ، فانْ لم يجدِ الطالبُ من يذاكرهُ ذاكرَ نفسَه بنفسه ، وكرّرَ معنَى ما سَمعَهُ ولَفظَهُ على قلبه ليعلو ذلكَ علىَ خاطرِه ، قالَ : فانَّ تكرارَ المعنَى على القلبِ كتكرارِ اللَّفظِ على اللّسانِ سواءٌ بسواءٍ ،

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/١٠٣ •

وقلَّ أَن يفلحَ من اقتصرَ على الفكرِ والتعقلِ بحضرتهِ خاصةً ثم يتركهُ ويقومُ ولا يعاودهُ ٠

السابعُ[1] إِذا حضرَ مجلسَ الشيخِ سَلَّم على الحاضرينَ بصوتٍ يُسمِعُ جميعَهم وخصَّ الشيخ بزيادةِ تحيَّةٍ واكرامٍ ، وكذلكَ يسلِّمُ إِذا انصرفَ ٠ وعدَّ بعضهم حلقَ العلمِ في حالِ أخذِهم فيهِ من المواضع التي لا يسلِّمُ فيها ، وهذا خلافُ ما عليهِ العَملُ ، لكن يتَّجهُ ذلكَ في شخصٍ واحدٍ مشتغلٍ بحفظِ درسه وتكرارهِ ، وإذا سَلَّمَ لا يتخطَّى رقابَ الحاضرينَ إلى قربِ الشيخِ مَنْ لم تكنْ منزلتهُ كذلكَ ، بل يجلسُ حيثُ انتهى بهِ المجلسُ كما وردَ في الحديث ، فانْ صرَّحَ لهُ الشيخُ والحاضرونَ بالتقدُّمِ ، أو كانتْ منزلتهُ ، أو كانَ يعلمُ إيثارَ الشيخِ والجماعةِ لذلك فلا بأسَ ، ولا يقيمُ أَحداً من مجلسه ، أَوْ يزاحمَهُ قصداً ، فانْ آثرهُ الغيرُ بمجلسه لم يقبلْهُ إلاَّ أَن يكونَ في ذلكَ مصلحةٌ يعرفها القومُ وينتفعونَ بها من بحثه مع الشيخِ لقربه منهُ ، أَو لكونهِ كبيرَ السنِّ ، أَو كثيرَ الفضيلةِ [٩١ظ] والصَّلاحِ ٠

ولا ينبغي لأَحدٍ أَن يؤثرَ بقربهِ من الشيخِ إلاَّ لمن هو أَولى بذلك لسنٍ ، أَو علمٍ ، أو صلاحٍ أَو نسب

---

(١) النوع السابع أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٦ ــ ١٥١ ، وأضاف اليه زيادة في الاخير ٠

أَهل البيتِ النبوي بل يحرصُ على القربِ من الشيخِ إذا لم يرتفعْ في المجلسِ من هو أَفضلُ منهُ ٠

وإذا كانَ الشيخُ في صدرِ مكانٍ ، فأفضلُ الجماعةِ أَحقُ بما على يمينهِ ويسارهِ ، وإن كان على طرفِ صفة أَو نحوها فالمبتَّجلُون مع الحائطِ ، أَو مع طرفها قبالتهُ ٠ وينبغي للرفقاءِ في درسٍ واحدٍ ، أَو دروسٍ أَن يجتمعُوا في جهةٍ واحدةٍ ليكونَ نظرُ الشيخِ اليهم جميعاً عندَ الشرحِ ، ولا يخصُ بعضَهم في ذلكَ دون بعضٍ ، وقد جرتِ العادةُ في مجالسِ التدريسِ بجلوسِ المتميِّزين قبالةَ وجهِ المدرِّسِ ، والمبجَّلينِ من معيدٍ ، أو زائرٍ عن يمينهِ ويسارهِ ، وإذا توقَّعَ من يجلسُ على يمينهِ مثلاً مجيء أَولَى منهُ بذلكَ ، فينبغي أَنْ يخلِّي بينهُ وبينَ الشيخِ ما يسعُ الجائي ٠

حدَّثَ ابن عيينة عن مَنْ أَخبرَهُ : إنَّ كعباً كانَ عندَ عمر بن الخطَّاب رَضيَ اللهُ عنهُ متباعدٌ في مجلسه ، فأَنكرَ عمرُ ذلكَ عليه ، فقالَ كعبٌ : يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ في حكمة لقمانَ ووصيَّته لأبنه يا بُنيَّ إذا جلستَ إلى سلطانٍ فليكن بينكَ وبينَهُ مقعدَ رجلٍ ، فلعلَّهُ ياتيه من هو أَثرُ عندَهُ منكَ فيتنحَّى عنهُ فيكونُ ذلكَ نقصاً عليكَ ٠

وقالَ عبدُالله بن المعتز : لا تسرعْ إلى أَرفعِ موضعٍ في المجلسِ ، فالموضعُ الذي ترفَعُ اليهِ خيرٌ من الموضعِ الذي تُمَطُ عنهُ ٠ وقالَ عبدُالعزيز بن أَبي

روّاد : كانَ يُقَالُ من رأس التواضعِ الرضاءُ بالدونِ من شرفِ المجلسِ ، أَخرج ذلكَ كلّهُ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ [1] ٠

الثامنُ [2] أَنْ يتأدبَ معَ حاضري مجلسِ الشيخِ فإنّهُ أَدبٌ معهُ وإحترامٌ [٩٢و] لمجلسهِ وهم رفقاؤه ، فيوقّرُ أَصحابَهُ ويحترمُ كبراءهُ وأَقرانَهُ ، ولا يجلسُ وسطَ الحلقةِ ولا قدامَ أَحدٍ إلاّ لضرورةٍ كما في مجالسِ التحديثِ ، ولا يفرّقُ بينَ رفيقينِ ، ولا بينَ متصاحبينِ إلاّ برضاهما معاً ٠ فقد جاءَ النهيُ عن الجلوسِ بينَ رجلينِ إلاّ باذنهما ، فإنْ أوسعوا لهُ جلسَ وجمعَ نفسَهُ ٠ قالَ ابو محمد اليزيدي [3] : (أَتيتُ الخليلَ بن أَحمد في حاجةٍ ، فقالَ لي : ههنا يا أبا محمدٍ ، فقلتُ : أَضيّقُ عليكَ ، فقالَ لي : إنّ الدُنيا بحذافيرِها تضيقُ عن متباغضينِ ، وإنّ شبراً في شبرٍ لا يضيقُ عن متحابيّنِ ، وأَنشدَ محمدُ بن عقيل الأزدي [1] :

---

(١) الجامع (١/١١١) ٠

(٢) النوع الثامن اخذ اكثرهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٢ ـ ١٥٦ ٠

(٣) هو ابو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي النحوي المقري اللغوي ، اخذ عن الخليل اللغة والعروض ، توفي سنة (٢٠٢هـ) ، ترجمته في اخبار النحويين البصريين ص٤٠ ، بغية الوعاة للسيوطي ٢/٣٤٠ ٠

(٤) لقد ذكر الخطيب البغدادي كلام الخليل والبيتين في الجامع ١/١١٣٠

لَمْ يضيقْ مجلسٌ بأهلِ ودادِ
قطُّ لكنَّهُ فسيحٌ رحيبُ

بَسَطَ الفضلُ بينهم من بساطِ
الودِّ ما أجْمَعَتْ عليه القلوبُ)

ولا يجلسُ فوقَ من هو أولى منهُ ، وينبغي للحاضرينَ إذا جاءَ القادمُ أنْ يرحِّبوا بهِ ، ويوسِّعوا لهُ ، ويتفسَّحُوا لاجلهِ ، ويكرموهُ بما يلزمُ بهِ مثلَهُ ، وإذا فُسِحَ لَهُ في المجلسِ وكانَ حرجاً ضمَّ نفسَهُ ، ولا يتوسَّعُ ولا يعطي أحداً منهم جنبَهُ ولا ظهرَهُ ، ويتحفَّظُ من ذلكَ ، ويتعهَّدَهُ عندَ بحثِ الشيخِ لهُ ، ولا يجنحُ على جارهِ أو يجعلُ مرفقَهُ قائماً في جنبهِ ، أو يخرجُ عن بنيةِ الحلقةِ بتقدمٍ أو تأخرٍ ، ولا يتكلَّمُ في اثناءِ درسِ غيرهِ ، أو درسهِ بما لا يتعلَّقُ بهِ ، أو بما يقطعُ عليهِ بحثَهُ ، وإذا شرعَ بعضُهم في درسٍ فلا يتكلَّمُ بكلامٍ يتعلَّقُ بدرسٍ فرعٍ ، ولا بغيرهِ مما لا تفوتُ فائدتَهُ إلاَّ باذنٍ من الشيخِ ، أو صاحبِ الدَّرسِ . ولا يتكلَّمُ بشيءٍ حتَّى ينظرَ فيهِ فائدةً وموضعاً ، ويحذرُ المماراة في البحثِ والمغالبةِ فيهِ ، فانْ ثارتْ نفسُهُ ألجمها بلجامِ الصَّمتِ والصَّبرِ ، والاقتداء بحديث : (من تركَ المَراءَ وهو محقٌ بنى اللهُ لهُ بيتاً في أعلى

الجنَّة)[1] [٩٢ظ] ، فإنَّ ذلكَ أقطعُ لانتشارِ الغضبِ وأبعدُ عن منافرةِ القلوبِ ، وأنْ أساءَ بعضُ الطلبةِ أدباً على غيرِه لم ينهرْهُ غيرُ الشيخِ إلاَّ بإشارته ، أو سرّاً بينهما على سبيلِ النصيحةِ ، وإنْ أساءَ أحدٌ أدبَهُ على الشيخِ تعيَّنَ على الجماعةِ انتهارُهُ وردُّهُ ، والانتصارُ للشيخِ بقدرِ الامكانِ وفاءً لحقهِ ، ولا يشاركُ أحدٌ من أمرِ الجماعةِ أحداً في حديثِهِ ، ولاسيما الشيخُ ٠

قالَ بعضُ الحكماء : من الأدبِ ألاَّ يُشاركَ الرجلُ في حديثهِ ، وإن كانَ أعلمُ بهِ منه ٠ وأنشدَ الخطيبُ في هذا المكان[2] :

ولا تشارِكْ في الحديثِ أهلَهُ
وأنْ عرِفْتَ فرعَهُ وأصلَهُ

فإن عُلِمَ ايثارُ الشيخِ ذلكَ ، أو المتكلِّمِ فلا بأسَ ، وقد تقدَّمَ ذلكَ مفصَّلاً في الفصلِ قبلَهُ ٠

---

(١) روي الترمذي الحديث عن انس بن مالك ، ولفظهُ : (من ترك الكذب وهو باطل بُني له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها) صحيح الترمذي ١٥٩/٨ ٠

(٢) أنشد الخطيب البغدادي هذا البيت دون أن يعزوه في كتاب الجامع ١٣٥/١ ٠

التاسعُ(1) ألاَّ يستحيَ من سوال ما أشكلَ عليهِ وتفهُّمِ ما لم(2) يتعقّلهُ بتلطّفٍ وحسنِ خطابٍ وأدبٍ وسوالٍ ، وقالَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : (من رقَّ وجههُ رقَّ علمُهُ)(3) ، وقالَ مجاهدُ : (لا يتعلّمُ العلمَ مستحي ، ولا مستكبر ")(4) • وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (رحمَ اللهُ نساءَ الأنصارِ لم يكُنِ الحياءُ يمنعُهُنَّ أنْ يتفقهنَ في الدِّين)(5) • وقالتْ أمُ سليم لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيي من الحقّ ، هَلْ على المرأةِ من غسلٍ إذا احتلمتْ ؟)(6) • ولبعضِ العربِ(7) :

وليسَ العمى طُولَ السُؤال وإنَّما
تمامُ العمَى طولُ السكوتِ على الجهلِ

---

(1) النوع التاسع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٦ ـ ١٥٨ ، مع اضافة بعض الفقرات في القسم الاول منه خاصة •

(2) كذا في (م) ، و(ب) ، وفي الاصل : (يتعلقه) ، وهو وهم من الناسخ•

(3) سنن الدارمي ١/١١٢ •

(4) سنن الدارمي ١/١١٢ ، وفيه (لا يتعلم من استحى واستكبر) •

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني ٢/١٥٨ وفيه : (نعم نساء الانصار لم يمنعهنَّ الحياء أن يتفقهن في الدين) •

(6) شرح صحيح البخاري للكرماني ٢/١٥٨ •

(7) البيت ذكره الراغب الاصبهاني ، وروايته في محاضرات الادباء١/٤٩

شفاء العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

وقد قيلَ من رقَّ وجههُ عندَ السؤالِ ظهرَ نقصهُ عندَ اجتماعِ الرجالِ ، ولا يسألُ عن شيءٍ في غيرِ موضعه إلاَّ لحاجة ، أو علمٍ بايثارِ الشيخِ ذلكَ ، وإذا [٩٣و] سكتَ الشيخُ عن الجوابَ لم يلحَّ عليهِ ، وإن أخطأَ في الجوابَ فلا يُردّ في الحالِ عليهِ ، وقد تقدَّمَ . وكما لا ينبغي للطالبِ أنْ يستحيي من السؤالِ ، فكذلكَ لا يستحيي من قوله : لم أفهمْ إذا سألهُ الشيخُ ؛ لأنَّ ذلكَ يفوّتُ عليه مصلحتَهُ العاجلةَ والآجلةَ ، أمَّا العاجلةُ فحفظُ المسألةِ ومعرفتُها واعتقادُ الشيخِ في الصدقِ والورعِ والرغبةِ ، والآجلةَ سلامتهُ من الكذبِ والنفاقِ واعتيادهِ التحقيقَ .

قالَ الخليلُ : (منزلةُ الجهلِ بينَ الحياءِ والأنفَةِ)(١) ، وقد تقدَّمَ في أدبِ العالمِ أنَّهُ لا يسألُ المستحيي هل فهمتَ ؟ بل يتوصَّلُ الى العلمِ بفهمهِ بطرحِ المسائلِ ، فانْ سألهُ فلا يقل نعم حتَّى يتَّضحَ لهُ المعنَى إتضاحاً جليـاً كيلا يفوتهُ الفهمُ ، ويدركهُ بكذبهِ الأثمُ .

العاشرُ(٢) : مراعاةُ نوبتهِ فلا يتقدَّمُ عليها بغيرِ رضاً من هيَ لهُ ، رويَ أنَّ انصارياً جاءَ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يسألهُ ، وجاءَ رجلٌ من ثقيف ،

---

(١) شرح المهذب ٦٢/١ .

(٢) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٨ - ١٦٠ مع اضافة فقرات قليلة .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : (يا أَخا ثقيف إنَّ الانصاري قد سبقَك بالمسألةِ فاجلسْ كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبلَ حاجتِكَ)[1] .

قالَ الخطيبُ : يُستَحبُّ للسابق أَنْ يقدِّمَ علَى نفسهِ من كانَ غريباً ؛ لتأكدِ حرمته ووجوبِ ذمَّتهِ ، رويَ في ذلكَ حديثانِ عن ابن عباس ، وابن عمر . وكذلكَ إذا كانَ للمتأخرِ حاجةٌ ضروريَّةٌ وعلمها المتقدِّمُ ، أَو أَشارَ الشيخُ بتقدُّمهِ فيُستَحبُّ ايثارهُ ، فان لم يكُنْ شيءٌ من ذلكَ ونحوه ، فقد كَرِهَ قومٌ الايثارَ بالنوبةِ ؛ لأَنَّ قراءةَ العلمِ والمسارعةَ اليهِ قربةٌ والأيثارُ بالقربةِ مكروهٌ .

وتحصيلُ تقدُّمِ النوبةِ بتقدُّمِ الحضورِ في مجلسِ الشيخِ أو إلى مكانهِ ، ولا يسقطُ حقُّهُ بذهابهِ إلى ما يضطرُّ اليهِ من قضاءِ [٩٣ظ] حاجةٍ وتجديد وضوءٍ إذا عادَ بعدَهُ ، وإذا تساوقَ إثنان أو تنازعا أُقرِعَ بينهما ، أَو يقدِّمُ الشيخُ أحدهما إن كانَ متبرِّعاً ، وإن كانَ عليهِ اقراؤُهما فالقرعةُ ومعيدُ المدرسةِ إذا شُرِطَ عليهِ اقراءُ اهلِها فيها في وقتٍ فلا يُقدِّمُ عليهم الغرباءَ فيهِ بغيرِ اذنِهم .

الحادي عشر[2] أنْ يكونَ جلوسُهُ بينَ يدي الشيخِ على ما تقدَّمَ تفصيلهُ في آدابهِ مَع شيخهِ ، ويحضرَ

(١) الجامع ١/١٣٣ ، الفقيه والمتفقه ٢/١٢٢ .
(٢) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٠ ـ ١٦٢ .

كتابَه الذي يقرأ منه معه ، ويحمله بنفسه ، ولا يضعه حال القراءة على الأرض مفتوحاً بل يحمله بيديه ويقرأ منه ، ولا يقرأ حتى يستأذن الشيخ ، ذكره الخطيب عن جماعة من السلف[1] ، وقال : يجب ألا يقرأ حتى يأذن له الشيخ ، ولا يقرأ عند شغل قلب الشيخ ، أو ملله ، أو غمه ، أو غضبه ، أو جوعه ، أو عطشه ، أو نعاسه ، أو إستيفازه[2] ، أو تعبه ، وإذا رأى الشيخ قد آثر الوقوف اقتصر ولا يحوجه إلى قوله اقتصر ، وإن لم يظهر له ذلك فأمره بالاقتصار اقتصر حيث أمره ، ولا يستزيده ، وإذا عين له قدراً فلا يتعداه ، ولا يقول طالب اختصر إلا باشارة الشيخ أو ظهور ايثاره ذلك .

الثاني عشر[3] إذا حضرت نوبته إستأذن الشيخ كما ذكرناه فان أذن له استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يسمي الله تعالى بحمده ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه ولنفسه ولسائر المسلمين ، وكذلك يفعل كلما شرع في قراءة درس ، أو تكراره ، أو مطالعته ، أو مقابلته في حضور الشيخ ، أو في غيبته إلا أنه يخص الشيخ بذكره في الدعاء عند قراءته عليه .

---

(١) ينظر كلام الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/٩٦ ، الجامع ١/١١٨ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) استيفازه : ازعاجه .

(٣) النوع الثاني عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٢ .

ويترحَّم على مصنِّف الكتابِ عندَ قــراءته ، وإذا دعا [٩٤و] الطالبُ للشيخِ ، قالَ : ورَضيَ اللهُ عنكم ، أَو عن شيخنا وامامنا ونحو ذلكَ ، ويقصدُ به الشيخَ ، وإِذا فــرغَ من الدّرسِ دعــا للشيخِ أَيضاً ، ويدعــو الشيخُ أَيضاً للطالبِ كلَّما دعا له ، فإنْ تركَ الطالبُ الاستفتاحَ بما ذكرناهُ جهلاً ، أو نســياناً نبَّهه عليه وعلَّمه إِيَّاه وذكَّره به ، فإنَّه من أَهمِ الآدابِ ، وقــد وردَ الحديثُ في بــدءِ الأمُورِ المهمَّةِ بالحمدِ ، وهذا منها .

الثالِث عشــرَ[1] أَنْ يرغِّبَ بقيَّــةَ الطــلبةِ في التحصيلِ ، ويدلهم على مكانهِ ، ويصرفَ عنهم الهمومَ المشغلةَ عنهُ ، ويهوّنَ عليهم مؤنتَهُ ، ويذاكرهم بمــا حصَّلهُ من الفوائدِ والقواعدِ والغرائبِ ، وينصَحهُم في الدّين ، فبذلكَ يستنيرُ قلبُهُ ويزكو علمُهُ ، ومن بخلَ عليهم لم يثبتْ علمهُ ، وإنْ ثبتَ لــم يثمرْ ، وقد جرَّب ذلــكَ جماعةٌ من السَّلف ، ولا يفخرُ عليهم أَو يعجبُ بجودةِ ذهنهِ بل يحمدُ اللهَ على ذلك ويستزيدهُ بدوامِ شكرهِ .

---

(١) النــوع الثالث عشــر اخــذه المصنف مــن تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٢ ــ ١٦٣ .

الفصلُ السابعُ[1]

في لأَدبِ معَ الكتبِ التي هي آلةُ العلمِ وما يتعلّقُ بتصحيحِها وضبطِها وحملِها ووضعِها وشرائِها وإعارتِها ونسخِها وغيرِ ذلكَ

ومنه أَحد عشرَ نوعاً :

الأوّلُ[2] ينبغي لطالبِ العلمِ أَنْ يعتني بتحصيلِ الكتبِ المحتاجِ اليها ما أَمكنَهُ شراءً ، وإلاّ فاجارةً ، أَو عاريةً ؛ لأَنَّها آلةُ التحصيلِ ، ولا يجعلُ تحصيلَها وكثرتَها حظَّهُ من العلمِ ، وجمعَها نصيبَهُ من الفهمِ كما يفعلهُ كثيرٌ من المنتحلينَ الفقهَ والحديثَ ، وقد أَحسنَ القائلُ[3] :

إذا لَمْ تكُنْ حافِظاً واعِياً فجمعُكَ للكُتْبِ لا ينفعُ

[٩٤ظ] وإذا أَمكنَ تحصيلها شراءً لم يشتغلْ بنسخِها ، ولا ينبغي أَن يشتغلَ بدوامِ النسخِ إلاّ فيما يتعذّرُ عليهِ تحصيلهُ لعدمِ ثمنه ، أَو اجرةِ استنساخهِ ، ولا يهتمُ المشتغلُ بالمبالغةِ في تحسينِ

---

(١) الفصل السابع : هو الباب الرابع في تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٣.

(٢) النوع الاول أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٤ـ١٦٧.

(٣) البيت لمحمد بن بشير كما ذكر صاحب كتاب محاضرات الادباء ٤٩/١.

الخطّ ، وإنّما يهتمُ بصحيحه وتصحيحه ، ولا يستعيرَ كتاباً معَ إمكانِ شرائهِ ، أو اجارتهِ .

الثاني[1] يُستحبُ إعارةُ الكتبِ لمن لا ضررَ عليه فيها ممَّنْ لا ضررَ منهُ بهـا ، وكَرِهَ عاريتَها قومٌ ، والأوّلُ أولى[2] لمـا فيهِ من الاعانةِ على العلمِ مع ما في مطلقِ العاريَّةِ من الفضلِ والأجرِ .

قالَ رجلٌ لأبي العتاهية : أعرني كتابَكَ ، فقالَ : إنّي أكرهُ ذلكَ ، فقالَ : أمَا علمتَ أنَّ المكارمَ موصولةٌ بالمكارهِ ؟ فأعارهُ ، وكتبَ الشافعي إلى محمد بن الحسنِ رحمهما اللهُ[3] :

يـاذا الّذي لَمْ ترَ عَيْنٌ مَنْ رآهُ مثلَهُ
العلمُ يأبى أهْلُهُ أنْ يمنعوهُ أهْلَهُ

وينبغي للمستعيرِ أنْ يشكرَ للمعيرِ ذلكَ ويجزيهِ خيراً ، ولا يطيلُ مقامَهُ عندَهُ من غيرِ حاجةٍ ، ولا يحبسهُ إذا طلبهُ المالكُ ، أو استغنَى عنهُ ، ولا يجوزُ أنْ يصلحهُ بغيرِ أذنِ صاحبهِ ، ولا يحشيهِ[4] ، ولا

---

(١) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٧ـ ١٦٩ .

(٢) في (ب) : والاولى الاول ، وما ذكرناه اولى .

(٣) البيت في مناقب الشافعي ٢/٨٦ ، وروايته فيه :
قل لمن لم ترَ عينٌ من رآهُ مثله ... ومن كان من رآهُ قد رأى من قبله
العلمُ ينهى أهله ان يمنعوهُ أهله ... لعلّهُ يبذلُه لاهلهِ لعلّهُ

(٤) ولا يحشيه : اي لا يجعل له حاشية .

يكتبُ شيئاً في بياضِ فواتحه أَو خواتمه إلاَّ إذا علمَ رضا صاحبه ، وهو كما يكتبهُ المحدِّثُ على جزءٍ سمعهُ ، أَو كتبهُ ، ولا يسوِّدهُ ، ولا يعيرهُ ، ولا يودعهُ لغيرِ ضرورةِ حيثُ يجوزُ[1] شرعاً ، ولا ينسخُ منهُ بغيرِ اُذنِ صاحبهِ .

فإنْ كانَ الكتابُ وقفاً على من ينتفعُ به غيرِ معيَّنٍ ، فلا بأسَ بالنسخِ منهُ معَ الاحتياطِ ، ولا[2] باصلاحه ممَّنَ هو أهلٌ لذلكَ ، وحسُنَ أَنَ تستأذنَ الناظرَ فيهِ ، وإذا نسخَ منهُ باذنِ صاحبهِ ، أو ناظرهِ ، فلا يكتبُ منهُ والقرطاسُ في [٩٥و] بطنهِ ، أو على كتابتهِ ، ولا يضعُ المحبرةَ عليهِ ، ولا يمرُّ بالقلمِ الممدودِ فوقَ كتابتهِ ، وأنشدَ بعضُهم[3] :

أَيُّهَا المستعيرُ منِّي كتاباً

ارضَ لي فيهِ مالنفسِكَ ترضَى

وأُنشدَ في إعارةِ الكتبِ ومنعِها قطعٌ كثيرةٌ[4] لا نطوِّلُ بها .

الثالثُ[5] : إذا نسخَ منَ الكتابِ ، أو طالعهُ فلا

---

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : (لا يجوز) ، وهو وهم .

(٢) كذا في الاصل ، و (م) ، وفي (ب) : (ولا باس) .

(٣) البيت ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١/١٧٦ .

(٤) ينظر كتاب الجامع ١/١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٥) النوع الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٠ ـ ١٧٢ .

يضعهُ على الأَرضِ مفروشاً منشوراً بل يجعلهُ بين كتابينِ أو شيئينِ ، أو كرسيِّ الكتبِ المعروفِ ، كيلا يسرعَ بقطعِ حبكهِ (١) ، وإذا وضعها في مكانٍ مصفوفةٍ فليكن على كرسيٍّ ، أَو تحتَ خُشُبٍ أَو نحوهِ ، والأَولى أَنْ يكونَ بينَهُ وبينَ الأَرضِ خلوٌ ، ولا يضعها على الأرضِ كيلا تنتدي أَو تبلَى • وإذا وضعها على خُشُبٍ ، أو نحوهِ ، جعلَ فوقَهُ وتحتَها ما يمنعُ تآكلَ جلودِها بهِ ، وكذلكَ يجعلُ بينها وبينَ ما يصادِفها أو يسندها من حائطٍ ، أو غيرهِ ، ويرعي الأدبَ في وضعِ الكتبِ باعتبارِ علومها وشرفها ومصنِّفيها وجلالتهم ، فيضعُ الأَشرافَ على الكلِّ (٢) ، ثم يراعي التدريجَ ، فإنْ فيها المصحفُ الكريمُ جعلهُ الكلِّ (٣) ، والأَوْلى أنْ يكونَ في خريطةٍ ذاتِ عروةٍ في مسمارٍ ، أَو وتدٍ في حائطٍ طاهرٍ نظيفٍ في صدرِ المجلسِ ، ثم كتبُ الحديثِ الصرفِ ، كصحيح مسلم ، ثم تفسيرُ الحديثِ ثم اصُولُ الدِّينِ ، ثم اصُولُ الفقهِ ، ثم النحوُ والتصريفُ ثم أَشعارُ العربِ ، ثم العروضُ • فإنْ استوى كتابانِ في فنٍّ ، أَعلى أَكثرهما قرآناً ، أَو حديثاً ، فإن استويا فبجلالةِ المصنفِ فإن استويا فاقدمُهما كتابةً ، واكثرهُما وقوعاً في أَيدي العلماءِ [٩٥ظ] والصالحينَ ، فإنْ إستويا فأصحُّهما •

---

(١) حبك الكتاب : شد اوراقه •

(٣،٢) لو قال المصنف : (على كلها أو جميعها) لكان أفضل من حيث اللغة•

وينبغي أَن يكتبَ اسمَ الكتابِ عليهِ في جانبِ آخر الصفحاتِ من أَسفلٍ ، ويجعله رؤوسَ حروفِ هذه الترجمةِ إلى الغاشيةِ التي من جانب البسملةِ ، وفائدةُ هذهِ الترجمةِ معرفةُ الكتابِ وتيسيرُ اخراجهِ من بينِ الكتبِ ، وإذا وضعَ الكتابَ على أَرضٍ ، أو تحتٍ فلتكن الغاشيةُ التي من جهةِ البسملةِ ، وأولُ الكتابِ إلى فوقٍ ، ولا يكثرُ وضعَ الردة[1] في أَثنائهِ كيلا يسرعَ بكسرِها ، ولا يضعُ ذواتِ القطعِ الكبيرِ فوقَ ذواتِ الصغيرِ كيلا يكثرَ تساقطهما .

ولا يجعلُ الكتابَ[2] خزانةً للكراريسِ أَو غيرها ولا مخدة ولا مروحةً ، ولا مكبساً ولا مسنداً ولا متكأً ولا مقتلةَ البقِّ وغيرهِ لاسيما في الورقِ فهو على الورقِ أَشدُّ . ولا يطوي حاشيةَ الورقةِ ، أو زاويتها ، ولا يعلِّمُ بعودٍ أَو شيءٍ جافٍ ، بل بورقةٍ ، أَو نحوِها ، وإذا ظفرَ فلا يكبسُ ظفرَهُ قويّاً .

الرابع[3] إذا استعارَ كتاباً فينبغي لَهُ أنْ ينفقدَهُ عندَ ارادةِ أَخذهِ وردِّه ، وإذا اشترَى كتاباً تعهَّدَ أَوَّلَهُ وآخرَهُ ووسطَهُ وترتيبَ أَبوابهِ وكراريسهِ ، وتصفَّحَ أَوراقَهُ واعتبرَ صحَّتَهُ ،وممَّا يغلبُ على الظنِّ صحَّتُهُ ، وإذا ضاقَ الزمانُ عن تفتيشهِ ما قالهُ

---

(1) الردة : هي القطعة الزائدة من الجلد فوق الجانب الايسر .

(2) في (ب) (الكتب) ، وما ذكرناه اصح .

(3) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٢ — ١٧٣ .

الشَّافعي رحمهُ اللهُ ، قالَ : إذا رأيتَ الكتابَ فيه إلحاقٌ وإصلاحٌ، فاشهدْ لهُ بالصحَّة ، وقالَ بعضُهم: لا يضيءُ الكتابُ حتَّى يظلمَ ، يريدُ اصلاحَهُ ٠

الخامسُ[1] إذا نسخَ شيئاً من كتبِ العلومِ الشرعيةِ فينبغي أن يكونَ على طهارةٍ مستقبلِ القبلةَ طاهرِ البدنِ والثيابِ ، بحبرٍ طاهرٍ [٩٦و] ، ويبتدي كلَّ كتابٍ بكتابةِ (بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم) ، فان كانَ الكتابُ مبدوءاً فيهِ بخطبةٍ تتضمَّنُ حمدَ اللهِ تعالى والصَّلاة على رسولهِ ، كتبَها بعدَ البسملةِ ، وإلاَّ كتبَ هو ذلكَ بعدهاَ ٠ ثم كتبَ باقي الكتابِ ، وكذلكَ يفعلُ في ختمِ الكتابِ ، وآخر كلِّ جزءٍ منهُ ، بعدما يكتبُ آخرَ الجزء الأوَّلِ والثاني مثلاً ، ويتلوهُ كذا وكذا إنْ لم يكنْ كمَّلَ الكتابَ ، ويكتبُ إذا كملَ: تمَّ الكتابُ الفُلاني ، ففي ذلكَ فوائدُ كثيرةٌ ٠

وكلَّما كتبَ اسمَ اللهِ أتبعَهُ بالتعظيمِ ، مثل تعالى وسبحانهِ ، أو عزَّ وجلَّ ، وتقدَّسَ ، ونحو ذلكَ، وكلَّماكتبَ اسمَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ، كتبَ بعدَهُ الصلاةَ عليهِ والسَّلامَ ، ويصلِّي هو عليهِ بلسانهِ أيضاً ، وجرتْ عادةُ السَّلفِ والخلفِ بكتابةِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ لموافقةَ الأمرِ في قولهِ تعالى : (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما)[2] ٠

---

(١) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٣ ـ ١٧٧ ٠

(٢) سورة الاحزاب : الآية : ٥٦ ٠

ولا يختصرُ الصلاةَ في الكتـابةِ ولو وقعتْ في السَّطرِ مراراً ، كما يفعلُ بعضُ المحرومينَ فيكتبُ (صلعم) ، أَو (صلم) أَو (صللم) ، وكلٌّ ذلكَ غيرُ لائقٍ بحقه صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسلَّمَ ، وقـد وردَ في كتابةِ الصَّـلاةِ بكمالِهـا وتركِ إختصارِها آثـارٌ كثيرةٌ .
وإذا مـرَّ بذكرِ الصَّحابي ، كتبَ رَضـيَ اللهُ عنهُ ، ولا يكتبِ الصـلاةَ والسَّلامَ لأحـدٍ غـيرَ الأنبيـاءِ والملائكةِ إلاَّ تبعاً لهم ، وكلَّما مـرَّ بذكرِ أَحـدٍ من السَّلفِ فعلَ ذلكَ ، او كتبَ رحمهُ اللهُ ، ولاسـيما الأئمةُ الاَعـلامُ .

السادس[1] ينبغي أَنْ يتجنَّبَ الكتابةَ الدقيقةَ في النسخِ ، قالَ بعضُ السَّلفِ : اكتبْ ما ينفعُكَ وقتَ حاجتِكَ ، ولا تكتبْ ما لا تنتفعُ بهِ وقتَ الحاجةِ [٩٦ظ] والمرادُ وقتَ الكبرِ وضعفِ البصرِ ، وقد يقصدُ بعضُ السَّفارةِ بالكتابةِ الدقيقةِ خفةَ المحملِ ، وهذا وإنْ كانَ قصداً صحيحاً إلاَّ أنَّ المصلحةَ الفائتةَ بهِ في آخرِ الأمرِ أَعظمُ ، والكتابةُ بالحبرِ ، أَو مـن المـدادِ[2] ، لأَنَّهُ أَثبتُ .

السَّـابِعُ[3] إذا صحَّحَ الكتـابَ بالمقـابلةِ علَى

---

(١) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٧ ـ ١٨٠ .

(٢) سمي الحبر مداداً ، لأن القلم يستمد منه اثناء الكتابة .

(٣) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٨٠ ـ ١٨٥ وقد حذف منه بعض الفقرات .

أصله الصحيح ، أو على شيخ ، فينبغي له أن يُشكل المشكل ويُعجم المستعجم ويضبط الملتبس ، ويتفقد ، مواضع التصحيف .

وقد جرت العادة في الكتابة بضبط الحروف المعجمة بالنقط ، وأما المهملة فمنهم من يجعل للأهمال علامة . وينبغي أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب ، وهو محل شك عند مطالعته ، أو تطرق احتمال (صح) صغيرة ، ويكتب في الحاشية صوابه كذا إن تحققه ، وإلا فيعلم عليه (ص)(١) وهو صورة رأس صاد يُكتب فوق الكتابة غير متصلة بها ، فاذا تحققه بعد ذلك وكان المكتوب صواباً زاد تلك الصاد حاءً فيصير (صح) ، وإلا كتب الصواب في الحاشية كما تقدم ، وإذا وقع في النسخة زيادة ، فان كانت كلمة واحدة ، فله أن يكتب عليها (لا) وأن يضرب عليها إن كانت أكثر من ذلك ، فان شاء كتب فوق أولها (من) ، أو كتب (لا) ، وعلى آخرها (إلى) ، ومعناه : من هُنا ساقط إلى هُنا ، وإن شاء ضرب على الجميع بأن يخط عليه خطاً رقيقاً يحصل به المقصود ، ولا يُسود الورق ، ومنهم من يجعل مكان الخط نقطاً متتالية ، وإذا تكررت الكلمة سهواً من الكاتب ضرب على الثانية لوقوع الأولى صواباً في موضعها [٩٧و] إلا إذا كانت الأولى آخر سطر ، فان الضرب عليها أولى صيانة

---

(١) (ص) ساقطة من (ب) .

لأوَّلِ السَّطرِ ، إلاَّ إذا كانتْ مُضافاً إليهـا فالضربُ على الثانيةِ أولَى لاتصالِ الأُولى بالمضافِ .

الثامنُ[1] إذا أرادَ تخريجَ شـيءٍ في الحاشيةِ ، ويُسمَّى اللَّحَقُ بفتحِ الحاءِ علَّمَ لهُ في موضعهِ بخط منعطف قليلاً إلى جهةِ التخريجِ ، وجهةِ اليمينِ أَولَى إنْ أَمكنَ ، ثم يكتبُ التخريجَ من محاذاةِ العلامة[2] صاعداً الى أعلى الورقةِ لا نازلاً الى أسفلِها ، لاحتمالِ تخريجٍ آخر بعدهُ ، ويجعلُ رؤوسَ الحروفِ إلى جهةِ اليمينِ سواءً كانَ في جهةِ يمينِ الكتابةِ ، أَو يسارِها .

وينبغي أنْ يحسبَ السَّاقطَ ومـا يجيء منـهُ من الأسطرِ قبلَ أَن يكتبهَا ، فانْ كانَ سطرينِ ، أَو اكثرَ جعلَ آخرَ سطرٍ منهـا يلي الكتابةَ إنْ كانَ التخريجُ عن يمينها ، وإن كانَ التخريجُ عن يسارها جعلَ أَوَّلَ الأَسطرِ ممَّا يليهـا . و لايوصل الكتابةَ والأَسطرَ بحاشيةَ الورقـةِ بل يدعْ مقداراً يحتملُ الحك عندَ حاجته مرَّاتٍ ، ثَم يكتبُ في آخرِ التخريجِ (صح) ، وبعضهُم يكتبُ بعدَ (صح) الكلمةَ التي تلي آخر التخريجفي متنِ الكتابِ علامةً علىاتِّصالِ الكلامِ .

---

(١) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) يجدر بالمحققين الافاضل ان يدرسوا هذه الملاحظات كي تساعدهم في تحقيق كتب التراث ، لأن اصحاب الكتابة اعرف بما يكتبون .

التاسعُ(١) لا بأسَ بكتابةِ الحواشي والفوائدِ والتنبيهاتِ المهمةِ على حواشي كتابٍ يملكه، ولاَ يكتبُ في آخرِه (صح) فرقاً بينه وبينَ التخريجِ، وبعضهم يكتبُ عليه حاشيةً، أَو فائدةً، وبعضهم يكتبُ في آخرِها، ولا ينبغي أَن يكتبَ إلاَّ الفوائدَ المهمَّةَ المتعلقةَ بذلكَ الكتابِ، مثل تنبيهٍ على إشكالٍ، أَو إحترازٍ، أَو رمزٍ، أو خطأٍ ونحو ذلكَ. ولا يسوِّده بنقلِ المسائلِ والفروعِ الغريبةِ، ولا يكثرُ الحواشي كثرةً تظلمُ الكتابَ وتضيِّعُ مواضعَها علَى [٩٧ظ] طالبِها . ولا ينبغي الكتابةُ بينَ الاسطرِ، وقد فعلَه بعضُهم بينَ الأَسطرِ المفرَّقةِ(٢) بالحمرةِ وغيرِها، وتركُ ذلكَ أولى مطلقاً .

العاشرُ(٣) : لا بأس بكتابةِ الأبوابِ والتَّراجمِ والفصولَ بالحمرةِ، فانَّه أَظهرُ في البيَانِ، وفي فواصلِ الكلامِ، وكذلكَ لا بأسَ بالرمزِ به على أَسماءَ، أَو مذاهبَ، أَو أَقوالٍ أو طرقٍ، أو أَنواعٍ، أَو لغاتٍ، أَو أَعدادٍ، ونحو ذلكَ، ومتَى فعلَ ذلكَ بيَّنَ اصطلاحَه في فاتحةِ الكتابِ ليفهم الخائضُ فيه معانيها، وقد رمزَ بالأحمرِ جماعةٌ من المحدثينَ والفقهاءِ وغيرهم، لقصدِ الاختصارِ، فانْ لم يكنْ ما ذكرناهَ

---

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص١٨٦ ـ ١٩١، وقد حذف منه عدة فقرات .

(٢) في (ب) : (المتفرقة)، وهو وهم .

(٣) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٩١ـ١٩٢ .

من الأَبوابِ والفصُولِ والتراجمِ بالحمرةِ أَتى بما يميِّزهُ عن غيرِهِ من تغليظِ القلمِ وطولِ المشقِ ، واتحادهِ في السَّطرِ ، ونحو ذلكَ ليسهل الوقوفُ عليهِ عندَ قصدهِ • وينبغي أَن يفصلَ بين كلِّ كلامينِ بدائرةٍ ، أَو ترجمةٍ ، أَو قلمٍ غليظٍ ، ولا يوصلُ الكتابةَ كلَّها على طريقةٍ واحدةٍ لما فيهِ من عسرِ استخراجِ المقصودِ وتضييعِ الزمانِ فيهِ ، ولا يفعلُ ذلك إلاَّ غبيٌّ جداً •

الحادي[1] عشر قالوا : الضربُ أَولى من الحك لاسيما في كتبِ الحديث ، لأَنَّ فيه تهمةً وجهالةً فيما كانَ ، أَو كُتِبَ ، ولأَنَّ زمانَهُ أَكثرُ فيضيعُ ، وفعلهُ أخطرُ فربما ثقبَ الورقةَ وأَفسدَ ما ينفذُ اليهِ فاضعفها ، فانْ كانَ إزالةُ نقطةٍ ، أو شكلةٍ ونحو ذلكَ فالحكُ أَولى •

وإذا صحَّ الكتابُ على الشيخِ أو في المقابلةِ علَّمَ على موضعِ وقوفه (بلغ) ، أو (بلفت) ، أَو (بلغ الغرض) ، أو غير ذلكَ ممَّا يفيدُ معناهُ ، فانْ كانَ ذلكَ في سماعِ الحاشيةِ كَتبَ (بلغ) في المعتادِ الأَولِ ، أَو الثاني الى آخرها ، فيعيّنُ عددَهُ •

---

(1) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٩٢ — ١٩٣ ، وبانتهائه انتهى القسم الاول من الكتاب •

قالَ الخطيبُ : فيما إذا أَصلحَ شيئاً ينشرُ المصلَّحَ بنحاتةِ السَّاج [٩٨و] وغيرهِ من الخشب، ويبقي الشريبُ • واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً دائماً أَبداً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ •

تمَّ القسمُ[١] الأوَّلُ ، ويتلوهُ القسمُ الثانِي إنْ شاءَ اللهُ تعالى •

---

(١) في (ب) : تم الجزء الاول من جواهر العقدين بحمد الله ومنه وفضله، ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله •

وفي (م) : تم القسم الاول ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله تعالى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه •

فهرست الموضوعات

الفهرســـت

الموضـوع	الصفحة
مقـدمـة	٣
الدراسـة	٥
السمهودي اسمه ونسبه	٧
اسـاتيذه	٩
١ ـ والده القاضي عبدالله بن أحمد الحسني	٩
٢ ـ الشمس الجوجري	١٠
٣ ـ شرف‌الدين يحيى المناوي	١٠
٤ ـ الشمس الشرواني محمد بن مراهم	١١
٥ ـ شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الابشيطي	١١
٦ ـ سعدالدين محمد بن سعد الحنفي	١٢
٧ ـ النجم بن قاضي عجلون محمد بن ابراهيم	١٢
٨ ـ الشمس البامي محمد بن أحمد	١٢
٩ ـ علم الدين البلقيني صالح بن عمر	١٢
١٠ـ النجم عمر بن محمد	١٣
١١ـ الكمال محمد بن محمد ، واخته كمالية	١٣
١٢ـ محمد بن احمد المراغي	١٣
١٣ـ محمد بن محمد امام الكاملية	١٣
١٤ـ زكريا بن محمد الشافعي	١٣
١٥ـ سعد بن محمد الديري	١٤
١٦ـ عثمـان بن صدقة	١٤
١٧ـ العفيف عبدالله بن القاضي ناصرالدين	١٤

الموضوع	الصفحة
مصنفاته	١٥
شعره	١٩
نشاطه الثقافي ومكانته الاجتماعية	٢٥
قيمة الكتاب	٢٩
وصف النسخ	
١ ـ نسخة محمد بن يحيى (الاصل)	٣٣
٢ ـ نسخة وقف الحاج أمين افندي (م)	٣٥
٣ ـ نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)	٣٦
عملنا في التحقيق	٤١
لماذج من النسخ المخطوطة	٤٥

فهرست النص المحقق

الموضوع	الصفحة
مقدمة صاحب الكتاب	٦٩
القسم الأول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك ، وفيه ثلاثة ابواب :	
الباب الاول في ايراد الادلة الدالة على فضل العلم	٧٧
الباب الثاني في بيان منشأ معادات العلماء ، ومعادات أهل البيت الكرام ، ومحبة اللئام للئام	١٨٥
الباب الثالث في آداب العلماء والمتعلمين منهم الآخذين عنهم ، وفيه سبعة فصول :	٢٥١
الفصل الاول في آداب العالم في نفسه	٢٥١
الفصل الثاني في آداب العالم في درسه	٢٧٧
الفصل الثالث في آداب العالم مع طلبته مطلقا وفي حلقته	٢٩٧
الفصل الرابع في آداب المتعلم في نفسه	٣١٥
الفصل الخامس في آداب المتعلم مع شيخه وقدوته ، وما يجب عليه من عظيم حرمته	٣٢٩
الفصل السادس في آداب المتعلم في درسه وقراءته وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة	٣٥٩
الفصل السابع في الأدب مع الكتب التي هي آلة العلم	٣٧٧
فهرست الموضوعات	٣٨٩

صدر للمحقق

١ ــ دراسة" حول كتاب الايضاح ، نشر سنة ١٩٧٦م في مطبعة المجمع العلمي الكردي ــ بغداد .

٢ ــ شرح الوافية نظم الكافية لابن الحاجب ، دراسة وتحقيق ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف سنة ١٩٨٠م .

٣ ــ الايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ، تقديم وتحقيق ، صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٨٢م ، مطبعة العاني ــ بغداد ، وصدر الجزء الثاني منه سنة ١٩٨٣م ، مطبعة العاني ــ بغداد .

٤ ــ الفرق بين الضاد والظاء لأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني ، دراسة وتحقيق ، مطبعة الأوقاف والشؤون الدينية ــ بغداد سنة ١٩٨٣م .

البحوث المنشورة

١ ـ بعضٌ من أوهـام النحـاة في آراء صاحب الكتاب ، مجلة المجمـع العلمي العـراقي ، في العـدد الثامن والعشرين ١٩٧٧م .

٢ ـ أسـباب انتشـار العاميـة وموقف جماعـة مـن المستشرقين وبعـض العـرب منهـا ، مجـلة آداب الرافدين في الموصل ، العدد الثامن ١٩٧٧م .

٣ ـ الاتجاه النقدي عنـد ابن طفيل في أسـرار الفلسفة المشرقية ، مجلة جامعـة الموصل ، العـدد العاشـر ١٩٧٤م .

٤ ـ العلاقة بين أمس والبارحـة : بحث لغـوي ، مجلة جامعة الموصل ، العدد السابع ١٩٧٣م

٥ ـ كتابـة العربيـة بالحـروف اللاتينيـة وموقـف المستشرقين وبعض العرب منها ، مجلة كلية الفقه في النجف الأشرف ١٩٧٩م .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغـداد ١٤٠٨ لسنة ١٩٨٤
تم طبع الكتاب في ١٨/١٠/١٩٨٤ بعـدد ٥٠٠٠ نسخة